شهرية تصدر عن نادي تراث الإمارات
العدد ٤١- محرم ١٤٢٣ هـ إبريل ٢٠٠٢م

عناق الثقافة والتاريخ في افتتاح مكتبة الاسكندرية



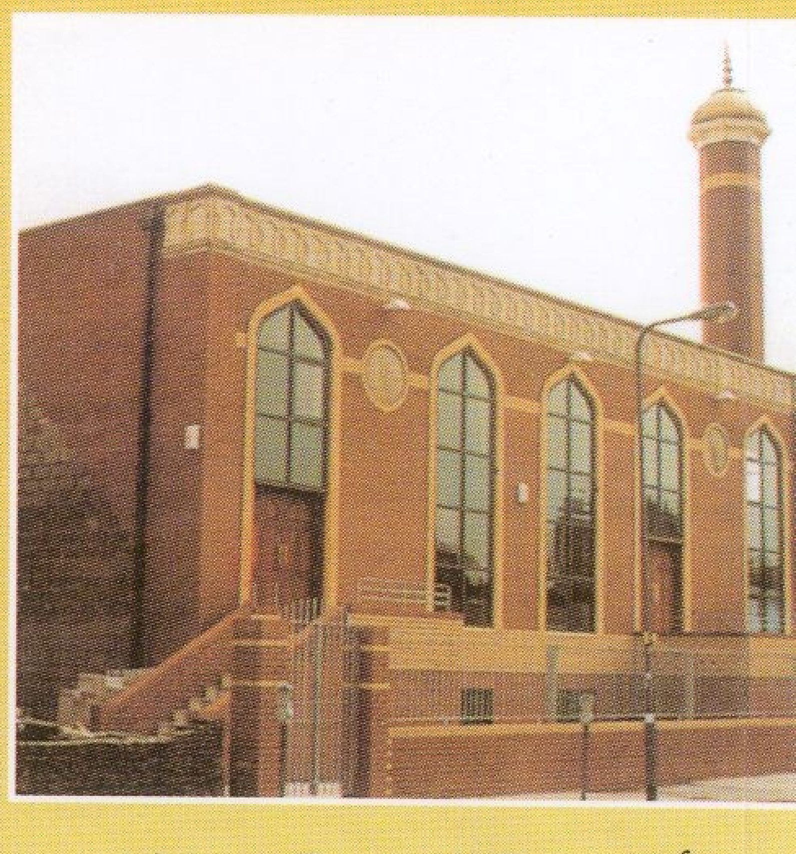


تراث تشارك في ندوة اللغة العربية وتحديات العصر

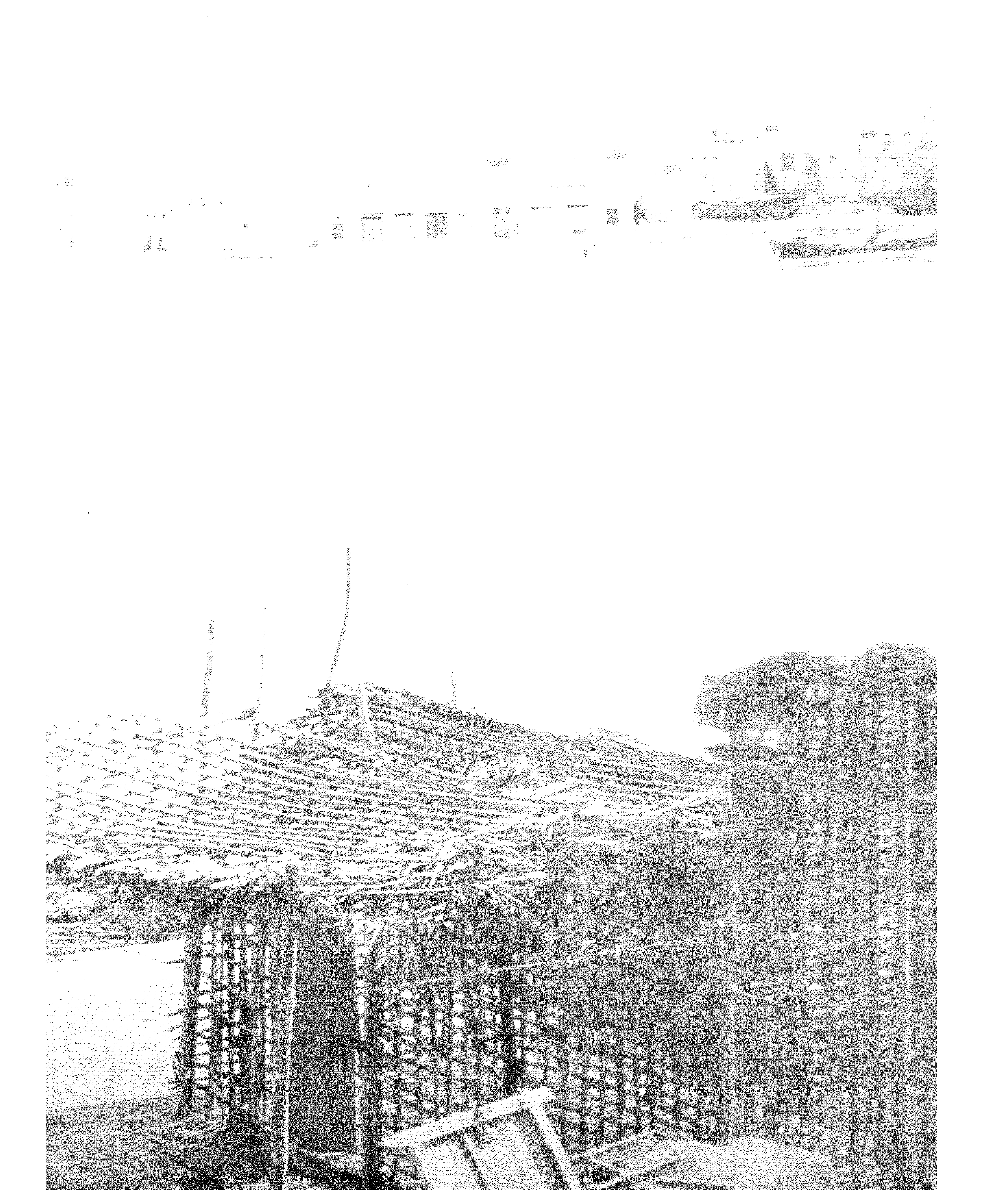
كنوز المخطوطات النادرة في دار الكتب الوطنية



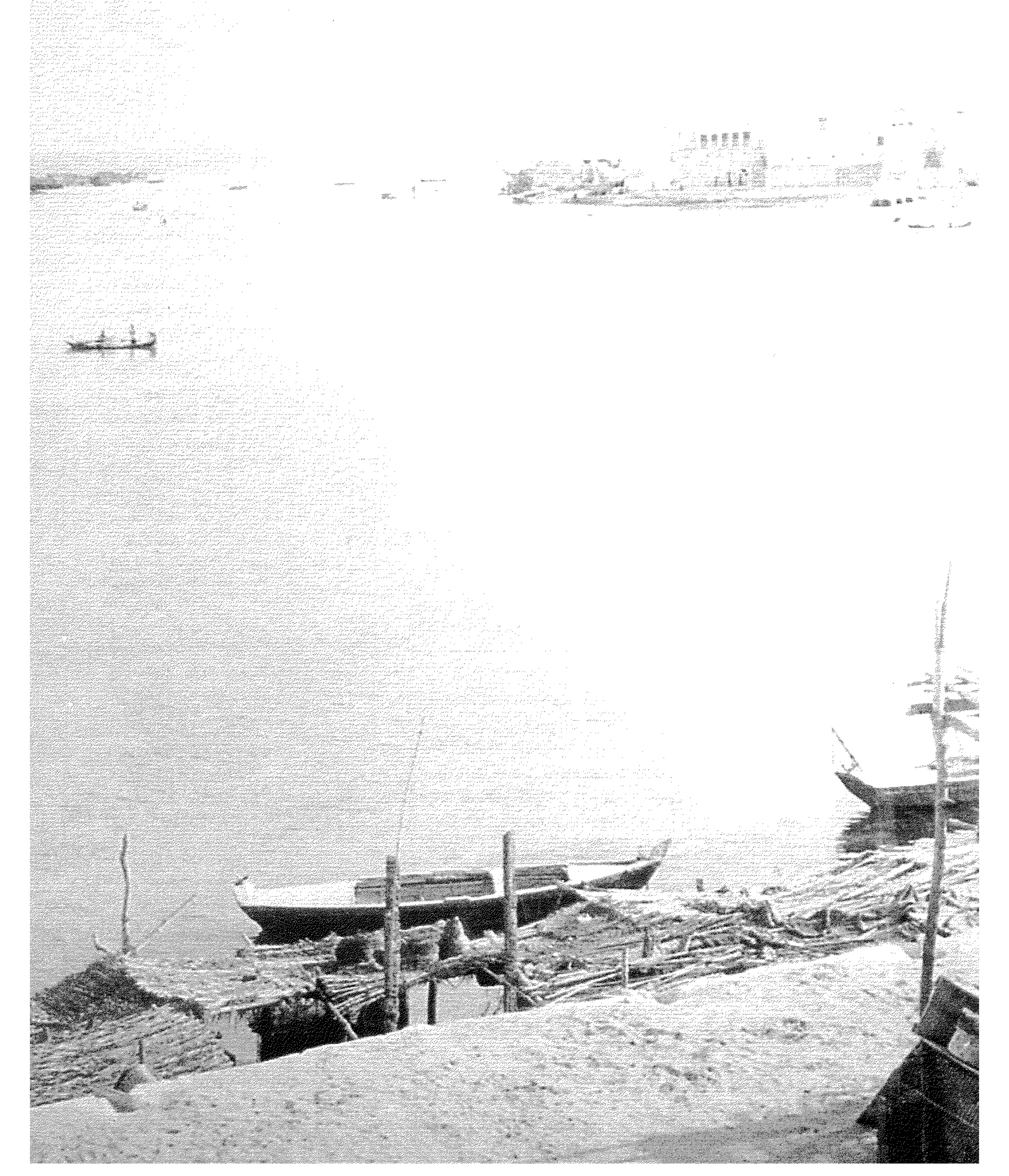
أربعاء أيوب.. عادات وطقوس في دول المتوسط



الأفغانية فاطمة جيلاني توثق المساجد في لندن



مدينة دبي حول سلسلة من الأخوار - ١٩٥٨م





مجلة شهرية ثقافية منوعة

تصدر عن نادي تراث الإمارات

السنة الرابعة - العدد (٤١)

أبــريل ٢٠٠٢

المراسلات:

نادي تراث الإمارات، ص.ب. ٢٧٧٦٥ أبوظبي

الإمارات العربية المتحدة. هاتف: ٤٤٦٦١١٦

فاكس: ٤٤٣٠٨٨١ (٠٢)

بريد الكتروني

email: turathmag@yahoo.com

ثمن النسخة

الإمارات ٥ دراهم، قطر والسعودية ٥ ريالات

البحرين والكويت ٥٠٠ فلس، عُمان: ٥٠٠ بيسة

مصر ٣ جنيهات، اليمن ١٥٠ ريالاً

الدول العربية دولار أمريكي واحد

أوروبا وأمريكا والدول الأجنبية ٢ دولار

مندوبو تراث:

■ القاهرة: عبد العال الباقوري

محمول: ٠١٢٣٥٥٩٢٣١

■ اليمن: أحمد العليمي

هاتف: ٢٨٢٦٢٦ صنعاء

الاشتراك السنوي

للأفراد ٦٠ درهماً،

للجهات الحكومية : ١٢٠ درهماً

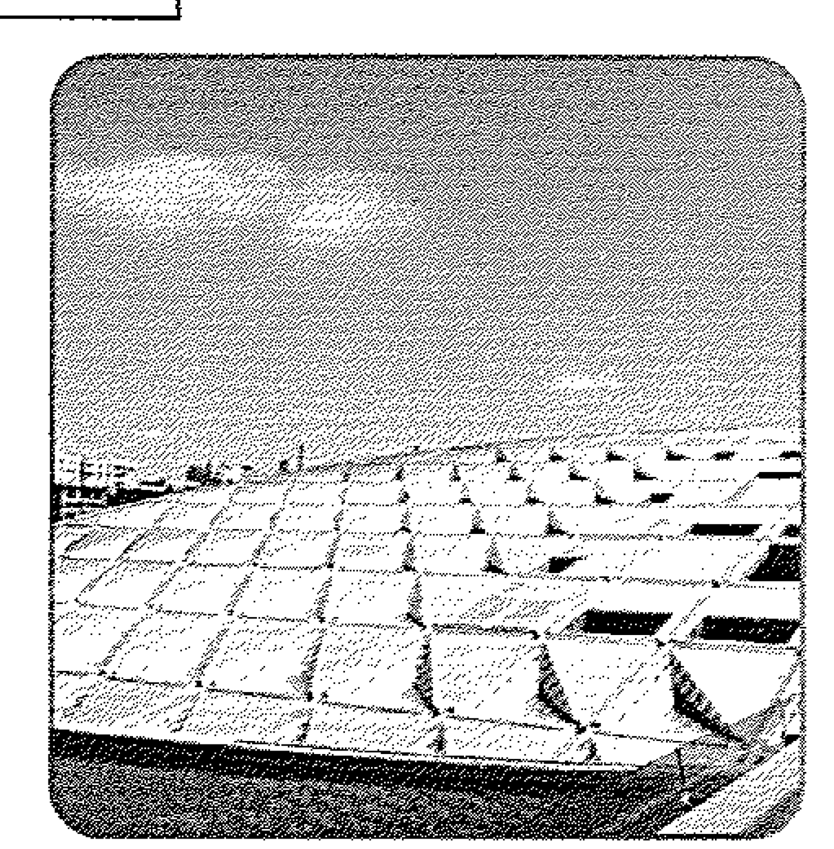
وتضاف رسوم البريد للاشتراك

من داخل وخارج الدولة

التجهيز الطباعي

قسم الإعلام - نادي تراث الإمارات

في هذا العدد



في الثالث والعشرين من هذا الشهر.. سيتم افتتاح مكتبة الإسكندرية التي ساهمت الإمارات بمبلغ عشرين مليون درهم لإعادة افتتاحها، الذي يمثل حدثا عالميا فريدا تتعانق فيه الثقافة مع التاريخ مع المعاصرة.. حيث ستكون المكتبة منهلا علميا وتاريخيا وثقافيا يفتح أبوابه للجميع. ... *طالع* ص ١٤



* ونعود للحديث كما وعدنا في العدد الماضي عن الأبواب التاريخية في البلاد العربية الإفريقية، فنفرد مساحات للأبواب التاريخية في المغرب والجزائر وتونس ومصر، ومساحة للأبواب في كل من ليبيا والسودان لقلة المصادر عنها، وقد تركنا الباب مفتوحا أما أي تعليقات عن الأبواب. ... *طالع* ص ٢٢

أهلاً بكم

ترحب مجلة «تراث» بمساهمات الكتاب والقراء والتي تتعلق بالتراث والتاريخ باعتبارهما الخط الأساسي للمجلة، موضحة أن المقالات التي يتم نشرها تعبّر عن وجهة نظر أصحابها وليس بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.. ونحن نرحب بالمقالات والمساهمات وفق المعايير التالية:

- ■ أن تكون المقالات جديدة.. ومخصصة لمجلة تراث فقط.. ولم يسبق نشرها.. ومرفقة بصور حديثة وملونة للموضوع.
- ■ أن تكون المساهمات مطبوعة على الحاسب الآلي أو الآلة الطابعة على وجه واحد من الورقة.. مذيلة بالمراجع التي تم استقاء البحث منها، مع تخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة.
- ■ زاوية «خزانة الكتب» التي يتم فيها استعراض الكتب القديمة أو الحديثة هي من اختصاص هيئة التحرير فقط.. ونعتذر عن عدم قبول أي مساهمات في هذا المجال.
- ■ التحقيقات والاستطلاعات واللقاءات مع كبار المفكرين والشخصيات هي من اختصاص هيئة التحرير، أو بطلب مباشر منها.
- ■ المقالات التي يتم الاعتذار عن عدم نشرها ليس بالضرورة لعدم جودتها، وإنما قد تكون المجلة سبق لها أن نشرت موضوعاً أو عدة موضوعات حول الفكرة نفسها ولا ترغب في المزيد أو منعاً للتكرار.
- ■ المجلة غير مسؤولة عن إعادة المقالات أو المساهمات - التي لم تنشر - إلى أصحابها.
- ■ قد يتأخر نشر بعض المساهمات نظراً لارتباطها بمناسبة معينة، أو لكثرة المساهمات التي تصل من السادة الكتّاب.

أول القرطاس

قضية اللغة العربية

وما تزال قضية اللغة العربية تتفاعل، ويتضح ذلك من الاهتمام المتنامي من الصحافة -لاحظوا الصحافة فقط- بهذه القضية، ومحاولة إبراز بعض جوانبها، والحديث عنها على فترات متقطعة، ولا نقول على استحياء، وهو التعبير المقابل للندرة- ولكن، القليل أفضل من الحرمان.

وعتبنا البسيط على الصحافة أنها لم تبادر بإثارة هذه القضية، ولم تبحثها وتنشط من أجلها وتفرد الصفحات لها كما تفرد للأخبار الفنية، وإنما اكتفت برد الفعل، أي تغطية ندوات أو أخبار تتعلق بالقضية، أي أنها لم تتجاوز دور الناقل، ولم تتحول إلى دور الفاعل.

أما العتب على أجهزة الإعلام الأخرى المرئية والمسموعة، فلأنها ما تزال على تجاهلها لهذه القضية، بل والأنكى، ما تزال على تماديها في استخدام اللهجة العامية المقعرة في تقديم برامجها، وفي الوقت نفسه، لم تقدم من البرامج ما يعلن عن «حسن النوايا» تجاه ما يعين اللغة العربية على نكبتها في أبنائها، وهو ما يعد أقسى إيلاماً من شراسة أعدائها عليها.

ورغم هذا الضوء الخافت، إلا أن نبضا عند بعض الجهات يجعل الدم يتدفق في الشرايين أملا في الجديد، فالأخبار التي «تناقلتها» الصحف المحلية ذكرت أن وزارة التربية والتعليم في بلادنا أعدت الهيكل العام لوثيقة اللغة العربية، والذي تضمن أسس بناء المنهج وتطويره، والاتجاهات الحديثة في تعليم اللغة العربية وتعلمها، والأهداف العامة ومعايير التعليم في كل صف دراسي، ومحتوى المادة من مفاهيم وخرائط ومفردات، وكذلك معايير التقويم والتنمية المهنية للمعلمين، ومعايير المواد التعليمية والمتعلقة بكتاب الطالب ودليل المعلم.

الأخبار التي «تناقلتها» الصحف حول الهيكل العام، تعطي انطباعا أوليا بأن هناك اهتماما وسعْيا وحرصا على انتزاع اللغة العربية من كبوتها، خاصة وأن قضيتنا التي نتابعها بعنوان: « اللغة العربية في مهب الريح» تدخل الآن شهرها الخامس والعشرين، ووجدنا أن من «آلام المفاصل» التي تعاني منها اللغة العربية مفصل المناهج، إضافة إلى مفاصل: المعلم، والطالب، والبيت، والمدرسة، أي أن معظم مفاصلها التعليمية تعاني «ورماً» نسأل الله أن يكون حميداً.!!

ونحن إذ نثمن دور الندوات التي تناقش هموم اللغة العربية وتحدياتها، نتمنى أن يكون التركيز على كيفية الخروج بها من أزمتها، وليس البحث في الأزمة نفسها، والتي يفترض أن تكون معروفة وواضحة ونعلم كافة حيثياتها ومسبباتها، ولكن المهم الآن: كيف نتجاوزها؟، ثم علينا أن نتجاوز بعض العراقيل في طريق اللغة بتخطيها، فلا يعقل أن نفرد زمنا طويلا في البحث عن «فعول ومفاعيل وفاعلاتن، والاشتقاق والنحت»، وهو ما جعل اللغة العربية صعبة على لسان أبنائها ودفعهم للهروب منها، فأصبح «الرطان» أفصح من «البيان»، وهذا التخطي يكون بطريقين في اعتقادنا: أن يكون هناك منهج للطالب والدارس غير المتخصص الذي يتمنى أن ينطق لغة عربية فصيحة في حدود إمكانياته، ومنهج دراسي متعمق للمتخصص الذي يهوى الغوص في أعماق وكنوز اللغة العربية، وهو بهوايته، أقدر على الاستفادة من كنوزها، وعرضها بطريقة شائقة للمتذوقين.

عادل محمد الراشد

اقرأ أيضاً

- المساهمات أو المكاتبات التي تنشر في زاوية «رسائلكم وصلت» لا تخصص لأصحابها مكافآت مالية.
- عند استلام المساهمة.. يتم إخطار الكاتب بوصولها موضحاً إن كانت تحت الدراسة أو الاعتذار عن عدم النشر، وفي حال النشر يتم إرسال نسخة من العدد المنشورة فيه للكاتب.
- ترجو المجلة من السادة الكتّاب أن يوضحوا في ورقة منفصلة اسم الكاتب ثلاثياً على الأقل، وأرقام الهواتف أو الفاكسات أو البريد الإلكتروني والعنوان البريدي الذي يمكن الاتصال به عن طريقه، ورقم حسابه في البنك الذي يتعامل معه حتى يمكن إرسال المكافآت المالية بطريقة أسرع وأكثر سهولة. وفق النظام المالي المعمول به في المجلة.

في ندوة: حوار الحضارات
في مركز زايد

سلطان بن زايد: أهمية الحوار إجماع عالمي ورؤية حضارية

«الأمة الإسلامية تملك موروثاً حضارياً وأخلاقياً قادراً على تقديم المساهمة النوعية في الخروج من الأزمة العالمية الراهنة، ولذلك فإن أهمية التلاقي والحوار بين البشر جاءت من منطلق الإجماع العالمي على الثراء الفكري وعلى معالم الرؤيا الواضحة التي تجسدت في فكر صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة حفظه الله». بهذه الكلمات.. حدد سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان، نائب رئيس مجلس الوزراء، رئيس مركز زايد للتنسيق والمتابعة، رؤية الإمارات لموروث الأمة العربية وأهمية الحوار في حل مشكلات العالم. جاء ذلك على هامش أعمال ندوة «حوار الحضارات» التي نظمها المركز بالتعاون مع جامعة الدول العربية تحت رعاية سموه. وأضاف: «إن صاحب السمو رئيس الدولة قد رأى في أكثر من حدث ومناسبة أن البشرية الآن في أشد الحاجة للتواصل الحضاري الذي سارت عليه منذ فجر التاريخ، ولم تشذ عنه في أية حلقة من حلقات التواصل الحضاري في العالم، وبعد نظر سموه الذي وصف العالم دوماً بأنه مجموعة من الأسر المتجاورة، وإذا حسنت العلاقة بين الجار والجار شاع الأمن والاستقرار وعاش الجميع في سلام لا يشغلهم سوى التقدم ومحاولة تحقيق حياة أفضل لكل الناس».

واعتبر سمو الشيخ سلطان، أن الأزمة العالمية الراهنة ناتجة عن خلل في علاقات الحوار الإنسانية، ومن مصلحة الإنسانية أن تحتكم إلى منطق العمل في إدارة أزماتها، وأن تغلب منطق الحوار بديلاً عن منطق التعصب للرأي والانغلاق على التراث. وقال سموه. «إن من مصلحة البشرية الشاملة والواعدة أن تشيع بين الناس أجمعين روح التسامح الديني ضمن الحوار الحضاري والفكري ونشر قيم سامية تلتقي عندها كافة الأديان».

وكانت الندوة التي أقيمت في مقر مركز زايد للتنسيق والمتابعة في أبو ظبي، قد ضمت نخبة من رجال الفكر والإبداع في العالم العربي من بينهم: الدكتور عبد الملك منصور وزير الثقافة اليمني السابق، والكاتب والمفكر محمد سيد أحمد، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي أستاذ العلوم الإسلامية في جامعة دمشق، والدكتور سهيل زكار الباحث في علوم التاريخ، والباحث الدكتور عبد الله السيد ولد أباه، منسق برامج الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والأستاذ الباحث محمد العمراني. وقال محمد خليفة المرر المدير التنفيذي للمركز



إحدى جلسات الندوة

في افتتاح أعمال الندوة «نحن نؤمن صادقين أن المستقبل الإنساني وسلامته في حواره ونجاح الإنسانية في تقاربها لا تصادمها، وقناعة سمو رئيس المركز الدائمة أن حواراً إنسانياً شاملاً هو وحده المخرج الأفضل للأزمة العالمية الراهنة» كما أشار إلى أن العلاقة بين الحضارات الإنسانية هي علاقة حوار وتواصل، لاصراع وتصادم، مطالباً في الوقت نفسه أصحاب الأصوات العاقلة والضمائر النبيلة بتحمل مسؤولية الدفاع عن تلك الحقيقة الإنسانية الشاملة.

الحضارة نتاج الحوار

من جانبه أكد الدكتور عبد الملك منصور على أن العلاقة بين الحوار والحضارة ليست مجرد علاقة مفهومية افتراضية أو علاقة مرغوبة نسعى لتحقيقها، وإنما هي علاقة واقعية عضوية وأساسها هو أن الحضارة هي بالضرورة نتاج الحوار وثمرة ذلك الحوار. وأضاف منصور: «إن حوار الحضارات يكتسب حالياً أهمية خاصة نتيجة لمستجدين معاصرين يتمثل أولهما في ما تكرر من أقوال تدعو صراحة إلى الصراع الحضاري، وما تبع ذلك من أحداث خطيرة وتصريحات سلبية أذكت وتذكي الاحتكاك الجاري في وقت تتوافر فيه لبعض أطراف مثل هذا الاحتكاك قدرات تدميرية هائلة، ويتمثل ثانيهما في التنامي الملحوظ في عصرنا هذا لخطورة فرض هيمنة حضارية أو ثقافية أحادية، كما يستشف مما هو مشاهد من تزايد وتيرة اضمحلال وزوال الثقافات بينما تتسارع خطى العولمة بأسلوب أقرب إلى المحادثة الأحادية.

وتحدث في الجلسة الافتتاحية الدكتور محمود فرغل ممثل الأمين العام لجامعة الدول العربية. أشار فيها إلى أن الإسلام يتم تصويره الآن كذباً وافتراء من خلال كتابات بعض المفكرين الغربيين على أنه عدو للحضارة الغربية، وأنه لا مفر من الصدام. وأضاف فرغل: «نحن إذن أمام هجمة شرسة تشوّه قيمنا وثقافتنا ونظمنا ومناهجنا، ومن هنا لا بد لنا من الانتباه إلى شعار حوار الحضارات على أنه تواصل لا صراع. وذلك لبحث الوسائل الكفيلة بالتصدي لحماية الحضارة الإسلامية من التشويه والافتراءات».

وكانت الندوة التي استمرت لمدة يومين في مقر مركز زايد للتنسيق والمتابعة في أبوظبي قد خرجت بجملة من التوصيات أهمها:

* إنشاء هيئة مصغرة من المفكرين العرب لتكون بمثابة الآلية الضرورية لمنتدى المفكرين العرب، ويكون مفوّض حوار الحضارات مقرراً لها.
* إنشاء صندوق دعم المبادرة الثقافية، ودعوة العرب أفراداً ومؤسسات وهيئات وحكومات للإسهام فيه (وكان الأمين العام قد تلقى بالفعل مبلغ مليون دولار تبرع بها مشكوراً صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان لهذا الغرض).
* إنشاء آلية لربط الجالية العربية في الخارج بجامعة الدول العربية.
* تعزيز التعاون مع اليونسكو والاسيسكو والمؤسسات الثقافية للاتحاد الأوروبي والمفوضية التابعة للأمم المتحدة لحقوق الإنسان لتفعيل دور الحوار الحضاري الإنساني. ■

في ندوة: «وثائق تاريخ العرب في الأرشيفات العالمية»

الوثائق كنزٌ ثمينٌ من كنوز الأُمّة

■ محمد رجب السامرائي

■ تصوير: نجيب محمد نجيب

تتصل الكتابة التاريخية عند العرب بالتطورات الثقافية من جهة، وبالتيارات والاتجاهات العامة في المجتمع العربي من جهة ثانية. وكانت الأفكار التاريخية وراء كتاباتهم هي وحدة خبرة الأمة واتصالها والنظرة العالمية للتاريخ. ويحفل التاريخ والتراث العربي بنفائس من الوثائق والمخطوطات التي تركها العرب عبر توالي عصورهم التاريخية والتي دونوا فيها العديد من النواحي التشريعية والفكرية والثقافية والاقتصادية لنمط وسلوك الحياة خلال تلكم القرون التي عاشوها. وليس ذكراً لأحداثه ووقائعه أو مواقيت لها، بل هو التاريخ الباحث المتعمق في جذور المعاني والدلالات المكنونة في تلك الأحداث، للنهل من الدروس والأحداث من أجل توكيد الثوابت والقناعات التي تميز أمة ما عن سواها من الأمم الأخرى.

في أبوظبي.. نظّم مركز الوثائق والبحوث في شهر مارس الماضي ندوةً بعنوان «وثائق تاريخ العرب في الأرشيفات العالمية»، الندوة أقيمت تحت رعاية سمو الشيخ منصور بن زايد آل نهيان رئيس مكتب صاحب السمو رئيس الدولة. رئيس مركز الوثائق والبحوث في أبوظبي.

وشهد الافتتاح معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي، وعدد من أصحاب المعالي الوزراء وأصحاب السعادة وكلاء الوزارات وأعضاء السلك الدبلوماسي وعدد من كبار المؤرخين وخبراء الوثائق في العالم.

وقد ألقى الدكتور عبد الله الريس مدير مركز الوثائق والبحوث كلمة أكد خلالها على أهمية هذه الندوة التي تتناول موضوعاً حيوياً يهم العرب وحضارتهم، مشيراً إلى أن مجرد اهتمام الدول التي حكمت البلدان العربية يوماً بوثائق التاريخ العربية يقف دليلاً على ثراء ذلك التاريخ ودلالته على التأثير القوي في مسيرة الحضارات الإنسانية وبخاصة الحضارات الحديثة والمعاصرة، والتي اعتمدت على التراث العربي في مجالات العلوم التطبيقية والإنسانية، يوم كانت الدول الأوروبية وغيرها تعيش في عصور الظلام والخواء الفكري.

كما ألقى سعادة السفير الدكتور سعود عبد العزيز زبيدي الممثل الشخصي لأمين عام جامعة الدول العربية كلمة أكد فيها على أهمية الندوة حيث تتناول قضية مهمة هي الوثائق العربية التي ترتبط بنهضة أمتنا العربية وحضارتها

على هامش الندوة، التقت «تراث» مع عدد من الباحثين المشاركين فيها، وطرحت عليهم ثلاثة أسئلة تخص الوثيقة، وهي: كيف يمكن أن تكون الوثيقة مصدراً؟ ومدى صدق الوثيقة من التاريخ؟ وماهي العيوب التي يُمكن أن تواجه الوثيقة؟.



الجلسة الافتتاحية للندوة

د. عبد الله محمد الريّس
مدير مركز الوثائق والبحوث

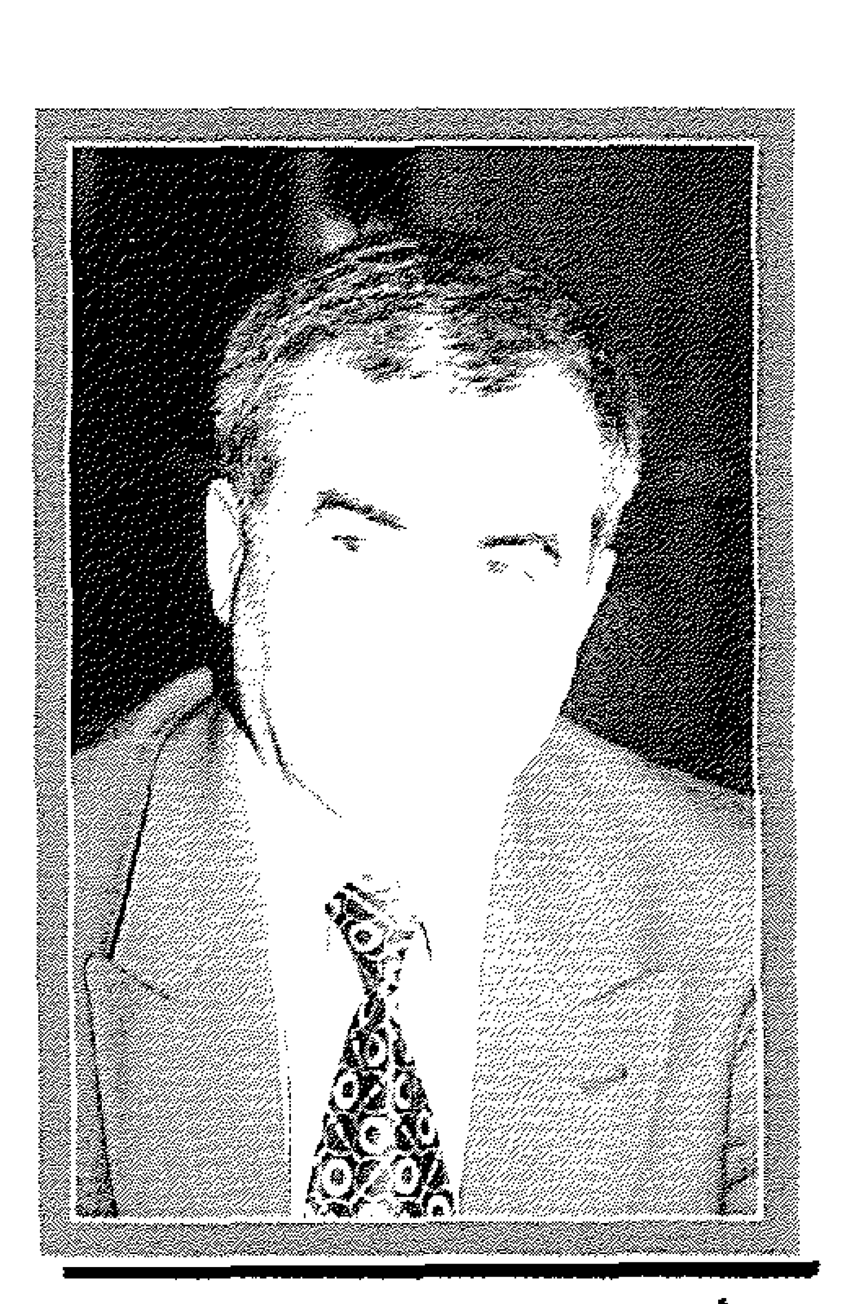
إرث وتراث

الدكتور أحمد جلال التدمري مستشار سمو رئيس الديوان الأميري في رأس الخيمة أجاب قائلاً من المتعارف عليه أنّ كلمة- الوثيقة- تشير إلى تلك الأوراق المُوثقة ذات المرجعية في مصدرها، الصحيحة في المعلومات التي تتضمنها استناداً على ما يؤكدها ويؤيد صدق تدوينها، فالوثيقة بما تتضمنه من معلومات وأسماء وتواريخ، لا يرقى إليها الشك في صحتها، حيث تعتبر مصدراً مُهماً في البحث والدراسة، ويمكن الإشارة إليها في متن الدراسة والاستفادة من محتوياتها في كتابة البحث الذي يشمل موضوعها. وأردف التدمري عن صدق الوثيقة بقوله:

إنّ الوثيقة بغض النظر عن تاريخها فإنّها تمثل كنزاً تراثياً ومادة خصبة في البحث العلمي، فالوثائق التاريخية إرثٌ وتراث مهم للأجيال في حفظ هويتها. وباعتبار أنّ الوثيقة صحيحة في ثبوت مرجعيتها ومصدرها فهي صادقة بذاتها. وتبقى الوثائق الأداة الأساسية للحفاظ على دفاتر المعرفة البشرية وانتشارها وإيماناً بأنّ الدور الذي تقوم به الوثائق


د. أحمد جلال التدمري

يمكن تعزيزه عن طريق تبنّي سياسات من شأنها تشجيع استعمالها كمستندات للكتابة في التاريخ. ومن المهم إحياؤها لمساندة البحث العلمي وتنشيط ذاكرة الأمة بتسهيل إطلاع الباحثين والمهتمين عليها. وختم قوله. بأنّ أهم العيوب التي يمكن أن تواجه الوثيقة ما يطرأ عليها من تلف وتشوهات في أطرافها، أو حتى في منتصفها، علاوة على أن كتابتها غير واضحة، أو قد فقدت جزءاً منها نحو تاريخها واسم كاتبها. ولعلّ أهمية الوثيقة عندنا هو بالمحافظة عليها والعناية بها وحمايتها من التلف ومن التعرض للعوامل المناخية مثل الحرارة والرطوبة والضوء الشديد والتي تعمل مجتمعة على طمس الكثير من ملامح هذه الوثيقة عبر السنين.


أ.د. جاسم محمد جرجيس
الأمين العام المساعد لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

مصدر أصيل

واعتبر الأستاذ الدكتور جاسم محمد جرجيس الأمين العام المساعد لمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي بأنّ الوثيقة هي مصدر أصيل من مصادر التاريخ، بل ويمكن أن تكون المصدر الوحيد الذي يمكن أن نستقي منه التاريخ، بما في ذلك التاريخ الشفهي، حيث أنّ التاريخ الشفهي لن يبقى شفهياً أبد الدهر، وإلا تعرّض للزيادة والنقصان، ويصبغ بصبغة الحكايات التي لايمكن بحال من الأحوال أن نعوّل عليها في عملية التأريخ، كذلك فإنّ للوثيقة حدوداً فضفاضة تبدأ من كونها أيّ شيء تضم معلومات تضيق عند


د. فهد بن عبد الله السماري

من يقصرونها على كونها أيّ شيء يحتوي على معلومات وتشتمل على وقائع قانونية.

وأجاب جرجيس عن السؤال الثاني قائلاً: تعتمد مصداقية الوثيقة على طبيعة ما تشتمل عليه من معلومات، كذلك تحدّد طبيعة المعلومات المتوافرة على وثيقة ما، طريقة أو منهج التحقق من صحة هذه المعلومات. وعموماً فإنّ كلّ الوثائق عدا «القرآن الكريم» هي وثائق قابلة للتحقق من محتواها، وللتحقق من هذا الأمر فهناك سبلٌ وطرقٌ كثيرة، لابدّ أن يتصّف الباحث والمُحقّق فيها بالصبر والأناة والرويّة، وأن يكون مُلماً بموضوع الوثيقة ومحيطها، وأن يكون أميناً غير مُدلّس.

وقال عن عيوب الوثيقة هنالك طرقٌ عديدة يمكن من خلالها أن نفضح ونكشف زيف الوثيقة من صحتها وأصالتها. ومن تلك الطرق أن تكون مكتوبة على مادة لم تكن موجودة في الفترة الزمنية التي تغطيها معلومات الوثيقة، إضافة إلى طريقة إخراجها، أو أن تتضارب الوثيقة مع نفسها و مع غيرها من الوثائق، ولابدّ أن يُنظر للوثائق، لاسيما التاريخي منها، على كونها روافد أساسية لتراثنا العربي الإسلامي، ممّا يحتّم علينا الاهتمام بها، ونحاول جمع شتات هذه الوثائق والتعريف بها، وعمل دراسات حولها وتشجيع محتوياتها، وتخطي الحواجز المذهبية والشخصيّة التي تمنع الاستفادة من الوثائق، وأخيراً يجب أن نُضفي على هذه الوثائق روح المواكبة وتقنيات العصر الحديثة، بالقيام بعمل قواعد معلومات تمّ تخزين بيانات فيها، كما يتمّ حفظ نسخ على هيئة أقراص مُدمجة منها لدعم وجودها الورقي، ولتطيل من فرصة بقائها، ولتجعلها مُسايرة للحتمية التقنية التي نعيش ملامحها وآفاقها في وقتنا الحالي.

التاريخ والتوثيق متجانسان

«الوثيقة مستند لتوثيق حدث أو مناسبة والدلالة على تصوير لأحداث معينة، وهي من أهم المصادر الأولية لتاريخ أية أمة. ويتكون التاريخ من المصدر والتحليل والرؤية لتكون في النهاية التاريخ». هذا ما بدأ به الدكتور فهد بن عبدالله السماري الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز في السعودية، في حديثه لنا مضيفاً قوله:

لعلّ الوثيقة منطلقة من شيء أشمل ألا وهو التوثيق وهناك من يضع مفهوم التاريخ بأنّه هو تأريخ! ولكن التاريخ والتوثيق متجانسان، والوثيقة حالها مثل أي مصدر آخر، ونجد حتى المصدر الإنساني يتعرض للتحقيق، وليس كل وثيقة صادقة، وهنا يلعب دور المؤرخ في استخدامها من حيث التدقيق والتثبت من صحتها وظروف تدوينها، ومدى صدق معلوماتها، ويتم ذلك عبر المقارنة ووفق منهج التحقيق المتعارف عليه عند المؤرخين.

لا تاريخ بدون وثيقة

وقال الدكتور عبدالكريم كريِّم رئيس جمعية المؤرخين المغاربة عن الوثيقة بأنّها: تمثل كلّ ما ترك السلف لنا، وأنّ إبراز أهمية الوثيقة في كتابة التاريخ، يجعلنا نقول: لاتاريخ بدون وثيقة. وللوثيقة التاريخية منهجية علمية خاصة بدراستها لأنّ الذين كتبوها هم بشرٌ معرضون للخطأ والنسيان. وهناك أقسام للوثيقة منها: المراسلات، والتقارير، وفيما يتعلق بالمراسلات مثلاً، فلابدّ من دراستها والإلمام بالوضعية العامة للظروف التي تحدثت عنها تلك الوثيقة. ولا نستطيع أن نفهم الوثيقة إلاّ بعد الإطلاع على الإطار العام لها. وعندما ندرس أية وثيقة كانت فإننا لانتعرض لأصالتها، لأنّ هذا الأمر يتطلب منّا دراسة الورق الذي كتبت به، والحبر، والأسلوب الذي تفرضه الطريقة المنهجية للتمييز بين أصالتها وعدمها، إضافة إلى أنّ الوثائق تعتبر مدسوسة أو التي كتبت لأهداف وأهواء مختلفة، وهذا كله يؤدي بالوثائق إلى كثرة عيوبها ومن ثمّ عدم الأخذ بها من قبل المتخصصين. وأكد كريِّم قائلاً:

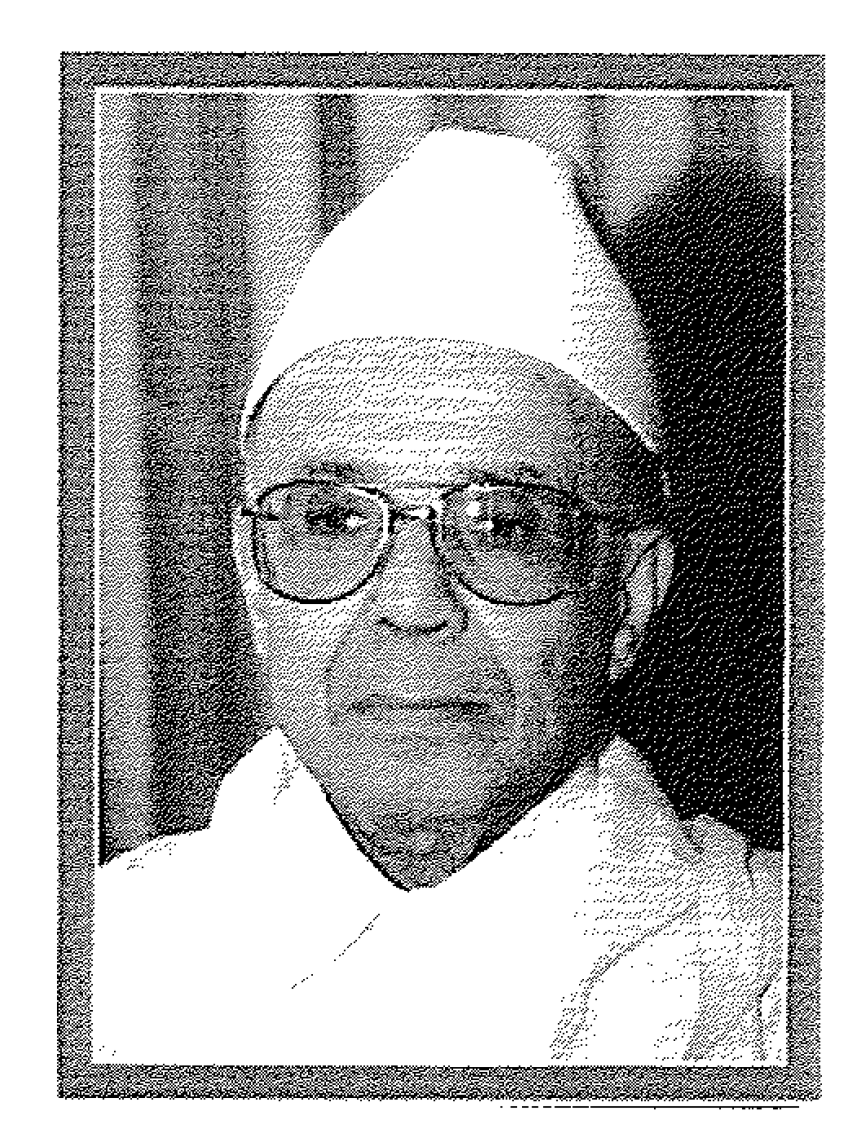
يجب أن نهتم في بداية الأمر بالأرشيف الوطني للدول العربية، فإذا كان من صعوبة في بعض الأحايين الوقوف على الوثائق المعاصرة والحديثة، فإنّ المكتبات أو الخزانات الموجودة في الدول الشقيقة زاخرة بالوثائق وهي بأشد الحاجة إلى دراستها وتحقيقها ونشرها بين الأجيال ليطلعوا عليها بعد طول نسيان. ونذكر هاهنا أنّ الجامعات والأكاديميات والمراكز العلمية في الوطن العربي قد قامت خلال القرن الماضي بأعمال جليلة وهامة تجلّت في تقديم برامج في الدراسات العليا لطلاب الماجستير والدكتوراه، حيث قام عدد كبير منهم بتحقيق الكثير من الموضوعات الأرشيفية ونشر الوثائق والمخطوطات بعد أن طواها النسيان لعقود طويلة، مما كشف للجميع عن كنوز من الدراسات التاريخية والفكرية المختلفة.

مُلكٌ للإنسانية

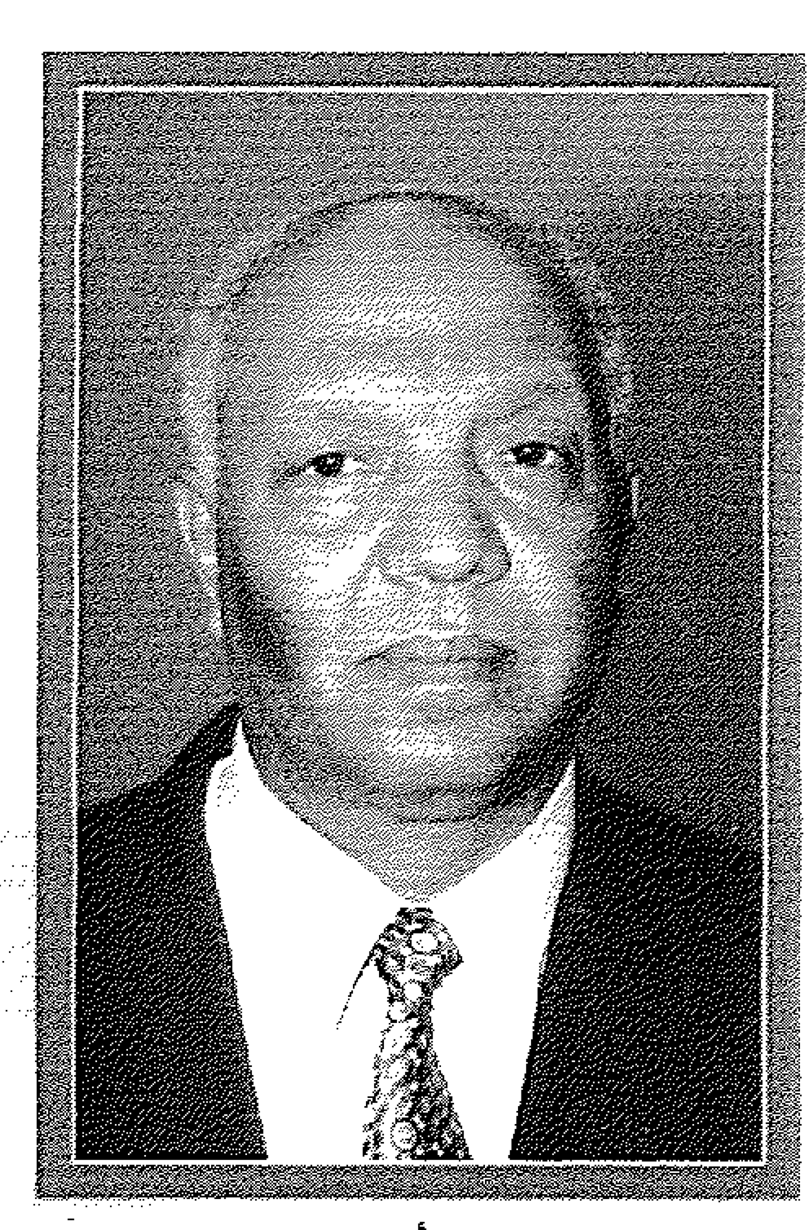
وأوضح الدكتور جمال أحمد عثمان المستشار الثقافي لليونسكو في منطقة الخليج العربي أن الوثيقة يمكن أن تكون تاريخاً إذا بحثت في السجلات القديمة، ويحقق منها من قبل متخصصين. وليست كل وثيقة تاريخاً، إذا لم تعرض على جهات مختصة وعلماء متخصصين في الوثائق وفي قراءتها، والبحث في أهمية الوثيقة والتحقق من مدى صحتها ومن المصادر الآتية منها، عند ذلك كله يمكننا أن نعرف صدقها وأنها أصلية، وهناك على سبيل المثال مراسلات تمت بين قنصل بريطانيا عمل في منطقة الخليج العربي وبين بلده بريطانيا، وتوجد نصوص لهذه الرسائل الأصلية وقد اطلعتُ على تلك النصوص عندما أعددت بحثاً حول وثائق الخليج العربي في الأرشيف الفرنسي بوزارة الخارجية الفرنسية بباريس.

كشف الحقيقة التاريخية

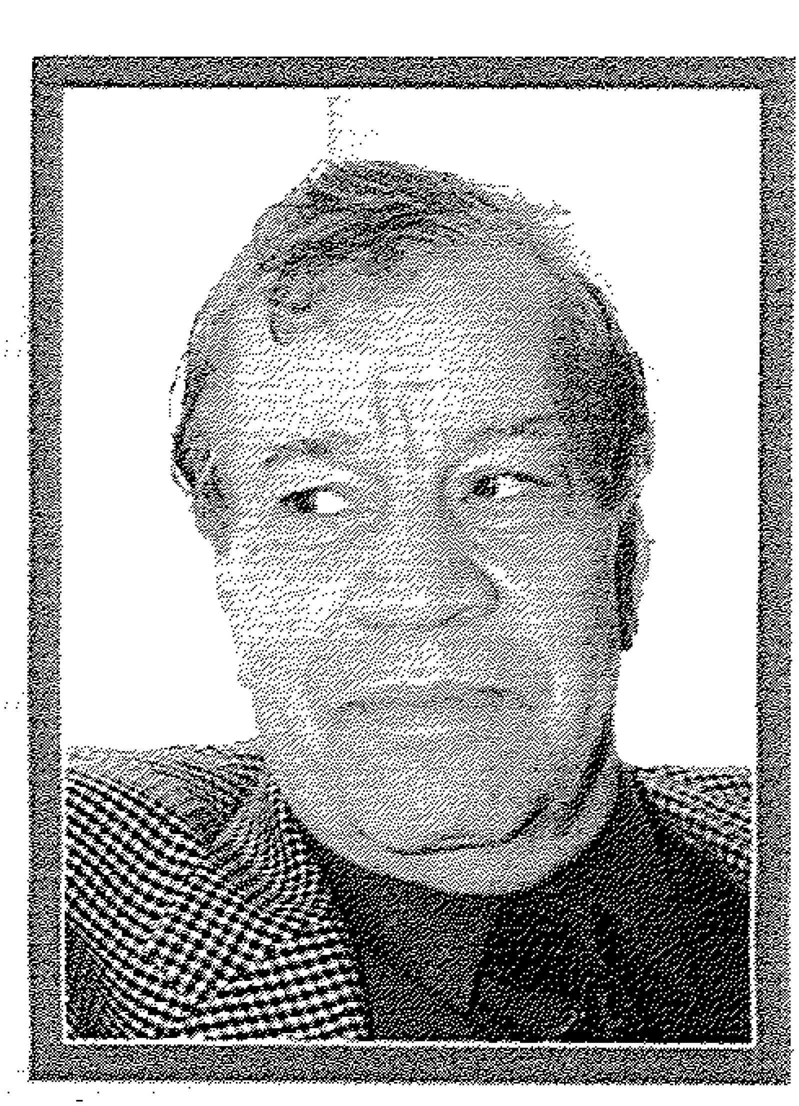
وتناول الأستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم (جامعة عين شمس- مصر)، موضوع الوثيقة ليشير إلى أن المؤرخ بإمكانه الاستعانة بالوثيقة من



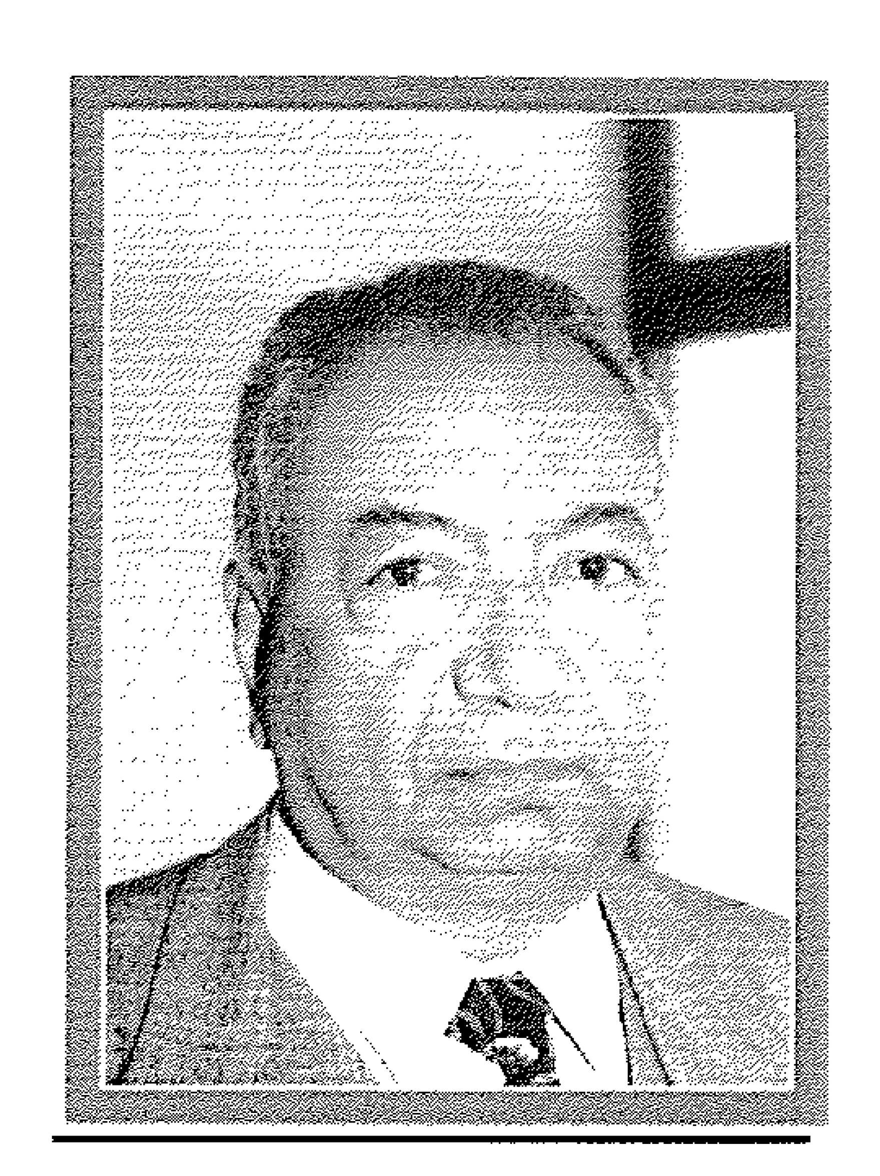
د. عبد الكريم كريِّم - المغرب



د. جمال أحمد عثمان
المستشار الثقافي لليونسكو
بمنطقة الخليج العربي



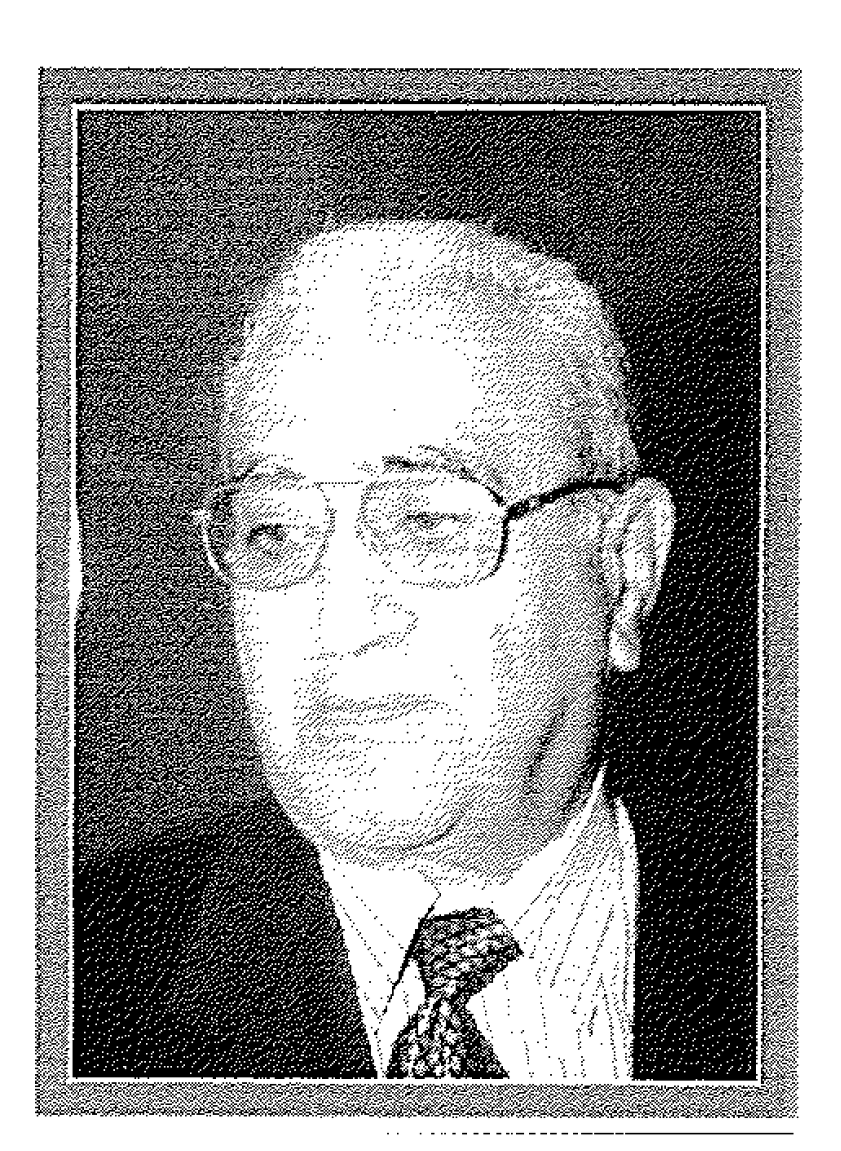
أ. د. جمال زكريا قاسم
مصر



د. رؤوف عباس حامد
مصر



جمعة بن حمدان الشحي
سلطنة عمان



د. حسن الفكيكي
المغرب

أجل أن يدون التاريخ، وفي كشف الحقيقة التاريخية لكونها تشتمل على أشياء كثيرة مثل المعاهدات الدولية والتي توقع بين دولة وأخرى، وبشرط أن يوقع عليها بأنّها وثيقة، وأن تأخذ نفس الشكل الرسمي لها، أو التقارير الرسمية، إضافة إلى البيانات التي تصدر عن مؤسسات الدولة، مثل هذه الأشياء التي تتضمنها الوثيقة التي يمكن للمؤرخ أن يستند عليها، وأضاف.

وبالنسبة لعيوب الوثيقة فإننا نشير إلى بعضها نحو: أن لاتكون الوثيقة غير مُصدَّق عليها أو معتمدة أو مستوفية للشكل، فلابد وهذه الحالة أن تكون الوثيقة أصلية، وأن تخلو من التزوير والتزييف، وباستطاعة المؤرخين العاملين في هذا المقام أن يكتشفوا الوثيقة الصحيحة من غير الصحيحة. ونسأل هاهنا: كيف يمكن قراءة وتحليل الوثيقة؟ وللإجابة نقول: إنّ الوثائق كما نعلم جميعاً هي بحد ذاتها جامدة، ثم يأتي المؤرخون وهم الذين بمقدورهم أن يحللوا ويستكشفوا الوثيقة، فليس المهم عندهم الوثيقة بذاتها بل المهم في قراءتهم الصحيحة لها، ويجب أن لا يأخذ هؤلاء المؤرخون الوثائق على علاتها، إنّما الواجب عليهم أن يطبقوا على تلك الوثائق التي يشتغلون عليها أساليب ومناهج البحث العلمي المتعارف عليها عندهم.

كل أصل سُجلت عليه معلومة

ومن جانبه اعتبر الأستاذ الدكتور رؤوف عباس حامد (جامعة القاهرة) الوثيقة بأنّها: كل أصل سجلت عليه معلومة، وبالتالي فإنّها تصبح مصدراً للدراسة التاريخية إذا كان للمعلومة التي سجلت عليها قيمة تاريخية، وبهذا تكون الوثيقة مصدراً من مصادر التاريخ. وإنّ أي وثيقة مهما كانت فهي تعبر عن وجهة نظر كاتبها، وبالتالي فإنّ وجهة النظر هذه بحاجة إلى غربلة عند المؤرخ الذي سيتولى تجميع المواد المختلفة ومنها الوثائق التاريخية، ويحاول أن يخضع مادة الوثيقة للتحليل كي يصل إلى الحقيقة أو ما يقرب منها، لأنّ الحقيقة غير موجودة ولا يستطيع المؤرخ أن يصل إليها مائة في المائة، بل إلى ترجيح ما يمكن أن يوصله إلى تلك الحقيقة المنشودة.

في السياق التاريخي

وأشار الباحث جمعة بن حمدان الشحي (سلطنة عُمان) إلى أنّه يجب علينا فهم الوثيقة فهماً صحيحاً ووضعها في سياقها التاريخي وتطابقها مع المعطيات المحلية والتاريخ المتداول بين المناطق والأهالي التي تحدثت عنه، لأنّ هناك مغالطات في بعض الوثائق وخصوصاً الوثائق الغربية، فلا بدَّ للباحثين من تمحيصها وتدقيقها والتأني قبل نشرها للعامة.

عملة أساسية

وقال الدكتور حسن الفكيكي (باحث في مديرية الوثائق الملكية في الرباط بالمغرب): إنّ الوثيقة عملة أساسية وثمينة في بحوثنا التاريخية، إذ لايمكن أن نكتب التاريخ إلاّ على أساس وثيقة، ويعني أنّه يتوجب على الباحث في التاريخ عدم الاستغناء في

بحثه كيفما كان الموضوع أو مساحة البحث عن الوثيقة، سواء كانت وثيقة رسمية متداولة أو امتداداً ذا اتجاه اجتماعي لجميع أنواع المناحي الاقتصادية، أو كأداة بمغزى سياسي. والوثائق معلومة بتاريخها أولاً وبزمنها ومعروفة أيضاً بالمسافة التي تقطعها بين المُرسِل والمُرسَل إليه، أضف إلى ذلك ما تناولته الوثائق من موضوع واحد أو مواضيع عديدة.

وأجاب الفكيكي عن صدق الوثيقة من التاريخ بقوله: على الباحث في التاريخ أن يصادق على الوثيقة المكتوبة التي يصر عليها ويعدها وثيقة بوضعها تحت المجهر وبيده بمقاييس ومعايير مختلفة، لأنّ الوثائق تخضع للفحص من حيث التاريخ والأحداث المكتوبة فيها والأشخاص، فإذا توفرت أمثال هذه الشروط فليس الشيء الذي بين أيدينا سوى الوثائق الصحيحة التي يبحث عنها المؤرخون.

الذاكرة الحيّة للشعوب

بينما قال الأستاذ قاسم محمد أبو حرب(مدير مركز الوثائق بجمعية الدراسات الإسلامية في القدس الشريف). إنّ هناك عملية خلط تتم مابين الوثيقة التاريخية والوثيقة المُعاصرة. فالوثيقة التاريخية تتناول إنتاجها وتداولها عبر التاريخ وإلى ما قبل نصف قرن تقريباً، وتقسم الوثائق إلى ثلاثة أنواع وهي: (وثائق فعّالة، ووثائق شبه فعّالة، ووثائق غير فعّالة وتشمل الوثائق التاريخية). بينما تحتفظ الوثائق التاريخية بقيمتها الإدارية والقانونية والمالية، والمتعلقة بالجوانب الاجتماعية، وبالتالي ترتبط الوثيقة بالأجيال الماضية وتعبر عن علاقة الإنسان بالأرض وبتاريخه، وأضاف أبو حرب قائلاً:

وتمثل الوثائق ذاكرة حيّة للشعوب والأمم وهي جزء من الهوية الوطنية، وأما مسألة المحافظة عليها فيتم بفهرستها وتصنيفها لتكون مرجعاً تاريخياً يعتمد عليه في قضايا تاريخية كثيرة لأنّها ترسم لهم مسيرتهم للحاضر والمستقبل. ونرى الوثائق ليست مجرد أوراق قديمة بل تتنوع الوثائق لتكون مسموعة أو أشياء مادية أو صورة مرتبطة بشعب من الشعوب. ويأتي دور الباحثين والمؤرخين المهتمين بالتاريخ لتحتاج الوثائق من خبراتهم إلى دراستها وتدقيقها بالاستناد إلى المصادر المختلفة للتأكد من صحتها أو عدم صحتها. ولكن الوثائق بكل الأحوال هي وثائق بحكم صدورها مادامت تحمل تاريخاً وختماً فهي وثائق.



قاسم محمد أبو حرب

فلسطين

وختمت السيدة دعد الحكيم (مديرة مركز الوثائق التاريخية بدمشق) موضوعنا لتشير قائلة: تخضع الوثيقة أولاً إلى التحقق من صحة الراوي أو الكاتب، وللتحقق من صحة الوثيقة بكونها لشخص واحد، فعلينا التأكد بمقارنتها مع وثيقة أخرى من ناحية تقارب التاريخ ونوعية الورق وتطابق الإمضاء، لتعتبر الوثيقة أصلية وغير منسوخة. وللتأكد من إثبات تاريخها يمكننا العودة إلى كاتبها عن طريق ما يتحدث الآخرون عن مدى صدقه في الرواية واستقامة الحديث. ولكون الوثيقة يعتمد عليها أكثر من التاريخ، فالتاريخ يرويه عدّة رواة، بأسلوب مختلف، أما الوثيقة فتعبر عن الرأي الشخصي لكاتبها. واختتمت الحكيم الحديث بالقول:



دعد الحكيم

سوريا

هناك الكثيرون الذين يحاولون استغلال تزوير الوثائق، نحو إخفاء النسخة الأصلية منها وتزويرها بما يناسب غرضهم لطمس بعض الحقائق. كما أنّ الإتلاف الذي يلحق بالوثيقة يغير كثيراً من مصداقيتها، **وهناك دول تخفي وثائق لمصلحتها** الخاصة، كون الوثائق التي بحوزتها لو أفرج عنها فإنّها ستكشف أهداف وتوجهات هذه الجهة المعنية بها، وكذلك فقدان **بعض أوراق الوثيقة**، فإنّه يُضعف صدقها **وقيمتها التاريخية والوثائقية على حدٍّ** سواء.■

عناق التاريخ والثقافة في



في هذا الشهر.. يتعانق التاريخ مع الثقافة في مشهد رائع عند افتتاح مكتبة الإسكندرية.. التي تضافرت جهود الإنسانية لتعيد صياغتها، وإنشاءها من جديد، وكان للإمارات الباع الكبير في ذلك حيث تبرعت بمبلغ ٢٠ مليون درهم لإعادتها إلى الوجود، كشاهد على عظمة الثقافة عندما تضع يدها في يد التاريخ لخدمة البشرية جمعاء.

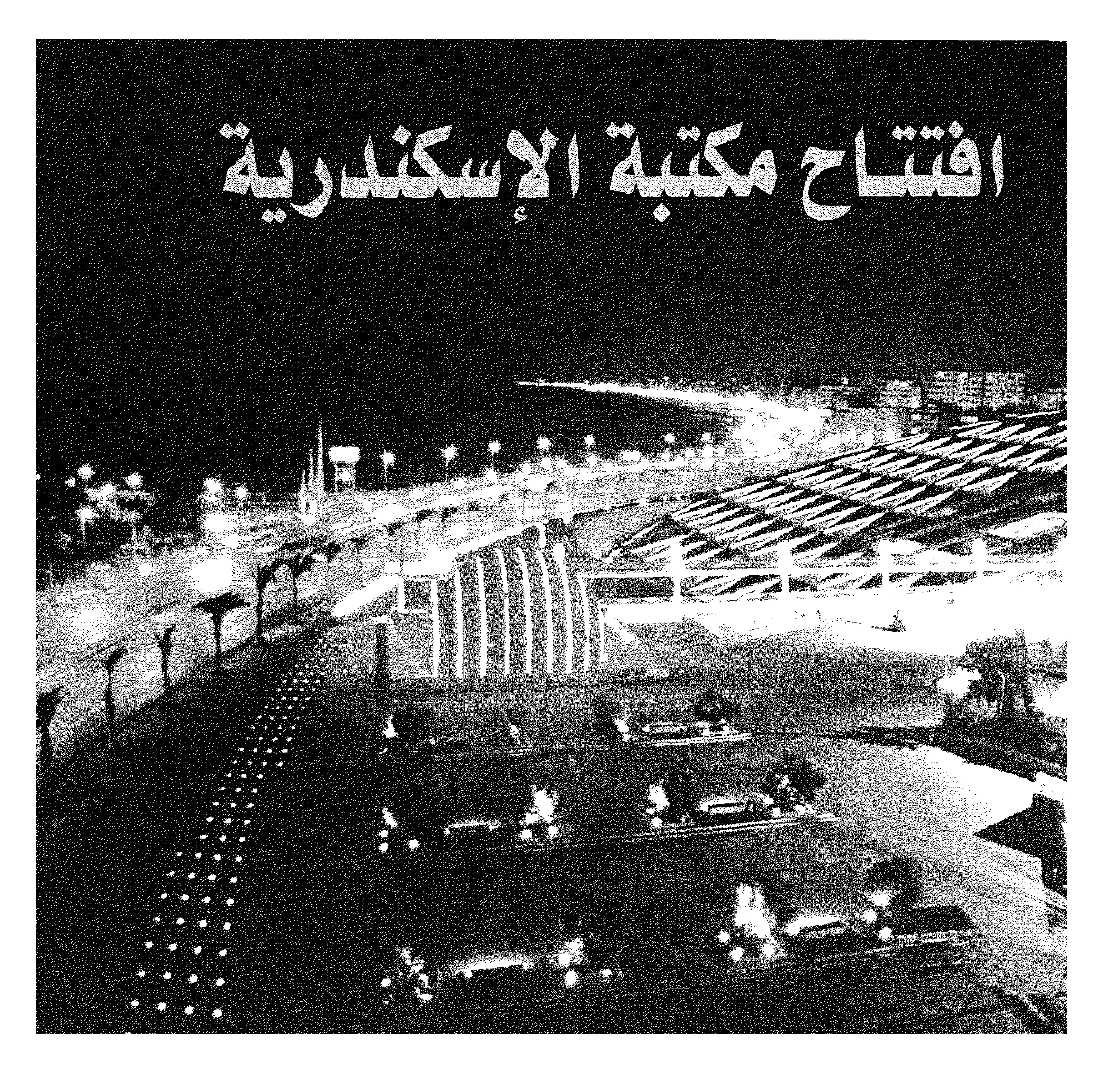
في هذا الشهر.. يتجمع عدد من كبار رجالات العالم في السياسة والثقافة والفكر والفنون والأدب ومختلف العلوم.. ليشهدوا الحدث الكبير الذي سيكون بالتأكيد دعامة قوية للثقافة، ومعيناً لا ينضب للتاريخ.. ونبعاً للفكر وأرشيفاً أميناً له.. تتحد روافده لتخدم الإنسانية جمعاء في كل مكان.

عن المكتبة.. نقدم هذا التقرير.

■ د. خالد عزب

كانت مكتبة الإسكندرية درة التاج على جبين المدينة القديمة، التي أسسها الإسكندر المقدوني قبل ثلاثة وعشرين قرناً من الزمان، وكانت موطناً للملوك البطالمة العظام، وموئلاً لكليوباترا، ومعقلاً للعلماء والمفكرين. مدينة الإسكندرية بواقعها المؤجّج للعبقريات الأدبية والإبداعات العلمية، دوّنت تاريخها الخلاق الممتد من اكاليماخوس، إلى هيباتيا، إلى الطرطوشي، إلى البوصيري، إلى كفافيس ولورانس داريل.

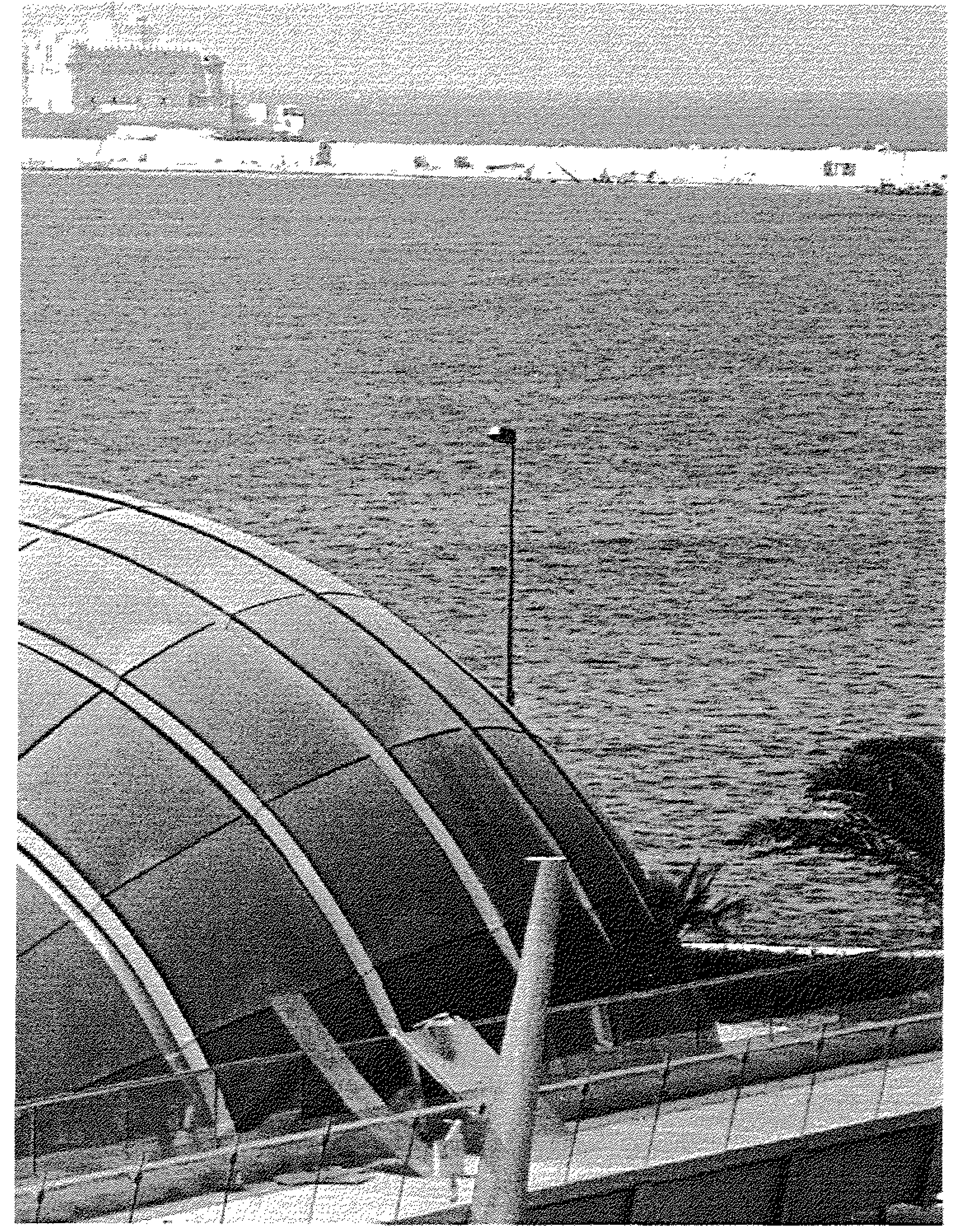
وها هو ماضي المدينة يخرج علينا من ساحل



افتتاح مكتبة الإسكندرية

البحر، حيث تطل المكتبة الجديدة. لتحكي لنا الآثار الغارقة فصلاً بديعاً من تاريخ الإسكندرية ومجدها القديم.. وهو ما لم نكن نعرفه لولا تلك الآثار التي ظلت غارقة قروناً.

أما مبنى المكتبة الجديد، الذي تعكسه الصور والأرقام والحقائق، فهو يستوعب أربعة ملايين من الكتب، ويضم ثلاثة متاحف، وخمسة معاهد بحثية، والعديد من المعارض وقُبة سماوية، ومركزاً متطوراً للمؤتمرات (به ثلاثة آلاف مقعد).. وقد أحيطت المكتبة بجدار جرانيتي نقشت عليه أبجديات البشر.



مكتبة الإسكندرية (حقائق وأرقام)

تقع مكتبة الإسكندرية الجديدة في مواجهة مجمع الكليات النظرية بجامعة الإسكندرية بمنطقة الشاطبي وتطل واجهتها الشمالية على البحر المتوسط عند لسان السلسلة، وموقع المكتبة الجديد هو ذاته موقع البروكيوم (الحي الملكي القديم المنتمي للحضارة اليونانية الرومانية) كما تدل على ذلك الحفريات الأثرية التي أجريت بالمنطقة في عام ١٩٩٣ ويحد موقع المكتبة الكورنيش والبحر من الشمال، والمكتبة تطل على المنظر الرائع للميناء الشرقية. ووجود مركز المؤتمرات بالموقع على مساحة ٥٠٠٠ متر مربع يساعد علي الارتقاء بخدمات المكتبة.

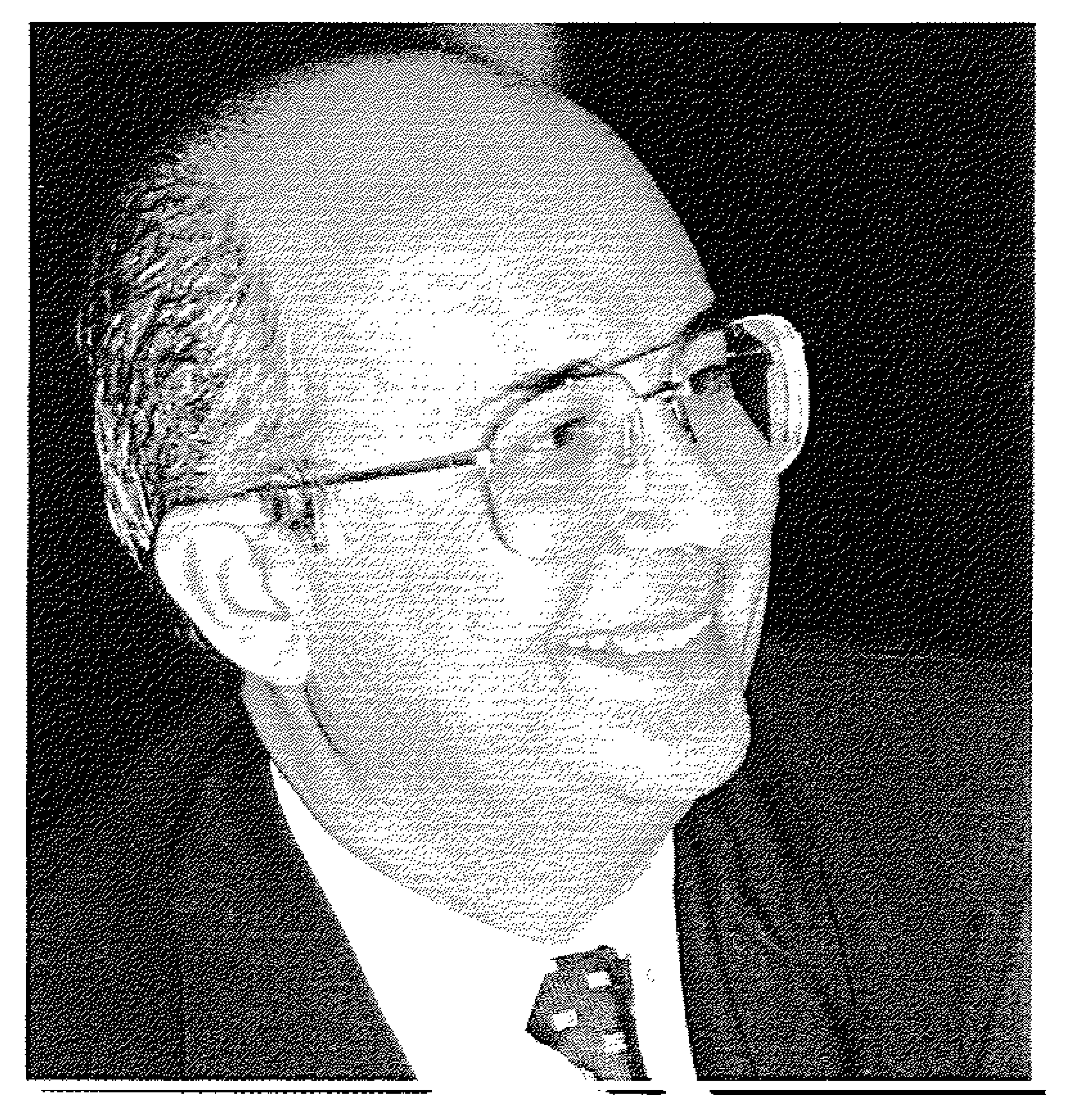
حقائق وأرقام

- عدد الطوابق: ١١ طابقاً.
- إجمالي مسطح الأدوار: ٨٥٤٠٥ أمتار مربعة.
- ارتفاع المبنى: ٣٣ متراً.
- مسطح المكتبة العامة: ٣٦٧٧٠ متراً مربعاً.
- مسطح النشاطات الثقافية: ٤٢١٠ أمتار مربعة.
- مسطح الخدمات الفنية والتقنية: ١٠٨٦٠ متراً مربعاً.
- المعهد الدولي لدراسة المعلومات: ٣٥٠٠ متر مربع.
- مركز المؤتمر بالإضافة إلى خدمات فرعية ومسطحات إضافية: ٣٠٨٤٠ متراً مربعاً.
- **عدد المجلدات: ٤٠٠ر٠٠٠ عند الافتتاح ـ ٨ ملايين مجلد على المدى البعيد.**
- **عدد الدوريات: ١٥٠٠ / ٤٠٠٠.**
- **مواد سمعية وبصرية ـ وسائط متعددة: ١٠٠٠٠ / ٥٠٠٠٠٠.**
- **عدد المخطوطات والكتب النادرة: ١٠٠٠٠ / ٥٠٠٠٠.**
- **عدد الخرائط: ٥٠٠٠٠.**
- **نظم معلومات وقواعد بيانات متكاملة باستخدام الحاسب الآلي والوسائط المتعددة والاتصال بشبكة الإنترنت الدولية.**

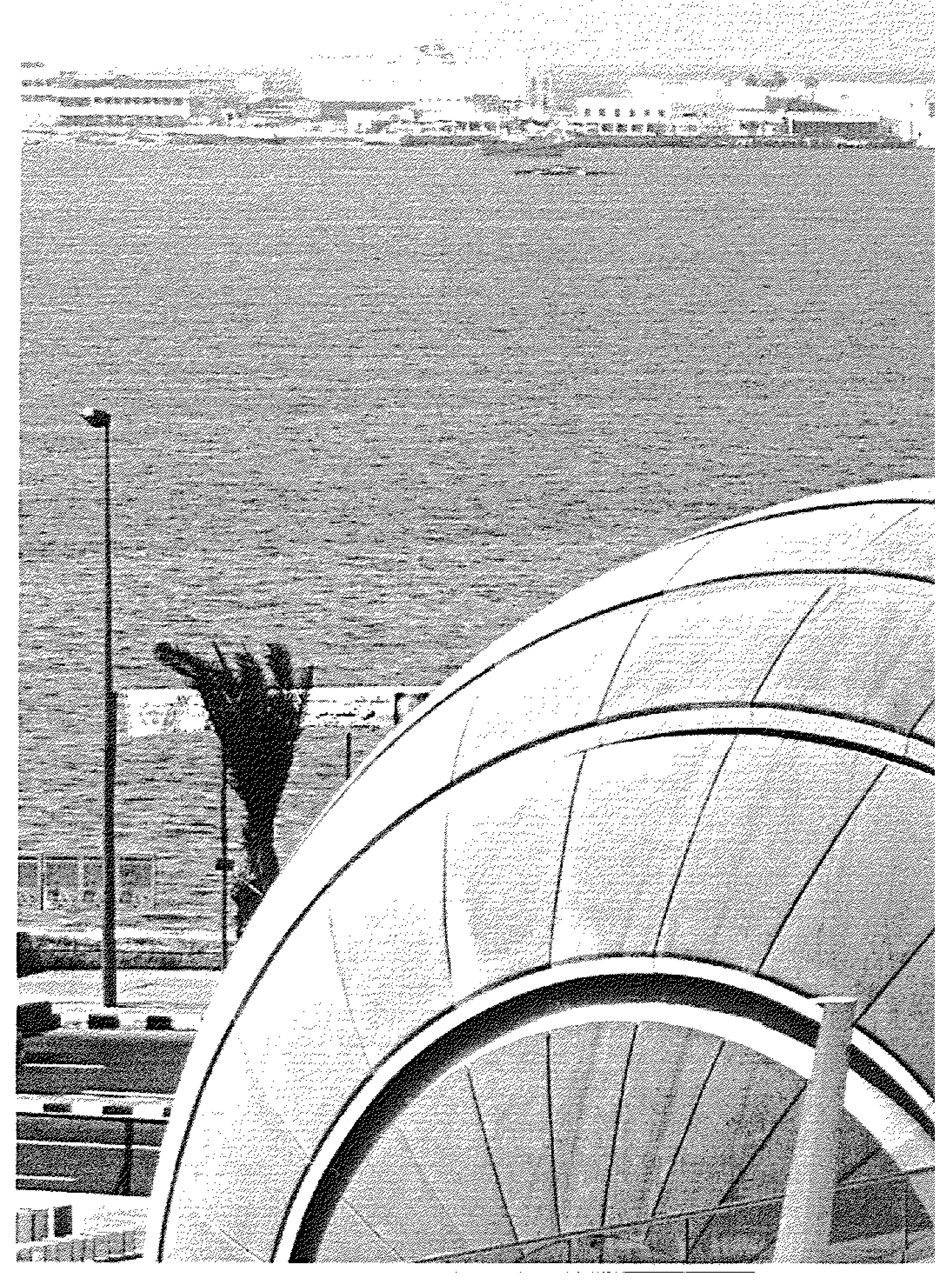
عناصر المكتبة

يضم مجمع مكتبة الإسكندرية: المكتبة الرئيسة، مكتبة الشباب، مكتبة المكفوفين، القبة السماوية، متحف العلوم، متحف الخطوط، المتحف الأثري، المعهد الدولي لدراسة المعلومات، معمل الحفظ والترميم، مركز المؤتمرات والخدمات الملحقة به بالإضافة إلى الفراغات المتعددة الأغراض والمعارض.

كان الراعي الأول لهذا المشروع الحضاري العظيم منذ بدايته وحتى الآن السيدة سوزان مبارك قرينة رئيس الجمهورية المصري، التي لم تكل في متابعة كل أنشطته برعايتها. أما جامعة الإسكندرية فكانت صاحبة الفضل في النداء لفكرة إحياء مكتبة الإسكندرية، وقامت بالفعل بتخصيص الأرض وبناء مركز المؤتمرات في ذلك الموقع المتميز عند السلسلة، ثم تفضل الرئيس محمد حسني مبارك بتبني المشروع كمشروع قومي، وتولى الدكتور فتحي سرور وزير التعليم آنذاك الدعوة الدولية مع اليونسكو، وكان تأسيس الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية



د. اسماعيل سراج الدين
مدير مكتبة الإسكندرية



القبة السماوية - مكتبة الإسكندرية

بقرار جمهوري سنة ١٩٨٨، وتبعت وزارة التعليم، وتابع المشروع الدكتور حسين كامل بهاء الدين ثم الدكتور مفيد شهاب أثناء توليه وزارة التعليم العالي، وساعد الوزير المهندس صفوت سالم رئيس القطاع بالوزارة خصوصاً في الفترة الأخيرة من تنفيذ المشروع.

وشارك مدير عام اليونسكو بالدعوة للمشروع بنداء عام ١٩٨٧، ونظمت اليونسكو مسابقة معمارية شارك فيها مئات المكاتب المعمارية من عشرات الدول واختير أفضل التصميمات والذي فاز به مكتب نرويجي بالاشتراك مع استشاري مصري هو الذي تولى التصميمات الإنشائية. وحضر العديد من الشخصيات العالمية مؤتمر ١٩٩٠ الذي أصدر إعلان أسوان، وكوّن اللجنة التوجيهية الدولية برئاسة السيدة سوزان مبارك، وبادرت منذ ذلك الحين بعض الدول العربية بدعم هذا المشروع مادياً ثم تبعها عدد من الدول الأخرى. بدأ التنفيذ في سنة ١٩٩٥، وتم نقل التصور المعماري إلى واقع ملموس، عبر سنين طويلة إلى أن ظهر المبنى رائعاً مبهراً على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. والآن وقد حان الافتتاح رأت القيادة السياسية ضرورة تطوير أوضاع المكتبة بما يتناسب ورسالتها العالمية، فصدر للمكتبة تشريع خاص، نقل تبعيتها لرئيس الجمهورية الذي حدد التشكيلات الإدارية المناسبة للإشراف عليها وتصريف شؤونها الإدارية والمالية.

فمن الناحية التنظيمية: مجلس الرعاة برئاسة رئيس الجمهورية أو من يختاره (ويشمل رئيس جمهورية فرنسا وملكة أسبانيا وغيرهما من القادة العالميين)، ومجلس الأمناء برئاسة رئيس الجمهورية أو من يختاره (ويشمل عدداً من الشخصيات المصرية وغير المصرية)، ومدير المكتبة وله كل المسؤولية في تصريف شؤونها.

وقد ضم مجلس أمناء المكتبة عدداً من الشخصيات الدولية. فهو يتكون من اثنين وعشرين عضواً بصفتهم الشخصية، بالإضافة إلى خمسة أعضاء بصفتهم الرسمية، وهم وزراء التعليم العالي، والثقافة، والخارجية، ومحافظ الإسكندرية، ورئيس جامعة الإسكندرية بجمهورية مصر العربية.

والعلماء هم: **أحمد زويل** (مصر)، **اويل سيمونز** (الولايات المتحدة الأمريكية)، **أمبرتو إكو** (إيطاليا)، **جاك أتالي** (فرنسا)، **ستيفن جاي جولد** (الولايات المتحدة الأمريكية)، **طاهر بن جلون** (المغرب)، **فاروق الباز** (مصر) **فيجرس فينبو جاديتر** (آيسلندا)، **كارل ثام** (السويد)، **كازوو تاكا هاشي** (اليابان)، **لويس مونريال** (أسبانيا)، **مونكومبو سواميناثان** (الهند)، **هانس بيتر جيه** (ألمانيا)، **يولندا كاكابيدزو** (إكوادور).

مكتبة الإسكندرية القديمة

استقر العرف على أن بداية التاريخ تكون مقترنة باكتشاف الكتابة في المجتمعات، فربما جاز لنا أن نقرن تأسيس المكتبات ببلوغ المجتمعات مستوى رفيعاً من التحضر، ففي المجتمع المصري مثلاً كان المعبد مركزاً للتعليم واستمر هذا التقليد، محافظاً عليه في العصر الهيلينستي والروماني، كذلك كان للقصور الملكية مكتباتها ودور وثائقها. كما انتشر أيضاً في أوروبا حيث نسمع عن أول مكتبة عامة أسسها بيزاستراتوس في أثينا في القرن السادس ق.م.

ومكتبة الإسكندرية مع الفنار مثلت منارتين شهيرتين في العالم الهلينستي الذي أرسى قواعده الإسكندر الأكبر بفتوحاته الكبيرة التي كانت لها نتائج شديدة التأثير على مستقبل الثقافة والفكر الإنساني، بالإضافة للنتاج السياسية والعسكرية، حيث كان الإسكندر هذا اشبه ما يكون بالمعجزة في الإبداع الفكري في مجالات الأدب والفن والفلسفة، فهو تلميذ أرسطو الذي أثر في شخصيته فكان ذا عقلية متطلعة للمعرفة، فنظر العلماء لفتوحاته على أنها إضافة مادية هائلة للمعرفة خاصة في مجال الجغرافيا. وقد جذبته الإسكندرية منذ أن وقعت عليها أنظاره لتميز موقعها وتحصيناتها الطبيعية والتي أثبتت من بين جميع المدن التي أسسها في أرجاء إمبراطوريته أنها أعظمها شأناً وأبقاها على الزمن، حتى أنها اكتسبت عنصراً أسطورياً أخذته من مؤسسها الذي أصبح أشبه بأسطورة. وجاءت وفاة الإسكندر المفاجئة في ٣٢٣ ق.م، وفقاً لأحلامه الكبيرة والتي بدأ في تحقيقها من بعده البطالمة، فعند تقسيم مملكة الإسكندر بين قواده اختار بطليموس الأول مصر ونقل حكمه وإدارته للإسكندرية في ٣٢٠ ق.م. وكان أول من زاد ثراء المقدونيين بإضافته للإسكندرية أسواراً حصينة ومعابد وعبادات جديدة، والفنار الشهير والمجتمع العلمي المعروف باسم (موسيون)، والمكتبة الملكية والتي يقع كل منها - بالإضافة لضريحه - ضمن منطقة القصور الملكية.

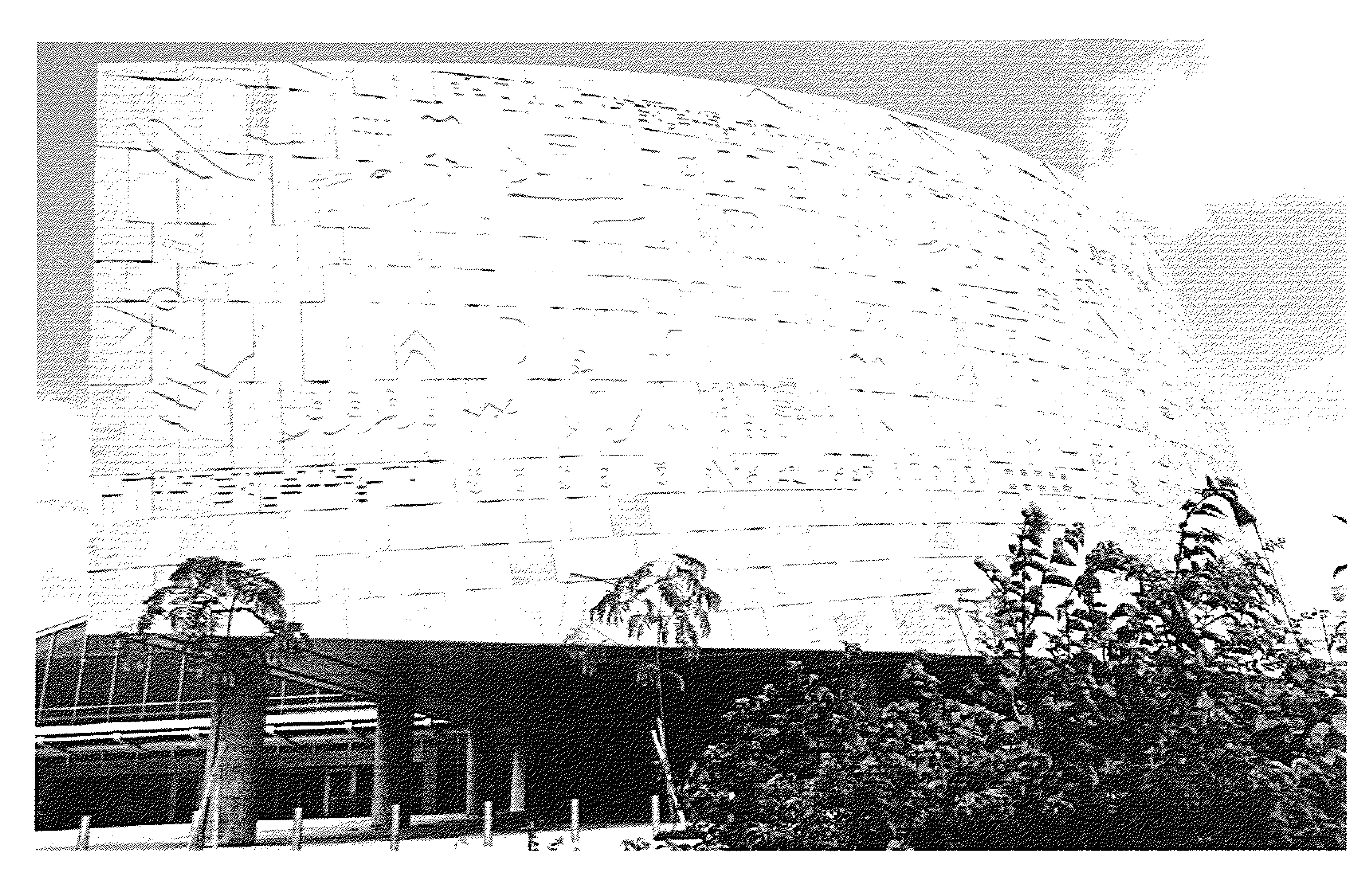
وقد استغرق تشييد بعض هذه المؤسسات التي بدأها بطليموس الأول سنوات امتدت عقداً أو اثنين أو أكثر، واكتمل بناؤها في عهد ابنه بطليموس الثاني الذي نسب إليه الاهتمام بجمال وفخامة الإسكندرية، كما أن عصره يمثل ذروة في الرخاء والازدهار ومن بعده بطليموس الثالث. وهكذا اجتذبت فرص العمل والشهرة والثروة في الإسكندرية أعداداً كبيرة من مهاجري بلاد البحر المتوسط وأكثر من اليونانيين.

وسرعان ما تبوأت الإسكندرية مكان الصدارة في التجارة العالمية، وفي مجال الثقافة والعلم، فبرغم تسابق قواد الإسكندر في ممالكهم لتحقيق السبق في الثقافة والعلم عن طريق تأسيس المكتبات ومراكز البحث العلمي في الإسكندرية وأنطاكية وبرجامة حتى أصبحت ظاهرة المكتبة العامة معلماً أساسياً في معظم المدن الهيلينستية كبيرها وصغيرها، وعلى الرغم من كثرة هذه المكتبات وأهمية عدد كبير منها، إلا أن مكتبة الإسكندرية كانت أشهرها جميعاً بلا جدال. ليس فقط لكونها أكبرها وأكثرها كتباً، لكن لارتباطها بواحد من أهم مراكز البحث العلمي، فكان يقصدها العلماء من جميع أقطار البحر المتوسط. حتى بعد اندثارها استمرت ذكراها في كتابات مؤلفي العصور الوسطى، وظل مصيرها وأسلوب اندثارها نقطة نزاع بين دارسي التاريخ إلى يومنا هذا، ولعل السبب في ذلك هو ندرة كل من المصادر المتاحة والكتب التي ألفت عن المكتبة وعن محتوياتها أو عن الموسيون. حتى أن تاريخ تأسيسها صار موضوعاً للمناقشة اختلفت حوله الآراء، ولكن من تحليلات المؤرخين، يميل الاعتقاد بأنها أسست في حوالي ٢٩٥ ق.م في عصر بطليموس الأول. ويتفق الموسيون في تخطيطه مع ما كان معروفاً في التخطيط الأساسي للمدرستين الفلسفيتين الشهيرتين في أثينا، ويصفه سترابون بأنه يقع في منطقة القصور الملكية، وله ممشى ورواق به عقود للطعام لأعضاء الموسيون وهم يشكلون جماعة واحدة لهم ملكية مشتركة ومعهم كاهن يعينه الملك - وهو رئيس الموسيون - مما يؤكد الشخصية الدينية للموسيون، وليس لدينا تفصيلات أخرى عن الأسلوب المعماري للبناء فوق ما ذكره سترابون.

ونلاحظ أن اسم الموسيون لا يخلو من دلالة، فقد انتشر وجود معبد ربات الفنون والمعارف (موساي) في المدارس الفلسفية الأثينية حيث كانت هذه الربات مصدراً للوحي في الفلسفة والفنون، وسنجد الجمع بين دراسة العلم والأدب متمثلاً في موسيون الإسكندرية، وقد نما الموسيون نمواً سريعاً وحاز شهرة عالمية خلال سنوات قليلة من تأسيسه، ويرجع ذلك لحرص البطالمة على استقدام أرقى العقول في ذلك الوقت. وقد استمر الموسيون في العصر الروماني لكن بدرجة متزايدة كمؤسسة تعليمية زاد فيها أيضاً الاهتمام بالفلسفة عن عصر البطالمة. أما بالنسبة للمكتبة الملكية فكانت مرتبطة بالموسيون والمتاخمة له في حي القصور الملكية مشرفة على الميناء، ولكن حين تكاثرت الكتب على هذه المكتبة تقرر إنشاء فرع لها ملحق بالبناء الجديد لمعبد السرابيون، الذي أعاد بناءه بطليموس الثالث (٢٤٦-٢١١ق.م) ويقع في الحي المصري جنوبي المدينة حيث يوجد عمود السواري.

ثروة من الكتب

حتى أن المصادر كانت تجمع المكتبتين في الحديث عنها،



جداريات أبجديات العالم القديمة في مكتبة الإسكندرية

ولعل السبب في ذلك راجع لوجود إدارة عليا واحدة يكون المسؤول عنها رئيس مكتبة يعينه الملك. أما إدارة المكتبة والموسيون فكانت منفصلة إدارياً، ومنصب رئيس المكتبة كان رفيعاً مرموقاً للغاية. وفيما يتعلق بالكتب فقد اشتهر البطالمة برغبة ملحة وسعي دائم وراء اقتناء الكتب لمكتباتهم سواء بالشراء أو النسخ، فقد ورد أن عدد الكتب في المكتبة الخارجية ٤٢٨٠٠ كتاب، وفي المكتبة الداخلية ٤٠٠ر٠٠٠ كتاب من الكتب المختلطة و٩٠ر٠٠٠ من الكتب غير المختلطة. وأكثر الكتب التي تم اقتناؤها يونانية، ولكن مع ذلك فقد وُجد أيضاً كتب شملت جميع الشعوب وكانت هناك أسواق معروفة لشراء الكتب مثل أثينا ورودس وهما أكبر أسواق الكتب في ذلك الوقت، وقد تُشترى نسخٌ مختلفة من كتاب معين. ومن الكتابات غير اليونانية التي احتوتها المكتبة: (السجلات المصرية المقدسة) تاريخ بابل، ديانات شرقية مثل الفارسية والبونية.. إلخ، وكانت كلها تترجم للغة اليونانية - والتي كانت اللغة الرسمية للدولة - حتى إن التوراة ترجمت أيضاً لليونانية. وكان التقليد المتبع هو تجميع الكتب في أكوام في مباني معينة قبل أخذها للاستخدام في المكتبة، ويقوم معاونوا المكتبة بعملية التسجيل والفهرسة وحرصوا على إثبات منشأ الكتاب أو مصدره، ويليه اسم المورد أو صاحب الكتاب بالإضافة إلى اسم المؤلف مع الإشارة إذا كان الكتاب مختلطاً (ويحتمل أنه الذي يشتمل على أكثر من عمل واحد) أو إذا كان غير مختلط (وهو لعمل واحد فقط)، وأخيراً يذكر في البيانات طول المخطوط ويحدد بعدد الأسطر.

وكان أجر الكاتب يحدد وفقاً لعدد الأسطر وجودة الكتابة.

وقام دقلديانوس بتوحيد التكاليف والأجور طبقاً لنظام محدد.

وعلى هذا النحو وجد سجل مستمر بأحدث مقتنيات المكتبة وفهرست تفصيلي لمساعدة القارى وإرشاده للكتاب الذي يطلبه، لكن هذا البيان لم يعد كافياً بعد أن نمت المكتبة نمواً هائلاً، كما أن قراء وعلماء غير مقيمين بالإسكندرية كانوا في حاجة لمعرفة كنوزها في شتى مجالات المعرفة ليطلبوا نسخاً منها أو يقصدوا إليها، فكانت الحاجة إلى دليل علمي ونقدي بين القيمة العلمية للكتب والمؤلفين في شتى المجالات، واختير (كاليماخوس) لمثل هذا العمل الضخم - فقد كان عالماً توفرت له معرفة موسوعية مع طاقة من العمل لا تنفذ - فألحق بالقصر وكلف بهذا المشروع الذي تبلور فيما عرف باسم (بيناكس) ومعناها السجلات أو الفهرست. ولكن لم يصلنا شيء مباشرة من هذه السجلات، وبالاستنتاج يمكن التعرف على منهجه، فيبدو أن تقسيمه الأساسي قام حسب الموضوعات والتي عثر منها على: بلاغة، قانون، شعر، ملاحم، تراجيديا، كوميديا، شعر غنائي، طب، تاريخ، رياضيات، علوم طبيعية، متنوعات. وتحت كل موضوع رتبت أسماء المؤلفين أبجدياً، ويلحق كل مؤلف سيرة مختصرة بحياته وعرض نقدي لمؤلفاته، وأصبحت هذه السجلات نموذجاً يحتذى به في الأعمال اللاحقة امتد تأثيره إلى العصور الوسطى.

الحياة العلمية

بتأسيس الموسيون والمكتبة توفرت في الإسكندرية الشروط الأساسية لقيام حركة علمية سليمة تعتمد على أصول من البحث العلمي في مجالات متعددة، وكان العصر مهيأ وقادراً على دفع التجربة العقلية خطوات جديدة عملاقة في الفن وشعر الملاحم والدراما والفلسفة والدراسات اللغوية والأدبية والعلمية، والدراسات في هذه المجالات لم يمكن ممارستها بكفاءة عالية دون إرساء تقاليد من البحث العلمي المتصل في ظل الرعاية التي كفلها للعلماء الملوك الهيلينستيون المتنافسون. فأمكن إرساء قواعد منهج للبحث العلمي على أسس راقية في علوم متعددة أدى لبلوغ نتائج باهرة في الرياضيات والطبيعة والطب والجغرافيا والفلك، وفي نقد النصوص الأدبية. وقد كانت الثروة الضخمة من الكتب التي توفرت تحت أيدي هؤلاء العلماء أداة لازمة للعمل الجاد، حيث جمع لأول مرة خبرات اليونان الكلاسيكية مع الشرق الأدنى القديم، ولكن الأكثر أهمية وفعالية هو الموقف النقدي الذي اتخذه علماء الإسكندرية الأوائل من تلك الكتب فلم يقبلوا عن ثقة مصداقية مهما كان قدره، ولم يصدروا أحكامهم النهائية إلا بناء على تجربة عملية أو دليل رياضي أو رأي مستمد من نقد الشواهد. كما إنه يجب الإشارة إلى أن من تولى منصب رئيس المكتبة كان أيضاً من العلماء النابغين الذين تميز كل منهم في مجال معين وأضاف به للعلم أو للأدب اجتهاداً أو اكتشافاً عظيماً مثل (أرستارخوس) الذي كان أول من قال إن الأرض تدور حول الشمس، كذلك (أراتوسنثيس) الذي كان مديراً للمكتبة وأثبت كروية الأرض وحسب محيط الكرة الأرضي بدقة.

وكثيراً ما كانت إنجازات مدرسة الإسكندرية بالغة الدقة أو التعقيد، ولكنها رائعة، منها ما تميز بالخبرة والأصالة. بالإضافة إلى أن بعض الأعمال الرائدة جاءت مخالفة للمألوف في بعض المجالات وفاجأت المعاصرين بغرابتها، فمثلاً كان للأدب الفكاهي شعبية كبيرة. أما الناحية العلمية فحققت إنجازات عظيمة في عدد من العلوم كان للإسكندرية فيها دور الريادة والقيادة. وهذا النمو في الحركة العلمية كشف عن درجة عالية من الشخصية المستقلة للمدرسة السكندرية. حتى عند دخول المسيحية وانتشارها ونمو حركتها نجد التيارات الفلسفية التي تخدم الناحية الدينية قد انتشرت وظهرت عدة تيارات فلسفية ودينية بين أرجاء الإمبراطورية الرومانية ما بين الوثنية والمسيحية، لدرجة أنه في العقيدة المسيحية ذاتها كانت هناك تيارات منافسة لبعضها في مدارس مختلفة بالعالم البيزنطي، وكان للإسكندرية دور كبير واتجاه فلسفي ديني. فتبوأت مكاناً رائداً في الدين الجديد واكتسبت شهرة عالمية بفضل أساتذتها المرموقين، واستمر التلاميذ يفدون للإسكندرية للالتحاق بالمدرستين معاً الوثنية والمسيحية. كما أن هناك ظاهرة أخرى لها دلالتها في الوسط الأكاديمي وهي أن كثيراً من المصريين الذين جاؤوا للدراسة انتهى بهم الأمر إلى الالتحاق بهيئة التدريس. وكانوا يظهرون اعتزازهم وفخرهم بانتمائهم إليها.


أما عن مصير هذه الثروة من الكتب فيأتي التساؤل بشأنها، فلا يوجد ثمة خلاف في أنها دمرت أو اندثرت. ولكن كيف؟ وهل بقيت للقرن السابع الميلادي حين فتح العرب مصر؟ أو أنها اندثرت قبل ذلك؟ يجب أن ندرك أن الشواهد التاريخية بين أيدينا حتى الآن ليست حاسمة وتعتمد على تحليل النصوص الأصلية والاستنتاجات التي توصل إليها القدامى وتتركز احتمالاتهم حول ثلاثة أحداث أساسية وهي: حرب الإسكندرية في ٤٨ ق.م، تدمير معبد السرابيوم في ٣٩١م، وفتح العرب لمصر ٦٤٢م.

ففي حرب الإسكندرية كان قد اندفع قيصر وراء بومبيوس إلى مصر - في مرحلة من الحرب الأهلية الرومانية - فوصل إلى مصر ووجد بومبيوس قد قتل، وأن هناك حرباً أهلية مصرية بين كليوباترا وأخيها بطليموس الثالث عشر فاضطر قيصر لأن يأخذ جانب كليوباترا واشترك في الحرب. وأثناء الحرب حيل بين قيصر وقواته في الحصول على ماء الشرب، وانضمت ٥٠ سفينة لأسطول بطليموس فأراد قيصر أن يمنع عنه سبيل الحصول على أي دعم يمكن أن يأتيه فأحرق هذه السفن جميعاً فأمكنه السيطرة على مدخل الميناء وتدمير أسطول الأعداء. وفي كتاب قيصر عن الحرب التزم الحذر فيما يتعلق بآثار الحريق المدمرة في المدينة ذاتها والتي رجح الكثيرون أن من ضمنها المكتبة الملكية نظراً لاقترابها من البحر. أما الموسيون - والذي كان مؤسسة منفصلة - فقد نجا من الكارثة إلا أنه لحق به الأذى في ظل ثورة حدثت بالمدينة عام ٢١٥ حتى اضطر أعضاء الموسيون إلى الفرار خارج البلاد.

تدمير السربيون

بعد أن احترقت المكتبة الملكية في ٤٨ ق.م، أصبحت مكتبة السرابيوم هي المكتبة الرئيسة في الإسكندرية، ونظراً لوقوعها ضمن مباني السرابيوم فقد استمرت مكفولة بالحماية الدينية طالما بقيت للمعابد الوثنية قدسيتها وأمنها، ولكن بعد إعلان المسيحية ديناً رسمياً في الإمبراطورية بدأت قدسية المعابد تتعرض للتهديد خاصة في عهد ثيودوسيوس (٣٧٩- ٣٩٥) الذي شن حملة ضد الوثنية ومعابدها في أنحاء الإمبراطورية ومن ضمنها السرابيون الذي لجأ إليه الناس - باعتباره مبنى ضخماً - للاحتماء به، فأمر الإمبراطور بتدميره وأن تقوم مكانه كنيسة. ومصير مكتبة السرابيوم كان محل اختلاف الآراء، هل كان مع تدمير السرابيوم أو استمرت موجودة بعد تدمير المعبد. ■

الأبواب التاريخية في البلاد العربية



ونواصل الحديث عن الأبواب التاريخية في البلاد العربية، ونتحدث في هذا العدد عن الأبواب في البلاد العربية الأفريقية بعد أن أفردنا مساحة كبيرة في العدد الماضي للأبواب التاريخية في المدن العربية الآسيوية.

وبهذا الموضوع لن نغلق الملف، وإنما نترك الباب مفتوحاً للمزيد من المعلومات والوثائق وتاريخ تلك الأبواب، ونقول أيضاً: إننا بحثنا عن مصادر تسجل تاريخ الأبواب في بعض البلاد العربية فلم نجد.. لا المصادر.. ولا الأبواب.. فقد قال لنا بعض المهتمين: لا تبحثوا عن أبواب تاريخية في البلاد الفلانية، حيث لم تكن هناك أبواب، ولا في البلاد الفلانية لأنه لا توجد مصادر.

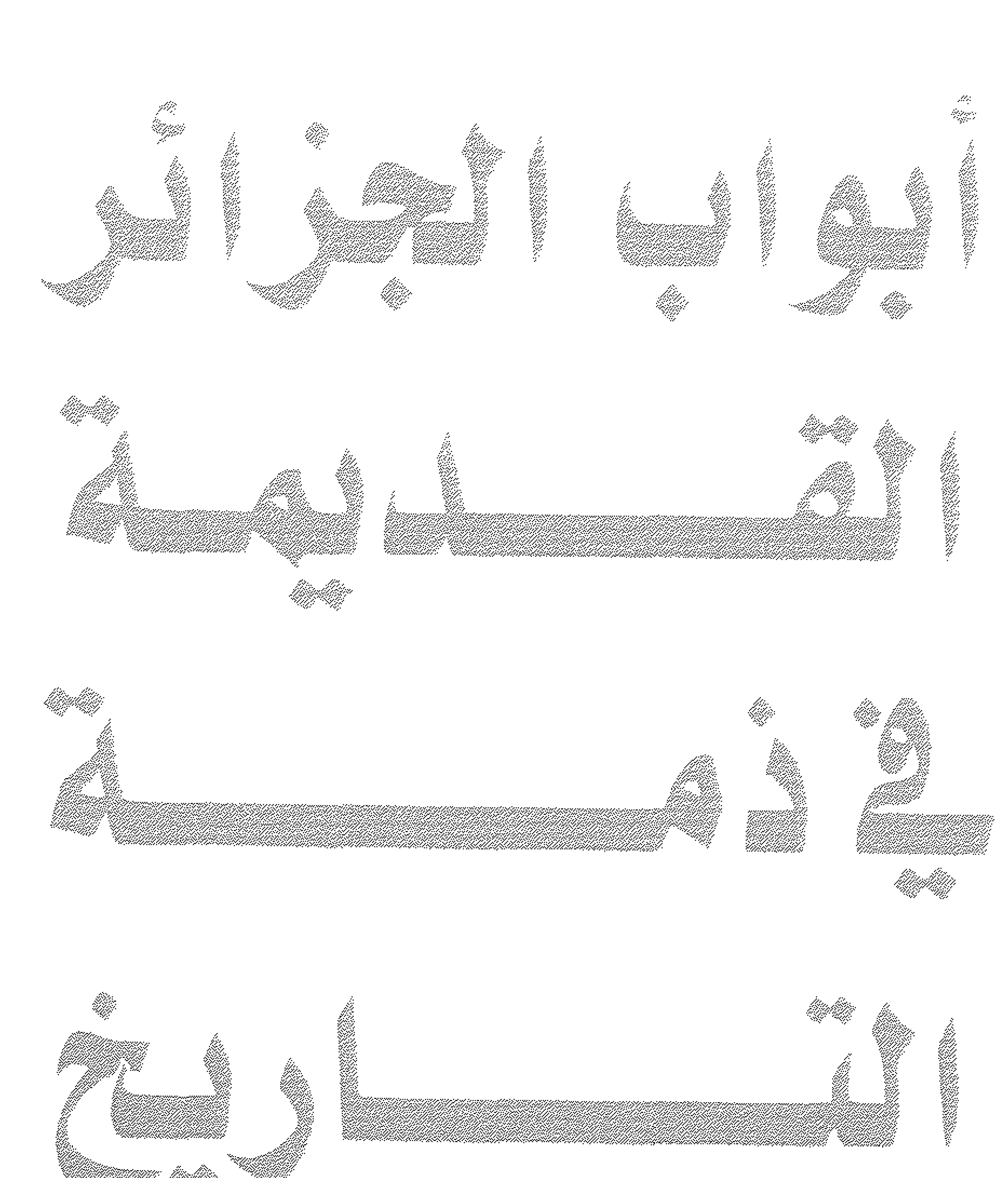
ومع احترامنا لهذه الآراء، إلا أننا لن نغلق الباب نهائياً أمام المزيد من المعلومات عن الأبواب، وفي الانتظار.

الجانب الثاني: أننا بعد الانتهاء من تقديم هذه السلسلة سنحاول أن ننشر أي تعليقات عليها تصلنا من المهتمين وذلك في مجموعة واحدة حتى يسهل على الباحثين الذين اتخذوا من «تراث» مصادر لهم أن يثبتوها عندهم لتكون في متناول أيديهم مجتمعة وليس على قصاصات حتى تسهل الاستفادة منها.

وجانب مهم آخر، أن الباحث يلاحظ أننا أفردنا مساحات كبيرة لعدد قليل من الأبواب خاصة في اليمن والمغرب، ويمكن للباحث المتخصص الراغب في المزيد من المعلومات عن بقية الأبواب أن يعود إلى ثبت المصادر الذي ننشره في آخر كل موضوع.

من الجزائر كتبت: **نجاة أحمد عروة :**





يكشف لنا تاريخ العمران البشري وعلم الآثار عن الأطوار الارتقائية التي مرّت بها مدينة الجزائر منذ تاريخ نشأتها الأولى، فيبيّنها تارة متتالية من حيث تواصل الحضارة على أرضها، وتارة متباينة من حيث أهمية النشاط الاقتصادي والامتداد العمراني.

ولا شك أنّ أقدم وأهمّ أثر عمراني لها، ملموس وملاحظ حتى يومنا هذا، يعود إلى عصور ما قبل التاريخ الميلادي، وبالخصوص إلى الفترة الرومانية. حين أصبحت «ايكوزيوم» مستعمرة رومانية بعد أن شغلت دور المحطة الساحلية التي ترسو بها وتتردد عليها السفن لممارسة التبادلات والمقايضات التجارية مع أهل البلاد.

حينها كانت تلتف أحياء المدينة حول الميناء، وقد امتد عمرانها حتى أسفل الهضبة التي اتّخذتها فيما بعد - في منتصف القرن العاشر الميلادي - المدينة الزيرية الإسلامية سنداً إستراتيجيا هاماً لها، و قد أعادت بناء الأسوار العتيقة واحتمت بها إلى غاية القرن ١٦ الميلادي.

بداية من ذلك التاريخ، أقبلت الجزائر على عهد جديد انضمّت فيه إلى الدولة العثمانية، وشهدت تطوّراً اقتصاديا واتّساعا عمرانيا معتبرا لم يسبق أن عرفته من قبل. فظهرت بفعله الحاجة إلى توسيع المجال العمراني ونقل سور المدينة إلى المستوى الذي تضمنه مخطّط مرسوم سنة ١٨٣٠م.

واستناداً على الروايات التاريخية والمراجع العلمية التي عدنا إليها، فإنه يمكننا التّعرّف على شكل المدينة وحدودها آنذاك، بل وتعيين مواقع وعدد أبوابها. لكننا، وللأسف الشديد، لا نجد لها أثراً معمارياً اليوم، حيث دمّرت تماماً في أوائل العهد الاستعماري. لذلك فإن الصور أو الرسومات التي نقدّمها هنا يعود تاريخها إلى النصف الأوّل من القرن ١٩م. وهي في غالبيتها لرسامين أو مهندسين أو مصورين أوروبيين.

عمران مدينة الجزائر

في مطلع القرن ١٦م، أقدمت الجزائر ولا سيّما عاصمتها مدينة الجزائر على عهد حضاري مميّز، ازدهر فيه الاقتصاد والتجارة الخارجية فتزايد عدد السكان واتّسع العمران، وانطلقت أعمال البناء في اتّجاه منطقة «الجبل» - أعلى الهضبة المطلّة على البحر - بعد أن اكتظّت منطقة (الوطي) بالسّكّان والبنايات.

شُرع حينذاك تشييد أسوار جديدة أيام الباي لارباي حسن (١٥٧٧- ١٥٨٠) تمّت عملية تحصين المدينة، ثم مرّت الجزائر بمرحلة امتداد متواصلة. ظلّ المركز الحضري الأول فيها يختصّ بوظائفه السياسية والاقتصادية الرئيسة لاحتوائه على مقرّ الحكومة وأهم المرافق العامّة، بينما شغلت الأحياء السكنية منحدر الهضبة في شكل مدرّج مطلّ على البحر، وتفرعت الشوارع انطلاقاً من هذا المركز المدني نحو عدّة اتّجاهات: أوّلها: يشقّ المدينة ويصل طرفيها من باب الواد شمالاً إلى باب عزون جنوباً، وثانيها ينحدر نحو الميناء وينتهي عند باب البحر، ثمّ عند باب الجزيرة أو باب الدزيرة باللّغة المحلية.

بعدها، نذكر «العقبات» أو الطرق الصاعدة نحو الأحياء السكنية والقصبة التي تعلوها، والتي ينتهي ممرّها عند باب الجديد أو عند باب القصبة الخاص.

فهي في الإجمال خمسة أبواب رئيسة، متفاوتة الأهمية بالنسبة إلى النشاط الاقتصادي وحركة المرور التي تدور بقربها، وقد بنيت أبواب: الواد وعزون والبحر قبل القرن ١٦م، أما باب الجديد و باب الجزيرة فشيّدا في العهد العثماني، و لقد تأكّدنا من هذا الترتيب الزّمني من خلال القراءات التاريخية التي قمنا بها لكن دون العثور على معلومات دقيقة.

وقد لاحظنا ذكر وجود أبواب أخرى بالقرب من جامع سيدي رمضان والقصبة القديمة في بعض المراجع التاريخية، تسمّى باب القصبة أو باب سيدي رمضان وهي تفضي إلى منطقة الفحص، وكانت تقع على مسافة ٨٠٠ قدم من باب الواد، وتقفل القصبة القديمة. أما باب القصبة الذي لا يزال موجودا إلى اليوم فهو باب القصبة الجديدة.

عمارة أسوار المدينة

أشار ابن الحوكل الذي زار مدينة الجزائر في أواخر القرن العاشر الميلادي إلى وجود أسوار تحيط بها. لعلّها تلك التي وصفها الحسن الوزان في بداية القرن ١٦م (سنة ١٥١٨م) بالفخمة و المنيعة، والتي بدت فيما بعد - خلال العهد العثماني- ضيّقة و غير كافية لاستيعاب التوسّع العمراني.

وقد شهد لها المؤرّخ هايدو في أواخر القرن ١٦م بالمتانة البالغة، ووصف أسلوب إنشاء شرفاتها، كما قيّم سمكها بالتقريب من ١١ إلى ١٢ شبراً، أي ما يعادل حوالي ٥٠ر٢ إلى ٣ أمتار. أما طولها الإجمالي فبلغ ٢٥٠٠ متر، و علوّها من ١١ إلى ١٣ متراً، و هي على ما يبدو أكثر ارتفاعاً و سمكاً من جهة البحر تحسّباً لأي اعتداء أو هجوم من هناك.

وقد حافظت المدينة على شكلها وهيئتها العمرانية العامة حتى بداية القرن ١٩م بالرغم من بعض الإنشاءات والتحصينات الدفاعية التي جرت بها. فتمّ تزويد أسوارها بعدّة بروج مربّعة الشكل. مدعّمة بعشرات المدافع الرادعة، وهي تشرف على خندق يتراوح عمقه ما بين ٦ إلى ٨ أمتار، وعرضه ما بين ٥٠ر١١ إلى ٥٠ر١٤ متراً.

يحدّ هذه الحفرة سور ثان يوازي السور الرئيس، ويمتدّ من باب الجديد إلى باب عزون، وارتفاعه يفوق المترين، ويتراوح سمكه ما بين ٣٠ إلى ٤٠ سنتيمتراً.

وكانت جدران السور تبنى بالطوب، ثمّ تصنّف بمزيج من الجير والطينة الحمراء وكميّة من الرمل التي غالباً ما يضاف لها مسحوق قطع من الآجر لتحسين صلابة ومتانة اللّياط. وتوضع هذه الوحدات الطوبية فوق قاعدة حجرية (من نوع الفليس) وأحياناً على بقايا السور الروماني، بعدها يوارى الحائط من الخارج بصفّ من الآجر ثم بطلاء ممتاز النوعية. وكانت تجهز أعلى السور ممرّات للدوريات التفتيشية، تحدّ أطرافها شرفات وفتحات للمدافع والبنادق.

تقاليد قديمة

وتقترن عمارة الأسوار من حيث الأسلوب البنائي والمواد المستعملة بتقاليد قديمة سابقة للفتح الإسلامي،

تحتم ضرورة وجود بروج بارزة نحو الخارج، وازدواج الحائط وإحاطته بخندق خارجي. وهذا ما تم استقراؤه من بعض الصور والرسومات التي تبيّن الهيئة العمرانية العامة للمدينة قبيل الاحتلال الفرنسي لها.

يتعيّن العمران البشري كمجال حيوي حافظ ومحفوظ في الوقت نفسه، له مركز تلتفّ حوله الأحياء والمرافق العامة، وحدود تحمل في دلالتها الأساسية فكرتي العزلة و الاتّصال بالمحيط الخارجي العام عبر فتحات أبواب المدينة.

وإذا كانت وظيفة السور الأولى هي دفع المضار. فهي تسمح أيضا بترتيب وتنسيق هذه العلاقة الضرورية بين الداخل والخارج وهما يستمدّان أسباب العيش والقوت من بعضهما. ولا يفوتنا هنا مقارنة المدينة بالخليّة العضوية التي تتعامل مع المحيط الخارجي بمبدأ العزلة الاختيارية مكتفية بنفسها، بينما هي في حقيقة أمرها في تفاعل مستمر، منسّق ومنتظم بالأعضاء الأخرى حسب خصائصها الوظيفية، ويتمّ هذا الاتّصال عن طريق منافذ وأبواب تنطوي أصلاً على قيمة جوهرية تكمن في قابلية الانفتاح والانغلاق والتّوافق التام مع أسباب هاتين الحالتين المتكاملتين، كما أنها تلعب دور أداة للترشيح والمراقبة، فليس كلّ من يريد الدخول إليها أو الخروج منها بمقبول، تماما كما أن لهذا النشاط مواقيت وشروطاً. فقد يكون الباب مفتوحاً أو مغلقاً، وهو في كلّ حال محروس ويساهم في وضع مختلف مستويات العمران العام والخاص وما بينهما(شبه الخاص و شبه العام).

كذلك تمنع بعض الحرف أو الصناعات من التنقّل أو التمركز داخل المدينة تحسّباً للمضايقات أو الأخطار التي قد تسبّبها للسكان من تعطيل لحركة المرور أو دخان أو رائحة كريهة أو ضجّة. من جهة أخرى، هناك بعض الصناعات والحرف والأنشطة التجارية التي تشترط المواضع الفسيحة أو القرب من منبع مائي إلى غير ذلك من دواعي الإقامة خارج سوار المدينة.

ويمثّل المحيط الداخلي مجال الأمان والحياة المدنية وأسباب الراحة والرفاهية والتضامن الاجتماعي. أما المحيط الخارجي فهو المموّن و المدافع والحافظ لهذه الامتيازات المدنية. بين هذا المحيط و ذاك تعبّر عمارة الباب وزخرفتها عن نفوذ وصيت حضارة مدنية مميّزة وعن أسلوب عيش موافق لقيمها الروحية و المادية.

توزيع محكم

وعملاً بمبادئ التخطيط العمراني في المدن الإسلامية، تخضع مختلف أحياء مدينة الجزائر إلى توزيع محكم يعنى بحفظ سلامة البيئة العامة وصحّة السكّان. وقد قمنا بتحديد موقعها وإحصاء جملة من هذه الوحدات المدنية وبالخصوص تلك التي تقع على مقربة من أبواب المدينة الرئيسة التي تحتلّ نقاطاً إستراتيجية، يتم تحديدها جغرافياً وفقا إلى مخطط المدينة العام، ووظيفيا وفقا إلى نشاطها الاقتصادي.

ينتج عن هذا الترتيب الجغرافي والوظيفي، عملية إدارية واعية في جمع بعض النشاطات خارج أسوار المدينة، بينما يسمح لبعضها الإقامة في الداخل بجوار الباب، وهذا ما حاولنا تلخيصه في الفقرة التالية لكن دون إحصاء كلّي للأحياء والمرافق بل الاكتفاء بذكر البعض منها على سبيل المثال و التعليل.

داخل أسوار المدينة:

- **باب عزون:** (جنوبا) فندق البرادعية، فندق الروز، رحبة الزرع، فندق الذهب، دار الانكشارية الكبيرة.
- **باب الواد:** (شمالاً) سويقة باب الواد (السوق الصغير)، حمام المالح، كوشة الجيجلية (أهل مدينة جيجل الجزائرية)، السوق الكبير ودكّان صاحب الموازين، حومة السكاجين والخراطين، دار النّحاس.
- **باب الجزيرة:** (عند مدخل رصيف خير الدين)، سوق الحرّارين، جامع باب الدزيرة، مسجد المرصى، دار الانكشارية الشهيرة بالدرج، دار اسطه موسى.
- **باب البحر:** (بجوار الترسانة) سوق الحوت أو الحواتين، مسجد السباغين، مسجد المقايسية، الجامع الجديد، البادستان.

باب الواد



- **باب الجديد:** (جنوبي غربي) سوق الكتّان، كوشة سكندر، كوشة علي، مسجد باب الجديد، مسجد الحمامات.

خارج أسوار المدينة:

- **باب عزون:** رحبة الفحم، المركاض، رحبة الغنم، دار الصابون، مقبرة التراب الأحمر وعدّة مقابر أخرى، مصلاة و أضرحة، أفران الجير، المذبح.
- **باب الواد:** أرض أشجار «الصفصاف» حيث يتدرّب الجنود على الرمي، مصلاة ومساجد وأضرحة، مقبرة الرايس و عدّة مقابر أخرى، حومة الحجارين والفخارين، حارة الجنان (الطريق المؤدي إلى منطقة الفحص والبساتين المحيطة بالمدينة).
- **باب الجزيرة:** (رصيف خير الدين) والميناء
- **باب البحر:** دار الصناعة (الترسانة).
- **باب الجديد:** منطقة الفحص.

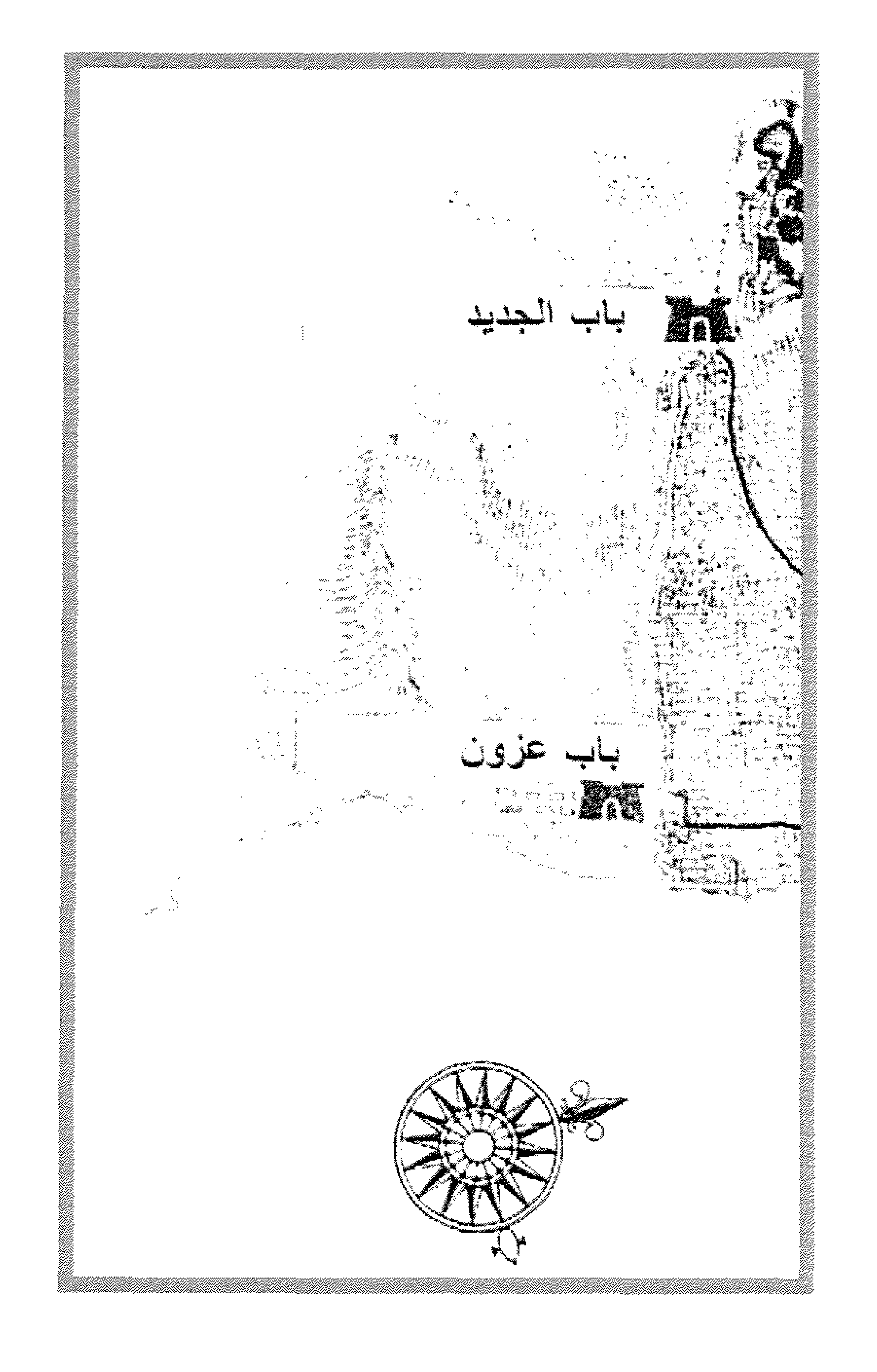
وتتّضح خاصية كلّ باب من حيث النشاط الدائر بجواره أمّا باب عزون فيغلب عليه الطابع التجاري والحرفي، وأمّا باب الواد فهو يؤدي في الغالب إلى البساتين أو المقابر والمصلاة، مع وجود بعض الأفران وورشات الفخارين والحجارين الواقعة خارج سور المدينة.

بعدها يختصّ كلّ من باب البحر و باب الجزيرة بالنشاط المتّصل بالبحر كصناعة السّفن أو الصيد أو الجمرك. وأمّا باب الجديد فهو متّصل مباشرة بما كان يسمّى بالجناح الأخضر وبمنطقة الفحص حيث توجد المساكن الثانوية، وبساتينها التي يقصدها أهل البلاد صيفاً، وأيام العطلات للراحة والاستجمام.

وتبدو هذه الأبواب وكأنها زيادة على دورها الدفاعي، فإنها تختصّ بوظيفة ثانية تشارك بها في الحياة المدنية، وهو ما أثّر في تحديد موقعها بالنسبة أوّلاً إلى المحيط الخارجي المباشر والمناطق التي تتبعه، وبالنسبة ثانياً إلى المحيط الداخلي المباشر والنشاط الحرفي أو التجاري الذي يدور به.

وعلى غرار باقي المدن الإسلامية، فإن مسؤولية هذا الترتيب والتنظيم العمراني في مدينة الجزائر تقع على عاتق القاضي بمساعدة المحتسب والمزوار أو قائد اللّيل والكاهية أو قائد الشرطة.

كذلك تعدّ حراسة أبواب الأحياء وأبواب المدينة، ليلا ونهاراً، من بين اهتمامات المزوار وأمين طائفة البوّابين. فقد كان البوّاب يجلس داخل أوّل بهو لباب المدينة ابتداء من طلوع الشمس حتّى غروبها، حينها يدير قفلها لتبقى مغلقة طول اللّيل.



عمارة و زخرفة الأبواب

تعدّ الأبواب بالنسبة إلى كتلة سور المدينة نقاط ضعف دفاعية لا بدّ من تداركها وتدعيمها بحصون منيعة وبروج عالية مشيدة. وتمّ ذلك في غالب الأحيان خلال العهد العثماني. أي بداية من القرن ١٦م، حيث تكاثرت الاعتداءات الأجنبية على الجزائر وبالخصوص على مدنها الساحلية.

أما عن عمارة هذه الأبواب فلدينا عن بعضها وصف عام، وعن بعضها الآخر وصف مدقّق. حيث كانت تبنى عموما في شكل موحّد، فهي مقوّسة، مبنية بالحجر ومدمجة في سور المدينة بجانب البرج أو الحصن الذي يحميها، وجميع هذه الأبواب مزدوجة و مكوّعة، أي أن لها منفذين لا يتقابلان، خارجيّ وداخليّ، تحمل مصراعيها الخشبيين زخرفة معدنية في شكل مسامير بارزة حسب خطوط هندسية أو عربسات، كما أن لمرّها سقفاً معقوداً وزوايا مقببة. ويوجد أعلى الباب نصب مرمريّ تذكاريّ يشير إلى اسم الحاكم الذي أمر ببنائه والمعلّم الذي أنجزه.

باب عزون

يقع باب عزون تقريباً في نفس محور باب الواد، ويفتح على أهم شارع في المدينة الذي يضمّ (سوق الجمعة)، الذي يعدّ بدوره أكبر الأسواق داخل المدينة. وكان ذلك الباب يشهد نشاطاً مستمراً طول النهار سواء في اتجاه الداخل أو في اتجاه الخارج. ويعد أهمّ منفذ لمختلف السلع الغذائية، من مواد زراعية ولحوم وغيرها.

و قد أشرنا في فقرة سابقة أن خارجه يوجد المركاض و مربط القوافل المتّجهة نحو باقي جهات البلاد أو الأوطان المجاورة عبر (طريق قسنطينة) التي تسمى أيضاً (طريق السلطان). وهي أيضاً منطلق قوافل الحجاج والمسافرين،

وكان باب عزون باباً مزدوجاً، يتكوّن من بابين متتاليين يفصلهما ممرّ مكوّع. ولكونه الباب الأكثر عرضة للهجومات، علمنا أن الحاكم عرب أحمد أعاد بناءه كلّيّاً ما بين سنة ١٥٧٣ و١٥٧٤ م، وزوّده ببرج منيع مربّع الشكل ذي ٩ فتحات موّزعة على واجهاته الثلاث بالتساوي، وتمّ هدم باب عزون سنة ١٨٤١ بسبب اتّساع العمران، وبحجّة بناء ما أصبح بعد ذلك المركز الحضري الرئيس لمدينة الجزائر في أوائل عهد الاحتلال الفرنسي للبلاد، وقد أهملت تماما المدينة التاريخية الأصلية ونهبت تحفها المعمارية النادرة.

الأبواب بالتفصيل

وإذا تحدثنا عن الأبواب بشكل منفصل نجد:

* **باب الواد:** يعد باب الواد أضيق أبواب المدينة مما يعني أهميته الثانوية بالمقارنة مع باب عزون، و هو يصل المدينة بمنطقة (فحص الجنان) والبساتين الممتدّة خارج المدينة، وقد عرف بفتحته المقوّسة المتماسكة البنيان، التي يعلوها برج مربّع الشكل له ٦ فتحات موزّعة بالتساوي، وقد أقام حصنه محمد بن صالح رايس سنة ١٥٦٧م.
* **باب البحر:** يوجد باب البحر، المسمّى في العهد العثماني باب الجمرك أو باب الدوانة، بالقرب من الميناء حيث كانت تفرغ البضائع الواردة من الخارج ليتمّ تسجيلها في دار الدوانة وتدفع الحقوق الجمركية عليها، لذلك كان باب البحر كثير الحركة والنشاط خصوصا في الفترة الصباحية، فهو أهم ممرّ للصيادين وعمّال (الترسانة) أو دار الصناعة، وهو يقع تحت حراسة دائمة ويغلق ليلاً مثل جملة الأبواب الأخرى، وقد أخذ باب البحر شكل الفتحة المقوّسة يعلوها مرمر تذكاري، إطاره حجريّ ويحمل في كل زاوية نحتا على شكل هلال رمز الدولة الإسلامية، و هو ذو قفل ضخم، ويعتبره بعض المحقّقين أول باب عرفته مدينة الجزائر، لذلك فهو أقدمها عهداً. ومنه كانت الجزائر توجّه اقتصادها منذ القدم نشاط البحرية وحول موقع الميناء.

وتم هدمه أيضا سنة ١٨٧٠ بعد الشروع في أعمال تهيئة ميدان الحكومة التي سمّيت فيما بعد ساحة الدوق أومال الفرنسي، وأصبحت اليوم ساحة الشهداء.

* **باب الجزيرة:** أو باب الجهاد: بني باب الجزيرة على عهد حسن باشا (١٥٢٩– ١٥٣٤) حين انتهى من بناء رصيف خير الدين. وهو يؤدي إلى الميناء مباشرة، وكان يشهد حركة بالغة خاصة في الفترة الصباحية حين يتردّد عليه البحّارة والصّيّادون والتّجّار ومختلف الفئات السكانية. وقد سمّي أيضا باب الجهاد لأن رجال أسطول البحرية الحربية الجزائرية كانوا يخرجون منه إلى مهام عملهم.

ويوجد على مقربة منه أكبر و أهم برج لحماية اسطول البحرية والمرسى، لتأمين نشاطه الاقتصادي الحيوي، وقد أمر بتشييده القائد صفاء سنة ١٥٥١م.

وكان باب الجزيرة مزدوجاً و ثلاثي الزوايا، تعلوه قباب متتالية تؤدي حتى داخل المدينة إلى حي البحرية. وكان حارسه يجلس قبالة الباب بداية من طلوع الشمس حتى غروبها. ويحتفظ المتحف الوطني بالمرمر التذكاري الذي كان يعلو فتحته المقوّسة والذي يحمل اسم المعلم موسى الأندلسي الذي أنجزه على أيام حسن باشا ما بين سنة ١٦٢٩ و١٦٣٠م، إلى جانب نبالة مدينة الجزائر التي تشمل رسم نجمة سداسية و تاج ورايات وأسود وسفن ومدافع. وقد أطلق عليه اسم باب فرنسا لدخول عساكر فرنسا منه عند احتلالهم للجزائر. وتمّ هدمه كلّيّاً سنة ١٨٧٠ عند فتح شارع الامبراطورية سابقاً، الذي يسمى اليوم شارع جيفارا.

* **باب الجديد:** تمّ فتح باب الجديد على أيام حسن باشا سنة ١٥٤٠م، وجاء متزامناً مع بناء السور الواقع جنوب شرق المدينة ضمن مشروع توسيع حدود المدينة، وكان له برج مربّع الشكل يطابق برج باب الواد، وعرف باب الجديد حركة مرور معتبرة نحو منطقة الفحص وبساتينها الخضراء، وفي سنة ١٨٦٦ محت أشغال تهيئة شارع الانتصار كل أثر

معماري لهذا الباب.

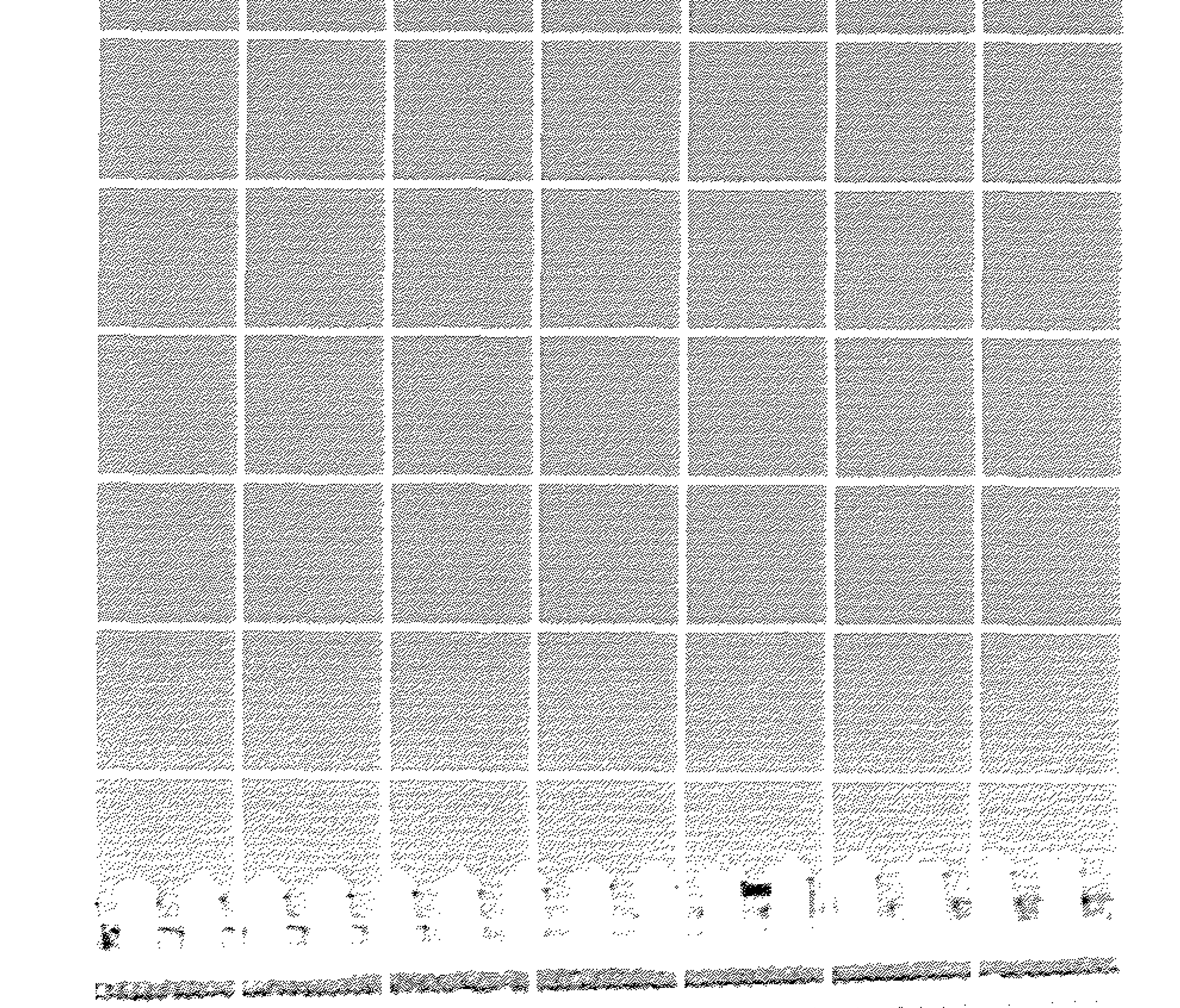
* **باب القصبة:** إذا كانت الأبواب الخمسة السابق ذكرها يتردّد عليها كافة الناس بصفة عامة، فالأمر كان يختلف بالنسبة لباب القصبة الذي يختصّ بالجند وحرّاس القصبة. وحقيقة الأمر أنهما كانا بابين للقصبة، أولاهما كبير والآخر صغير، وهما متجاوران تفصلهما مسافة ٢٠ قدما تقريباً، ووصف باب القصبة على أنه كان مزدوجاً ومكوّعاً. قوسه وقاعدتاه الاثنتان مبنيتان بالحجر المنحوت في شكل حديبات تشبه حرف الألماس. يعلوه مرمر تذكاري يحمل اسم الحاكم حيدر باشا الذي أمر ببنائه سنة ١٥٩١م، أما عتبته فهي محمية بكنّة تشدّها قضبان خشبية ويكسوها قرميد. وبعد تخطّي العتبة، نصل إلى أول (سقيفة) أو بهو سقفه على شكل قنطرة نصف اسطوانية تحمل تزاويق ملوّنة، ثم تتلوها سقيفة ثانية أكثر اتّساعا من الأولى، وهي مربّعة الشكل تعلوها قبّة ذات مقرنصات. أما الجدران الداخلية فكلّها مكسوة بقطع خزفية ملوّنة، وعند أحد أركان هذه القاعة المربّعة يوجد ممرّ وتكوّع ثاني يفضي إلى بهو ثالث ذي قبّة محدّدة يؤدّي أخيراً إلى وسط المدينة.

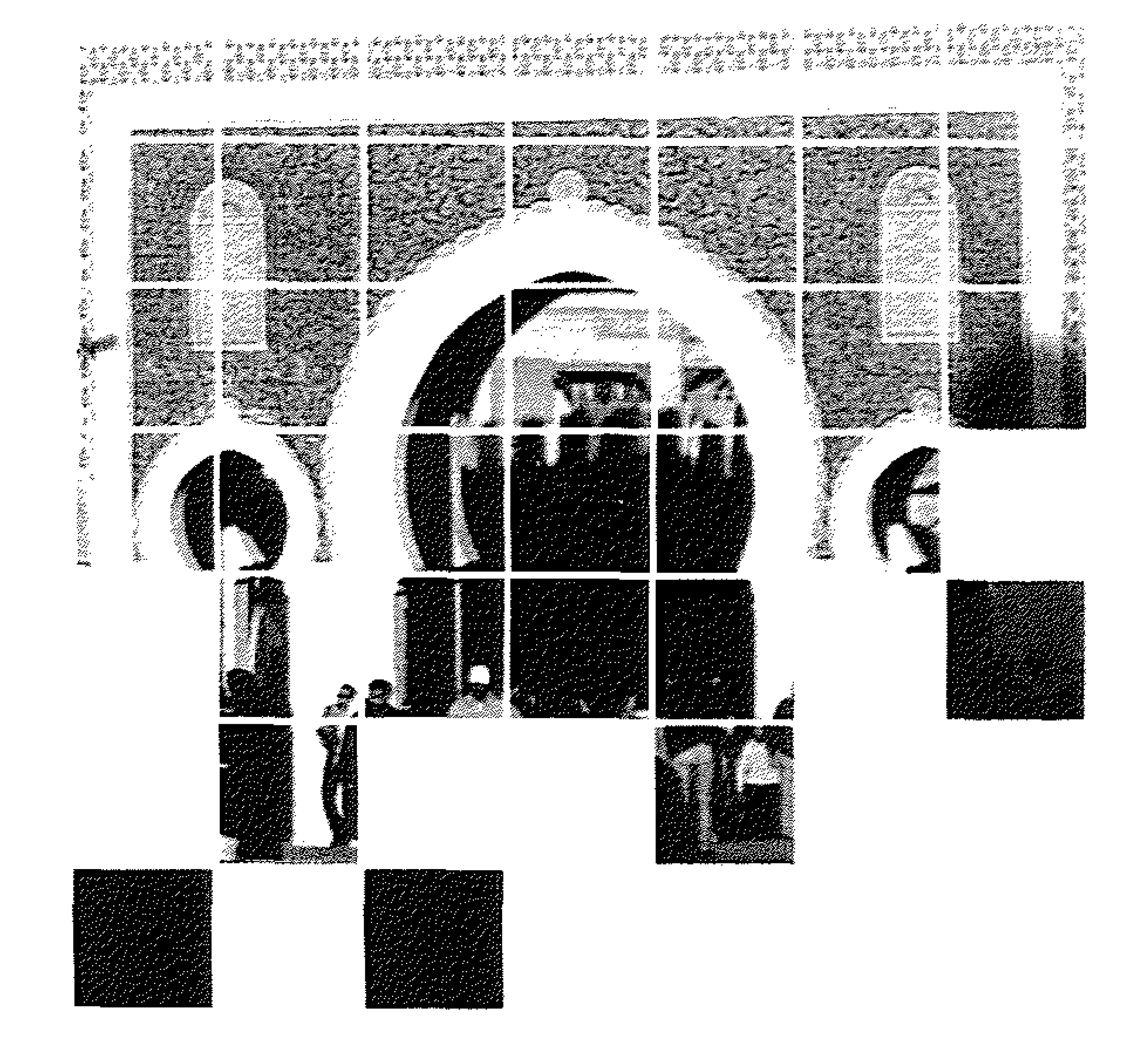
وتختتم نجاة عروة بحثها عن الأبواب التاريخية بالجزائر بقولها لا يزال تاريخ مدينة الجزائر يذكر معالمها ونصبها التاريخية بالرغم من اختفاء الكثير منها في أوائل عهد الاستعمار الفرنسي بداية من سنة ١٨٣٠. ولا شكّ أن في الأمر ما يدعو للأسف الشديد خاصة أن الوثائق التاريخية نادرة وموزّعة عبر مختلف مكتبات العالم ومن الصّعب جدّاً الاطلاع عليها، كذلك فيما يتعلّق بأبواب مدينة الجزائر التي لم يرد وصفها مدقّقاً في المراجع التي عثرنا عليها باستثناء باب البحر وباب الجزيرة إلى جانب باب القصبة الخاص، غير أنّه أتى تأكيد تشابه شكلها العام و بنيتها المعمارية و توزيع زخرفتها مع بعض الاختلاف في تفاصيلها. ولعلّه لم يكن شكل الباب الخارجي ليطابق شكله الداخلي. فمهما كان انتماء الباب إلى المسكن أو الحيّ أو المدينة، فلابدّ لعمارته وزخرفته من الدلالة على وضع صاحبه (أو أصحابه) الحضاري والاجتماعي والثقافي، وبقوّة نفوذه وقدرته الدفاعية.

وتحتفظ المدينة اليوم بتسميات تلك الأبواب، وقد نسبت إلى الأحياء التي كانت تجاورها قديماً والتي أصبحت مندمجة كلّيّاً في النسيج العمراني. نذكر من بينها (حومة باب الواد)، (حومة باب عزون)، (حومة باب الجديد). أما باب البحر وباب الجزيرة فقليل جدا هم سكان مدينة الجزائر الذين يذكرون تسميتهما أو موقعهما اليوم، اللهمّ إلا إذا كانوا من المهتمّين بالتاريخ أو منتمين إلى إحدى الأسر التي تقيم بها منذ عقود بعيدة. ■

تصوّر بالرسم لباب البحر







المغرب.. متحف للأبواب التاريخية

ومن المغرب كتب :
مولود محمد سوسي

تعد الأبواب التاريخية تراثاً عالمياً، وإطاراً لتحديد معالم الحضارات، وصورة توضيحية لأشكال البناء والأساليب والتقنيات ومواد البناء المستعملة سابقاً، ومدى مقاومتها لتقلبات الطبيعة.

والمغرب من الدول التاريخية، التي تعد متحفاً زاخراً بروائع الأبواب الموغلة في مجاهل التاريخ. ونظراً لتعدد هذه الأبواب في مختلف المدن المغربية وتشابهها في العلو والسمات الزخرفية، فإن دراستنا ستقتصر على ذكر أبواب مدينة الرباط بالتفصيل، باعتبارها نموذجا متكاملاً لأبواب مختلف الدول التى صنعت التاريخ بهذه الرقعة الإسلامية، مع ذكر بعض أسماء أبواب مدن أخرى كمدينة سلا، أو مكناس وفاس.

أبواب مدينة الرباط

وعندما نتحدث عن أبواب مدينة الرباط من حيث التاريخ والموقع.. فإننا سنجد أولاً أن مدينة الرباط أو رباط الفتح، العاصمة الإدارية للمملكة المغربية، تقع على شاطئ المحيط الأطلسي، وتتميز بعمل هندسي دقيق يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ففيها الأسوار العالية والأزقة الضيقة المتباينة بين السكون المريح والحركة الدائبة، وأيضاً تجمع بين الحداثة بشوارعها الفسيحة المحاطة بعمارة أنيقة. ويحف ذلك كله النسق القديم، سور على مسطح من الأرض يبلغ طوله ٥٤٦٢ متراً تقريباً على حد قول عبد الواحد المراكشي[1]. بقي لدينا منه اليوم ٥١٨٩ متراً، ويبلغ سمكه أحياناً مترين ونصف، ويصل ارتفاعه إلى عشرة أمتار. ويشتمل هذا السور على أربعة وسبعين برجاً، وقد

بني في عهد الموحدين. ثالث دولة حكمت المغرب (١١٣٠ - ١٢٦٦)، فيه خمسة أبواب تتوزع ابتداءً من ساحل البحر المحيط على النحو التالي: باب العلو، وباب الحد وباب الرواح والباب الموازي للقصر الملكي من جهة الغرب وباب زعير من جهة الجنوب.

باب العلو و باب الحد

باب العلو أو الباب العالي أو المرتفع، هو أقرب الأبواب إلى المحيط، إذ لايفصله عن المحيط سوى ٥٤٤ متراً ويشكل هيكلاً ضخماً عرضه ٢ر١٩ متراً وعمقه ٩٢ر٢٠ متراً وعلوه ٥٨ر١٠ أمتار. ويشتمل هذا الباب على أربع ممرات منكسرة تمكيناً للدفاع ضد الهجمات الخارجية. ويضم الباب من الداخل غرفتين متوازيتين، الثانية منهما مكشوفة، ويكتنفه من الخارج برجان مربعان ضخمان، فتحت في واجهتهما الغربية فتحة لمدفع، والبرجان يحيطان بفتحة المدخل يبلغ طول واجهة كل منهما ٣٠ر٥ متراً ويبرز بمقدار ٠٨ر٣ متراً.

والمدخل ينفتح على بهو فسيح مستطيل الشكل مسقوف بقبوة نصف اسطوانية[٣] ونقشت على جدران الباب كتابات في صلب الحجارة المنحوتة مع صور سيف وخناجر، وصورة قوس يحمل سهما مصوباً نحو الأعلى.

وباب العلو في جملته مبني من الدبش، كما كسيت مادة البناء في بعض الأجزاء بملاط سميك شديد الصلابة، مع وجود قطع من الحجارة المصقولة التي تكسو جدران الأركان في القسم الأوسط[٣]. وباب العلو عموماً من الأبواب الضخمة ذات البناء الصلب والخالي من الزخرفة الفنية.

أما باب الحد أو الأحد فلايختلف كثيراً عن باب العلو، ويقع على بعد ٥٠٥ أمتار منه. وقد تجدد بناؤه ورُمّم في عهد السلطان العلوي مولاي سليمان (١٢٠٦- ١٢٣٨هـ/ ١٧٩٢- ١٨٢٢م) كماهو مسجل في جامة بيضاء، ونقرأ فيها مايلي «الحمد لله، جدد هذا الباب السعيد أمير المؤمنين مولانا سليمان عام ١٢٢٩»[٤].

وواجهة الباب من الخارج التي تبدو ضخمة تتوسطها فتحة المدخل، ويكتنفها برجان بارزان صغيران، وفي عهد الحماية (فترة احتلال فرنسا للمغرب) تحول باب الحد إلى باب ذي ممر مباشر تسهيلاً لحركة المرور، وبذلك أصبح الباب الوحيد بسور رباط الفتح الذي له مدخل مباشر. وعلى الرغم من العناصر الفنية المختلفة التي يتسم بها باب الحد، نظراً للترميمات والتغييرات التي تعرض لها إلا أنه يعد تحفة فنية رائعة أقل جفوة من باب العلو[٥].

باب الرواح

يقع باب الرواح على مسافة ١٠٢١ متراً جنوبي باب الأحد، وهو أكبر أبواب سور المدينة الموحدي، ويبلغ ارتفاعة ١٢ متراً وعرضه ٢٨ متراً وعمقه ٩٣ر٢٦



باب الفتوح الرئيسة - مدينة فاس

متراً. ويشتمل الآخر على أربع ممرات منكسرة متتابعة، وأربع غرف إحداها مكشوفة، وتزدان هذه الغرف بعقود منكسرة مطولة أو عقود نصف دائرية وحدوية، ومن الملاحظ أن الغرفة المكشوفة مزودة بباب له عتب.

ويكتنف فتحة الباب من الخارج على الجانبين بروازان يبدوان من ضخامتهما أشبه ببرجين. ويلي مدخل باب الرواح بهو مسقوف بقبوة نصف أسطوانية مطولة، وقد استعمل في بناء جدران الباب الدبش والطابية وكتل حجرية مصقولة[٦].

وعلى باب الرواح كتابة بالخط الكوفي، عبارة عن آية قرآنية بحروف كبيرة، في روعة بالغة وانسجام مع ماحولها من النقوش البديعة كما يشتمل الباب على نقوش حلزونية، تمثل سيفا وقوسا للرماية[٧].

ويعتبر باب الرواح أكبر من بابي العلو والحد، وأكثر منهما ثراءً وفخامة وزخرفة ودقة وجمالاً.

باب القصر وباب زعير

الباب الداخل في نطاق القصر الملكي، يقع على مسافة تبعد بنحو ٨٨٠ متراً جنوبي الرواح. ويبلغ عرضه ٢١ر٢١ متراً وعمقه ٨٠ر٢٢ عمقاً.

أما باب زعير، فيقع على الطريق المؤدية إلى قبيلة زعير التي استمد اسمه منها. ويبلغ ارتفاعه ٧١ر٩ مترا وعمقه ٢٤ر١٨ متراً. وعرض واجهته الداخلية ٥٩١ر٢ متراً.

ويشبه هذا الباب في تخطيطه باب العلو، وإن كان أقل انتظاماً منه. ويشتمل باب زعير على أربع ممرات منكسرة. ويضم في داخله فقط غرفتين متماثلتين. أما البهو الذي يلي فتحة الباب من الخارج فتعلوه قبوة نصف أسطوانية، ويعتبر باب زعير أصغر الأبواب بمدينة الرباط وأقلها عناية، ويعتبر الأكثر تعرضاً للتغيرات والتجديدات من بين باقي الأبواب[٨].

وتشكل هذه المجموعة المتكاملة من الأبواب روائع خالدة توحي للزائر بالفخامة والإبداع ومرجعاً حياً لكل باحث عن التاريخ. كما تمثل هذه الأبواب الضخمة المتصلة بسور مدينة رباط الفتح مرحلة تطويرية لأبواب الدول التى تعاقبت على حكم المغرب. فقد كان الباب في الأسوار البيزنطية (٥٣١م / ٦٤٦م) عبارة عن فتحة في السور معقودة بعقد أمامي يطل على ظاهر المدينة، وعقد آخر خلفي أوداخلي وجهته داخل المدينة.

وعندما جاء المرابطون (ثاني دولة حكمت المغرب من سنة قبل ٤٤٧هـ إلى ٥٤٣هـ) استعملوا نظماً جديدة في تخطيط الأبواب، وهذا التخطيط ذو ممرات منكسرة، لتحقيق الهدف الدفاعي.

أما الموحدون فقد ابتكروا طريقة التخطيط ذي المنعطفات المرفقية المزدوجة[٩].

ونظراً لعلو هذه الأبواب وضخامتها، فإنها تسمح بمرور مختلف الشاحنات والحافلات وغيرها، بل أصبحت ممر عبور رئيس للخارج أو الداخل سواء من المدينة القديمة أو الحديثة.

وأبواب مدينة الرباط عامة، كما سبق الإشارة إلى ذلك تعتبر نموذجاً متكاملاً لمختلف الأبواب المتواجدة بالمدن الغربية، فضلاً عن أنها لاتختلف عنها كثيراً.

أبواب شالة

وإلى جانب مدينة الرباط وعلى مسافة لا تبعد سوى مائتي متر فقط، تبرز أسوار شالة الأثرية مقابل باب زعير، وتعتبر شالة من الأماكن المغربية النادرة التى تمتاز طبوغرافيتها بمميزات خاصة جعلتها مسكونة منذ القدم. بحيث يرجع تاريخ شالة القديم إلى عهد البربر سكان المغرب الأصليين وهم عرب المغرب القدماء.

ومن باب زعير أحد أبواب مدينة الرباط، كما سبق الإشارة إلى ذلك، يبرز المدخل الرئيس لشالة، وهو الباب الغربي الذي يشبه في معظم هيكله، أبواب المدن الكبرى كأبواب مدينة المرية من مدن الأندلس لاسيما باب الشمس منها.

وهذا الباب الغربي مزين بزخارف وكتابات كوفية ورسوم عجيبة وتخطيطات بديعة تشبه ما كان في الدولة المرينية (٧٠٩- ٨٦٩ هـ / ١٣١٠- ١٤٢٠م)، (وهي رابع دولة حكمت المغرب) على باب الصناعة وزاوية النساك من سلا، وللدولة الموحدية قبلهم على بابي الساباط من قصبة الأوداية وباب الرواح الكبير بالرباط

وهذا الباب في غاية الإتقان، كما يلوح للمشاهد من النظرة الأولى، فقد كسيت واجهته من الداخل والخارج بالحجارة المنحوتة التي ثبتث إلى جوار بعضها بطبقة رقيقة من المرطوب النقي أي الملو ن بلغة المشارقة.

وأهم مايستدعي النظر في باب شالة هو تلك الطريقة البديعة التى عالج بها الفنان المسلم البرجين اللذين يحميان المدخل. فقد قصت جوانب كل برج بحيث تبدو من الخارج كأنها مثمنة الأضلاع بينما هي في السطح



باب بارد عين - مدينة مكناس

العلوي مربعة الشكل، ومدخل الباب ملوي، له واجهة خارجية وأخرى من جهة الداخل وكلتا الواجهتين، تتكونان من عقد متجاوز منكسر. ولشالة أبواب ثانية هي

- **باب عين الجنة:** وقد استمد هذا الباب اسمه من اسم العين التي تصب في البساتين الواقعة خلف شالة، ويفتح هذا الباب في الواجهة الشمالية الشرقية للسور، وهو مدخل ملوي كذلك.
- **باب البساتين:** ويفتح هذا الباب بالحائط الجنوبي الشرقي للسور مشرفاً على بساتين شالة المشهورة عند الرحالة والجغرافيين، ويختلف هذا الباب عن باب عين الجنة وعن المدخل الكبير، فهو عبارة عن فتحة بسيطة في الحائط[1].

وعامة منطقة شالة بمختلف مرافقها، تعتبر متحفاً تراثياً فريداً في نوعه، ومقصداً لكل من يريد البحث في عمق التاريخ المغربي

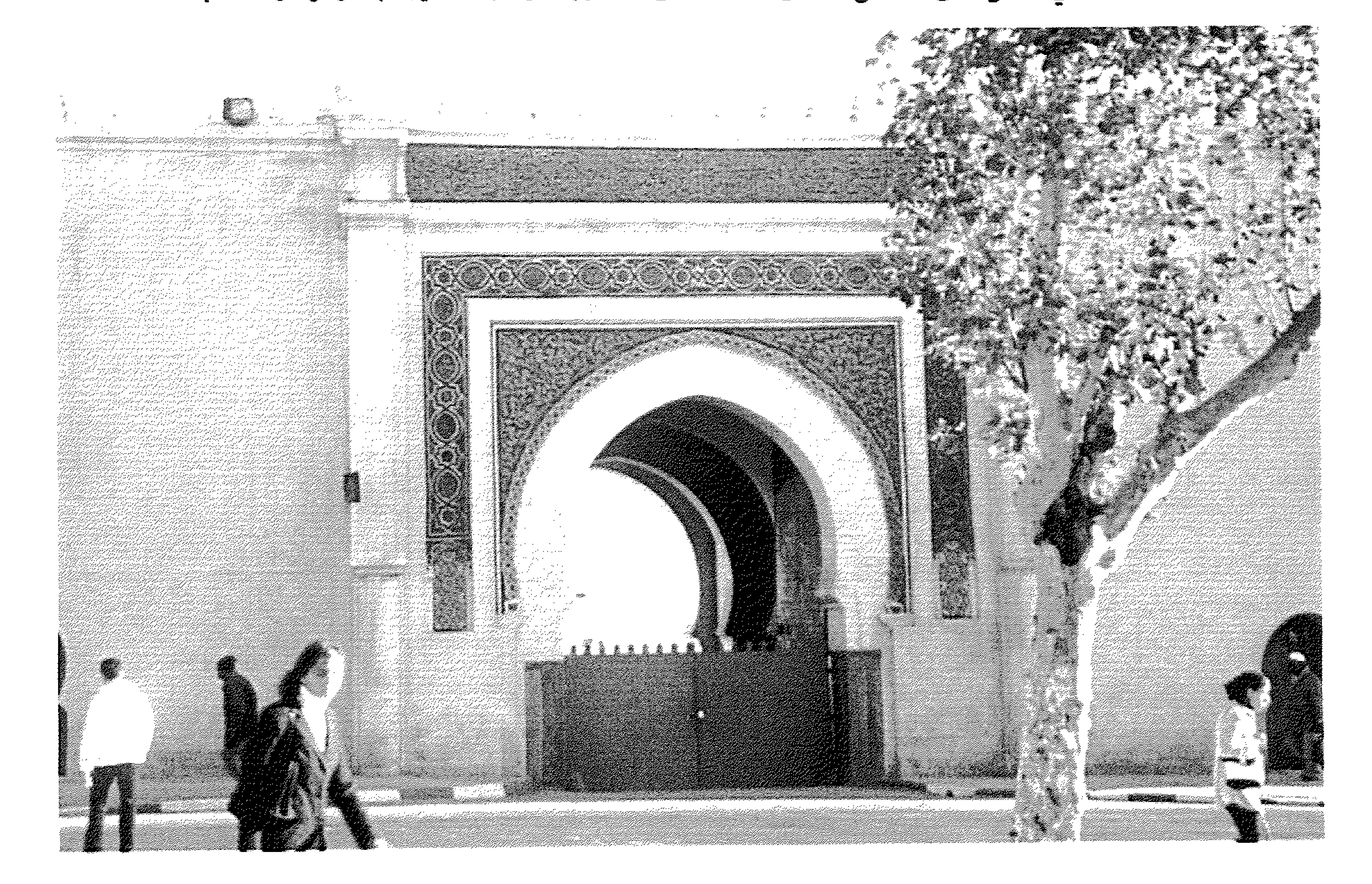
أبواب سلا

وعلى الضفة المقابلة من نهر أبي رقراق لمدينة الرباط، تقع مدينة سلا الأزلية المحصنة، التي اتخذت أبواباً لها لكي تنفتح على الخارج، تمكن سكانها من مغادرة هذه القلعة كل صباح، ثم العودة إليها كلما حل المساء. وتضم مجموعة من الأبواب كل باب يحمل رمزاً لعمل فني هندسي، حيث أن اسمها وحده يذكر بتاريخها وأهمها: باب معلقة، باب الصناعة، باب عنتر، باب بوحاجة، باب سبتة، باب فاس، باب المريسة..

أبواب مكناس وفاس

تحاط مدينة مكناس بأسوار متينة يناهز طولها ٤٠ كيلو متراً، وتضم هذه الأسوار مجموعة من الأبواب عليها بروج ماتزال قائمة حتى اليوم منها: باب الخميس وباب بردعاين وباب الفصدير وباب تزيمي وباب كبيش وباب المنصور.

وهذا الباب الأخير يحتل موقعاً استراتيجيا وسط مدينة مكناس العتيقة، فهو من جهة مفتاح أو مدخل لمجموعة من المعالم التاريخية التي شيدها المولى إسماعيل السلطان العلوي من بساتين وحدائق معلقة وصهريج مائي هو «صهريج الصواني» والقصر الملكي وضريح مولاي إسماعيل، ومن جهة ثانية تمتاز هذه الأبواب بأعمدتها العالية وأبراجها الضخمة وبزخرفتها المتميزة بالقرمود والخشب.



باب الماكينة - مدينة فاس

أما مدينة فاس، المركز الفكري والروحي للمغرب، كما سبق الإشارة إليها بتفصيل في العدد الثامن من مجلة تراث ١٩٩٩م في مقال «الطريق إلى فاس»، فتمتاز بأبوابها الكثيرة منها: باب الفتوح، باب السمارين، باب الماكينة، باب بوجلود، باب سيرما..

أبواب القصبات

وإلى جانب هذه الأبواب، التي تكون مركز انفتاح على العالم الخارجي للمدن القديمة في معظم المدن التاريخية المغربية. هناك أبواب القصبات أو القلاع (أو القصور كما تسمى في الجنوب المغربي) وموقعها يكون داخل الحواضر القديمة أوخارجها. ومن هذه القصبات سنخص بالحديث عن قصبة الأوداية التي كانت في عهدها الأول عبارة عن حصن بناه الرومان للدفاع عن مدينة شالة العتيقة، ولحماية مراكبهم التي كانت تمخر عباب وادي أبي رقراق محملة بالبضائع والرجال. ثم أصبحت بعد ذلك نواة مدينة الرباط فيما بعد داخل أسوارها المرتفعة بأبراجها وبوابتها الضخمة. ويدور على القصبة سور يمتد بطول نهر أبي رقراق بمسافة تزيد في الطول عن المسافة التي يوجد فيها السور بالبحر المحيط. ويتخذ هذا السور مخططا يتميز بشكل غير منتظم خماسي الأضلاع.

وأعظم ما يواجه زائر القصبة هو الباب الكبير أو الرئيس للقصبة، وهو في منتهى الروعة وجمال الفن الرائق، يبلغ طوله ٣٨ر٦٠ متراً وعرضه ١٦ متراً وعلوه ١٣ متراً ويعرف بالسباط. وهناك بابان اثنان: الأول ينفتح على البوابة السابقة وأحد الأبراج وهي بوابة بسيطة، تشبه كثيراً باب الرواح. والثاني ينفتح في مواجهة الجانب الشمالي، وهو عبارة عن فتحة مستقيمة ومباشرة، يرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجري(١٢م)[١١].

وتنفتح البوابة الرئيسة على ساحة السوق، ولهذه البوابة ممر منكسر واحد، ويعلو البوابة سطح يسيطر على كل البناء، كما يعلو فتحة المدخل عقد متجاوز منكسر انكساراً بسيطاً للغاية. ويلي هذه الفتحة ممر مستطيل

الشكل يعلوه قبوة نصف أسطوانية وتتخذ هذه البوابة الرئيسة للقصبة بضخامتها مظهر البوابات العسكرية المنيعة، فهي تظهر بارزة في السور لافتة النظر وموحية بقدرتها الدفاعية وصلابتها[١٢].

ومما يدل على الهدف الأساسي من بناء الموحدين للقصبة، ماهو منقوش على بابي القصبة، من الآيات القرآنية الموذنة بالفتح والجهاد: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾ على واجهة الباب الكبير بالخط الكوفي.

وعلى الباب الشرقي: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وبشر المومنين﴾.[١٣].

أما الزخاريف الموجودة على الباب الرئيس فتشتمل على العناصر التقليدية الهندسية والنباتية والخطية، ونلاحظ أن التأثير الأندلسي واضح في هذه الزخارف، مما يدل على الصلة الوثيقة بين المغرب والأندلس في شتى المجالات، أما مواد البناء المستعملة، فقد ضمت قطعاً جميلة من الحجارة المصقولة ذات المقاييس المتوسطة، وهذه الحجارة تشمل كل سمك الجدار.

الجنوب المغربي خزانة الأبواب

وإذا ما ابتعدنا عن الساحل نحو الجنوب المغربي، حيث تتوخى الرمال اكتساح كل شيء. فالحياة تنبض بالتحدي، فجنبات البساتين والحقول وحدائق النخيل والمزارع، تشكل وشاحاً خصباً رائعاً، إنها وديان درعة ودادس وزيز، حيث تتوالى المناظر الطبيعية ولاتتشابه: رمال محرقة وقمم مكسوة بالثلوج، وشعاب تنفتح على منطقة ريفية خضراء، ومن كل مكان،تبرز من صميم حدائق النخيل الجاثمة على جماليد الصخر المائلة إلى الحمرة على جانب البحيرات الزمردية قصبات وقرى محصنة بأبوابها الضخمة.

وهذه القصبات أو القصور كماتسمى محلياً، تتميز بوجود الأبراج العالية والأسوار المزدوجة. وهذا التخطيط الهندسي الطيني تضمن باباً ضخماً ببرجين بارزين شيدا للحراسة والمراقبة، نظراً لماتوفر في هذه العمارة الطينية من الوسائل الحديثة كالكهرباء والماء، فعلى سبيل المثال . في واحة تافيلالت في الجنوب الشرقي للمغرب، وخاصة



باب المنصور - مدينة مكناس

بضواحي مدينة الريصاني، يضم أكثر من ثلاثمائة قصر، بمعنى ثلاثمائة باب، مع وجود مجموعة من القصبات تحتوى على بابين أو ثلاثة.

وقد امتازت هذه العمارة الطينية بالجنوب المغربي، باستعمال قالب خشبي يتكون من لوحين خشبيين مع استعمال قطع حديدية وأربعة أخشاب وحبلين لتتبيث القالب الخشبي، فبعد وضع الطين المبلل بالماء ودكه بقوة واتقان في القالب الخشبي،يعطينا حائطاً صلباً يبلغ سمكه نصف متر وقد يصل إلى متر واحد، كما يستعمل الطين المخلوط بالتبن لتمليط الحائط، لتتمكن العمارة الطينية من مقاومة عوامل الطبيعة من أمطار ورياح..

ونلخص في القول إلى أن المغرب يعتبر متحفاً للأبواب التاريخية، بحيث لاتخلو مدينة من المدن المغربية من أبواب تراثية قديمة، وخاصة منها المدن التي اتخذتها الدول التي تعاقبت على حكم المغرب عاصمة لها. ولا تقتصر الأبواب التاريخية على الأبواب بالمدن القديمة والقصبات فقط، بل في مختلف العمارة القديمة. المدارس المساجد، الزوايا، القصور.■

المصادر والمراجع:

١) عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب، نشر محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي، القاهرة ١٩٤٩ص ٢٦٦.

٢) سحر السيد عبد العزيز سالم. مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي منذ انشائها حتى نهاية عصر بني مرين. مؤسسة شباب الجامعة ١٩٦٦م. من ص ١٣٢ إلى ص ١٣٣

٣) سحر السيد. ص١٣٢ . عبد الله السوسي تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار الغرب للتأليف و الترجمة والنشر، الرباط، ١٣٩٩ هـ ١٩٦٩ م، ص ١١٥

4) Caille. (Jacque): LAVILLE DE RABATS au 13 siecle paris 1945 TOME 1 PAGE 135.

٥) سحر السيد مدينة الرباط ص١٣٤.

٦) سحر السيد مدينة الرباط من ص ١٣٥ و١٣٦ . السوسي تاريخ رباط الفتح ص ١١٥.

٧) نفسه ص ١١٥، نفسه ص ١٣٧

٨) سحر السيد ص ١٣٨ و١٣٩.

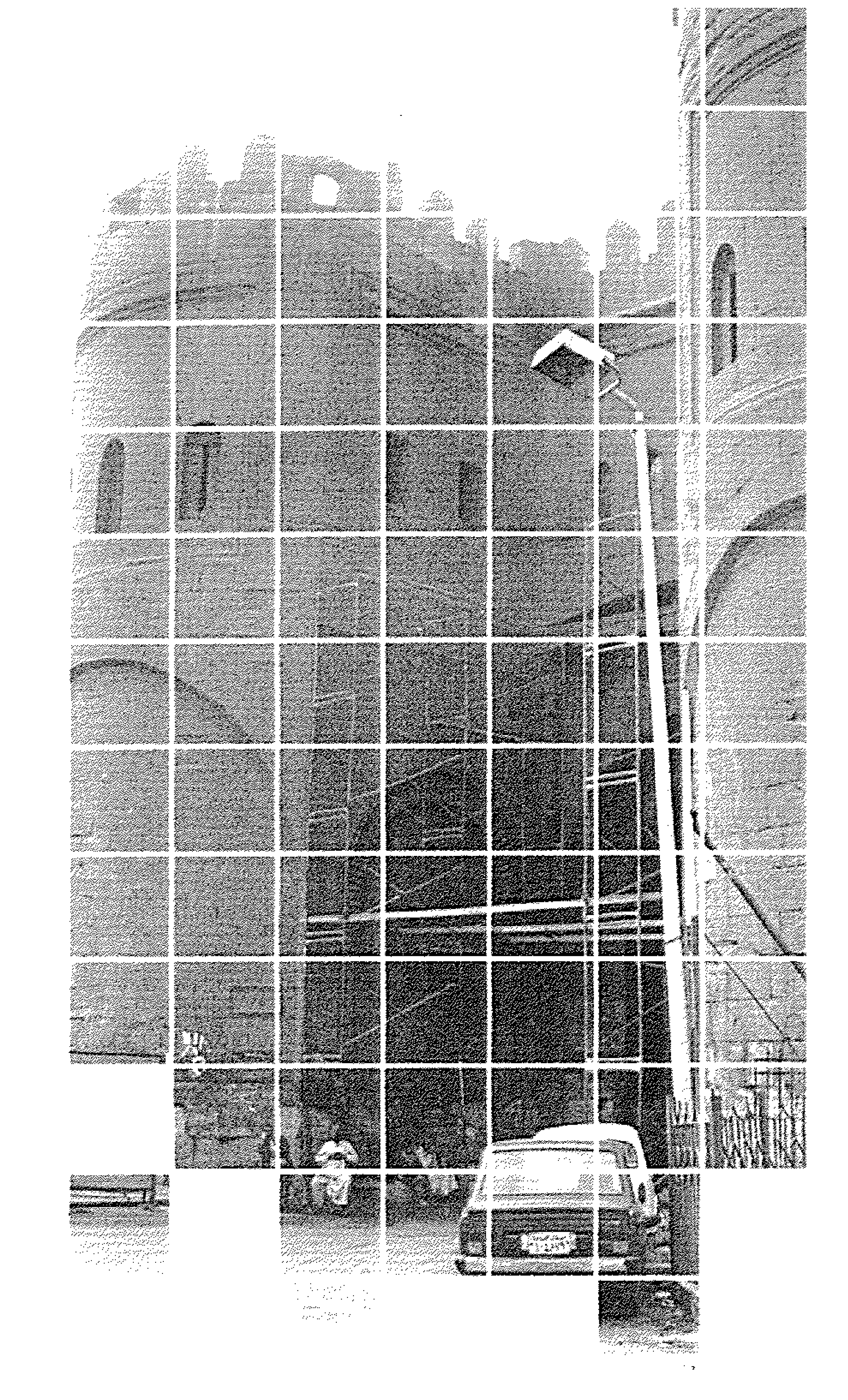
٩) نفسه ص ١٣٠.

١٠) عثمان عثمان إسماعيل حفريات شالة الإسلامية. أبحاث تاريخية،كشوف أثرية بالمغرب الأقصى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٥٩. ١٩٦٠م من ص ١٧ إلى ٢٨.

١١) سحر السيد ص ١١٦ و١١٧.

12) Caille: (Jacque): LAVILLE DE RABATS au 13 siecle paris 1945 TOME 1 PAGE 99.

١٣) السوسي تاريخ رباط الفتح ص٧٢.



ومن القاهرة كتب:

الدكتور محمد عبد المنعم الجمل:

أبواب مصر.. خط الدفاع الأول

اقترن عصر الفتوحات العربية الإسلامية بإنشاء المدن والمراكز العمرانية الإسلامية، وهو أمر طبيعي بعد أن اتسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية بالفتوحات في الشرق والغرب، وبعد أن اتصل العرب في هذه الأقطار المفتوحة ببيئات حضارية متطورة، فاضطروا إلى إنشاء مراكز حضارية عربية إسلامية في هذه الأقطار لتعريبها ونشر الإسلام فيها.

وعلى هذا النحو أقام العرب بعد فتحهم بلاد الشام والعراق وفارس ومصر والمغرب مدناً كان الغرض منها إنشاء قواعد حربية ومعسكرات للجند، وإقامة مراكز إشعاع للغة العربية والدين الإسلامي في قلب البلاد المفتوحة.

وتدور الكثير من الروايات الأسطورية حول بناء القاهرة وارتباط اسمها بقصة المنجمين الذين جمعهم جوهر الصقلي أثناء البنيان وشاهدوا نجم القاهرة في الطالع، وهو اسم المريخ عندهم، فشرع البناءون في العمل بسبب تحريك غراب لجرس تم وضعه لتنبيههم ببداية العمل، ففهموا أنها إشارة بالبدء في العمل دون انتظار أوامر المنجمين[1]، وقيل إن المعز هو الذي أطلق عليها هذا الاسم بعد أن كان قد أطلق عليها جوهر اسم المنصورية، وفي رواية أخرى أنه كان بقصور المدينة الجديدة قبة اسمها القاهرة فسميت المدينة كلها على اسمها[2].

وفي اليوم نفسه.. وصل جوهر إلى مصر ودخل الفسطاط حيث اختط مدينة القاهرة، وما كاد العمال يحفرون أساسات المدينة الجديدة حتى نشط البناءون وأخذت المساجد والدور والقصور ترتفع وتظهر على الأرض، ولم تمض سنة واحدة حتى كان العمل في الأسوار قد انتهى، وبعد ذلك بعامين، فرغ من بناء الجامع الأزهر سنة ٣٦١هـ، وقد بنى جوهر سور المدينة الأول بالطوب اللبن (طوب مجفف عن طريق

تعريضه لأشعة الشمس).

وتتخذ أسوار جوهر شكلاً مستطيلاً كبير الحجم، غير منتظم الأضلاع، طوله حوالي ألف ومائتي متر من الشمال إلى الجنوب، وحوالي ألف ومائة متر من الشرق إلى الغرب، وكانت تلك الأسوار مبنية كلها من اللبن كما أشرنا، ويبلغ عرض الجدار مترين تقريباً، ويوجد بالأسوار ثمانية أبواب تتوزع على الأسوار بواقع بابين لكل ضلع من أضلاع السور كانت تمثل خط الدفاع الأول عن المدينة.. وكانت كالتالي:

- **أبواب السور الشمالي:** باب الفتوح - باب النصر.
- **أبواب السور الشرقي:** باب البرقية - باب القراطين.
- **أبواب السور الغربي:** باب القنطرة - باب سعادة.
- **أبواب السور الجنوبي:** باب زويلة - باب الفرج.

وكانت أهم هذه الأبواب في العصر الفاطمي بوابة الفتوح في منتصف السور الشمالي، وبوابة زويلة في منتصف السور الجنوبي، وكان يصل ما بين هاتين البوابتين الطريق الرئيس الذي أطلق عليه (بين القصرين) أو الشارع الأعظم، وكان هذا الطريق يقسم القاهرة إلى قسمين متساويين تقريباً، وكان يوجد طريق رئيس آخر يجتاز المدينة من الشرق إلى الغرب، شمالي الجامع الأزهر، ويصل ما بين أسوارها الشرقية من باب البرقية، وما بين أسوارها الغربية أمام باب سعادة[٣]، وقد تهدمت الأسوار التي بناها جوهر في أيام الشدة المستنصرية، فأمر الوزير بدر الجمالي بإعادة بنائها سنة ٤٨٠- ٤٨٥هـ، ونقل بدر الجمالي السور الشمالي إلى الأمام مسافة ١٥٠ متراً تقريباً إلى الشمال، كما نقل الأسوار الجنوبية إلى الجنوب بنفس المسافة تقريباً، وقد بنيت معظم أسوار بدر الجمالي الجديدة بالحجارة، وأقام بدر الجمالي ثلاث بوابات جديدة من الحجارة غاية في الضخامة، هي باب النصر وباب الفتوح شمالاً، وباب زويلة جنوباً، ولا تزال هذه الأبواب قائمة إلى اليوم، كذلك تبقى من أسواره أجزاء في السور الشمالي تربط ما بين بابي النصر والفتوح، وأجزاء في السور الجنوبي تبلغ مساحتها ما يقرب من مائة متر تقريباً مرتبطة بباب الفتوح.

وقد أمر جوهر القبائل والجماعات التي صحبته من بلاد المغرب في فتح مصر، أن تختط لنفسها خططاً تنزل بها كانت تسمى أيضاً حارات، وسرعان ما ازدهر عمران القاهرة الفاطمي، وسميت تلك الخطط أو الحارات بأسماء من نزلوا فيها وكان أكثرها شهرة، حارة زويلة، حارة الروم، حارة برجوان، حارة الديلم، حارة الأمراء، حارة الجودرية، حارة الوزيرية، حارة المحمودية[٤].

أما عن عمران القاهرة في العصر الأيوبي فقد اختار صلاح الدين أن يبني مقراً جديداً للحكم، بعد أن رفض النزول في القصور الفاطمية، فوقع اختياره على موقع



مسجد محمد علي بالقلعة - ويظهر في الصورة باب العزب

القلعة ليكون مقراً لإقامته وليشرف منها على القاهرة والفسطاط معاً، وسمح صلاح الدين للعامة وكل من يستطيع العمارة أن يبني داخل أسوار القاهرة، بعد أن كانت قاصرة على الخلفاء والوزراء والخاصة، كذلك أسكن صلاح الدين ذويه وأمراءه القصور الفاطمية، كما أقطعهم ما كان للفاطميين من دور ورباع وممتلكات، وهكذا فقدت القاهرة مكانتها كمقر للحكم، وأخذت الأنشطة التجارية والحرفية تتسرب إليها وتنتشر في موضع القصور الفاطمية، وتحولت المنطقة القريبة من الجامع الأزهر إلى مركز تجاري، كذلك انتشرت المدارس السنية بكثرة في القاهرة، وسنفصل الحديث فيما يلي عن أبواب القاهرة الفاطمية.

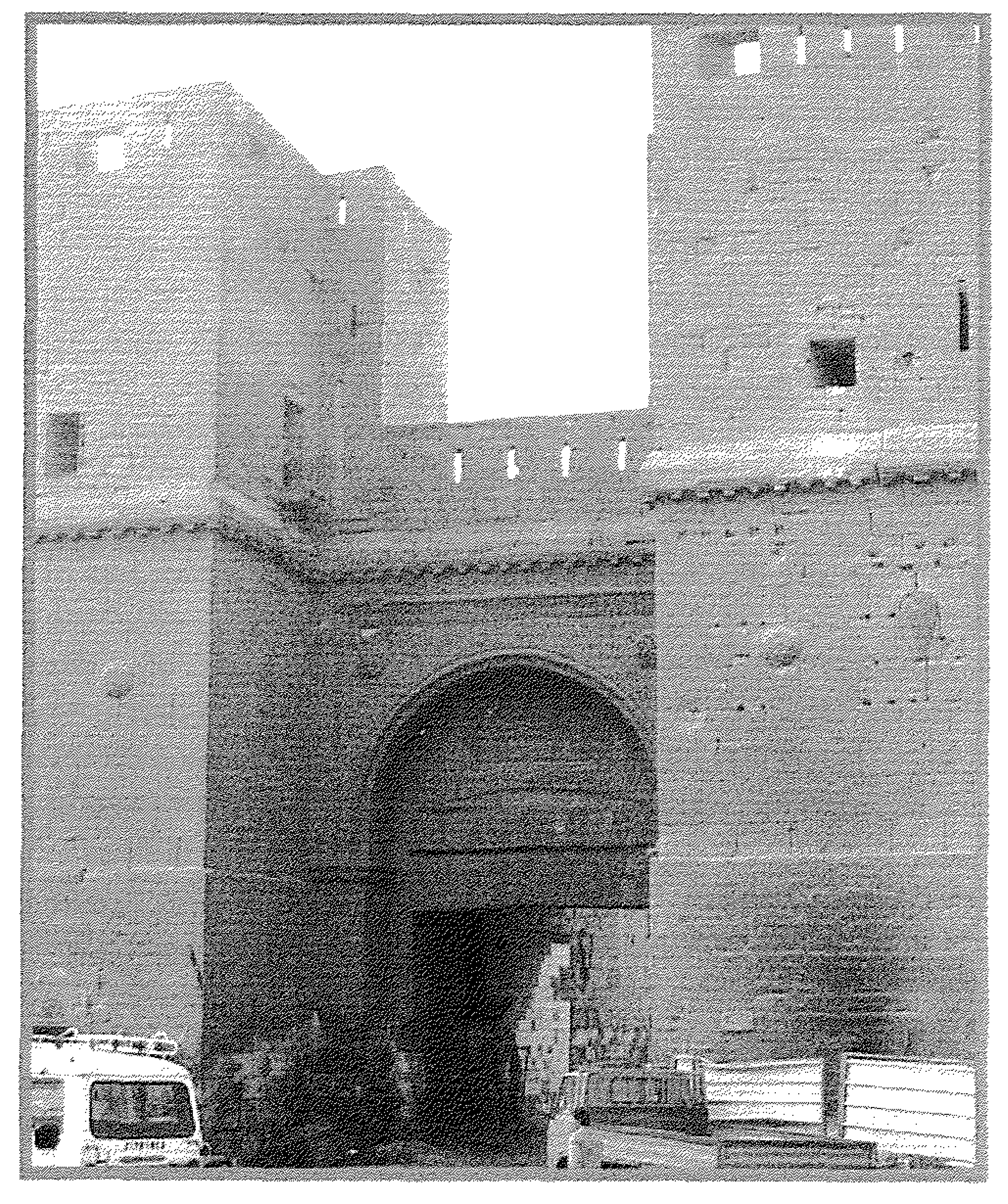
باب النصر

يعتبر باب النصر من أوائل الأبواب التي شيدها جوهر الصقلي عام ٤٨٠هـ، ونطالع فيها نقشاً كتابياً مدوناً عليه تاريخ البناء، ويتكون الباب من برجين مستطيلين تتوسطهما كتلة المدخل وهي عبارة عن عقد نصف دائري محصور داخل إطار زخرفي مستطيل، تتوسطه لوحة حجرية عليها كتابات بالخط الكوفي نطالع فيها النقش التالي «لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله»[٥]، وقد وضعت هذه اللوحة فوق عقد عاتق بأسفله يوجد عتب الباب وهو عبارة عن صنج معشقة من الحجارة في شكل زخرفي تعتبر من أقدم الأمثلة في العمارة الإسلامية، ويفضي عقد المدخل إلى ساحة الدخول التي يبلغ ارتفاعها ٢١ متراً، ومغطاة بقبو متقاطع من الحجارة تتوسطه جامعة زخرفية على شكل صرة في مركز القبو.

ويفصل العقد النصف دائري عن جدار الممر فتحة (سقاطة) لرؤية الواقف أمام الباب، ولإلقاء المواد الحارقة والحمم على العدو أثناء محاولته الدخول من الباب، ويزين البرجين من الخارج أشكال تمثل بعض أدوات الحرب من تروس ودروع وسيوف، وكل برج من الأبراج المربعة يبلغ ارتفاعه ما يقرب من ٢٢ متراً، مكونة ثلاثة طوابق يتراجع كل منها تراجعاً خفيفاً عن الطابق الذي يدنوه.

باب الفتوح

يرجع بناؤه إلى عام ٤٨٠هـ، ومسقطه عبارة عن برجين مستديرين يتوسطهما المدخل، ويبلغ ارتفاعهما ٢٣ متراً، وعلى يمين ويسار الداخل توجد دخلتان، كل دخلة يتوجها عقد مجيدي مزخرف بمخدات (حلية



باب النصر

تشبه الوسائد)، ويعلو فتحة الدخول عتب مزر (صنج معشقة) من طابقين يعلوها عقد عاتق، ويغطي ساحة المدخل قبلة محمولة على مثلثات كروية، كذلك توجد سقاطة زيت تتقدم فتحة الدخول من أعلى، وتتعدد أشكال العناصر الزخرفية التي تزين العقود فهي عبارة عن أشكال زهور ونجوم وتكوينات هندسية وأشكال محارية تتشابه مع الزخارف المغربية في القيروان.

باب زويلة

سمي بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة زويلة المغربية، ويعتبر من آخر الأبواب التي بنيت ضمن أسوار القاهرة عام ٤٨٥هـ، ويقع في السور الجنوبي، ويتشابه في مسقطه مع باب الفتوح، فيتكون من برجين مستديرين وتفضي كتلة المدخل إلى ممر مسقوف بقبة محمولة على مثلثات كروية، ويوجد أعلاها شرفة تطل من أعلى على مدخل البوابة وتستخدم للمراقبة، وكانت أمام البوابة زلاقة كبيرة لإعاقة حركة العدو، وقد استغل السلطان المملوكي المؤيد شيخ برجي باب زويلة قاعدتين لمئذنتيه، فأضفت على البوابة مظهراً جمالياً

فريداً من نوعه[6].

مشروع فتح الباب المحروق

ويوجد في مصر حالياً مشروع لفتح الباب المحروق على فتح محور آثاري وسياحي جديد في مدينة القاهرة التاريخية، هذا المحور جديد بالنسبة لنا ولكنه كان منذ مائتي عام أحد المحاور المعروفة في القاهرة، يمتد هذا المحور من الباب المحروق أحد أبواب أسوار صلاح الدين الشرقية عبر ميدان أصلم السلحدار إلى باب زويلة، وكذلك إلى الدرب الأحمر وباب الوزير،وكذلك إلى الباطنية وبالتالي إلى شارع الأزهر لأول مرة.

وقد قام بتشييد هذا الباب بهاءالدين قراقوش أحد قواد صلاح الدين الأيوبي في السور الشرقي للقاهرة ليكون أحد أبواب المدينة، وقد عرف هذا الباب عند إنشائه بباب القراطين لأنه كان يوجد بجواره سوق الغنم، وكان يجلس عنده القراطون الذين يبيعون القرط أي البرسيم،وحدث في أيام الملك المعز أيبك التركماني تنافس بينه وبين الأمير أقطاي الجمدار على السلطنة، وكان نتيجته استدراج أيبك أقطاى إلى القلعة وقتله.وذلك في شهر شعبان سنة ٦٥٢ هـ/ سبتمبر ١٢٥٤م. ثار مماليك أقطاي عقب هذا الحادث وقرروا الفرار إلى الشام،فتجمعوا عند باب القراطين ليلا للهرب منه،ولما كانت أبواب المدينة تغلق ليلا فقد أحرقوا الباب، ومنذ ذلك التاريخ عرف الباب بالباب المحروق. وكان من ضمن من هربوا بيبرس البندقداري والمنصور قلاوون وكلاهما عاد إلى مصر عندما هاجم المغول بلاد الشام،وشاركا في معركة عين جالوت، ثم حكما مصر.

وقد سدت فتحة هذا الباب بالبناء في زمن الحملة الفرنسية ضمن الأعمال التي قاموا بها عقب ثورة القاهرة الثانية عام ١٨٠٠م، وقد طمر الباب بالأتربة لبطلان استخدامه،إلى أن كشف عنه مهندس بمصلحة التنظيم يدعي محمد فهمي سنة ١٩٤٠م، وذلك أثناء عمله في المنطقة وأرسل إلى إدارة حفظ الآثار العربية يطلب منها إتمام الكشف عن الباب.

وصف الباب

يقع هذا الباب حاليا ضمن الأسوار الشرقية، وهو يتكون من برجين نصف دائريين، بينهما حائط مستحدث من عهد الحملة الفرنسية، وكان الجزء الظاهر من البرجين عند بدء العمل في مشروع إنقاذ أسوار صلاح الدين الشرقية لا يتجاوز نصف المتر وذلك عام ١٩٩٥م. ومنذ ذلك التاريخ وخلال المواسم المتتالية وحتى مساهمة مؤسسة آغا خان في أعمال الكشف تم الكشف عن برجي الباب بارتفاع مترين ونصف المتر من الجهة الشرقية المطلة قديما على صحراء باب الوزير خارج القاهرة، وكذلك كشف عن الحائط المستحدث بينهما، وأما من الجهة الغربية فقد تم الكشف لأول مرة عن كامل الطابق العلوي من برجي الباب، الشمالي متهدم نسبيا، ويوجد به ثلاث فتحات للمزاغل لرمي السهام واحدة أمامية واثنتان جانبيتان، ويبدو أن الفرنسيين استغلوا سقف البرج في نصب المدفعية تجاه صحراء باب الوزير حيث كشف بالأجزاء الباقية منه عن ساتر حجري يعود لعهد الحملة الفرنسية. أما البرج الجنوبي فهو في حالة شبه جيدة وبه ثلاث فتحات مزغلية أيضا، وقد كشفت أعمال الحفر الأثري به خلال موسم ١٩٩٩ / ٢٠٠٠م عن فرن لصناعة الخزف والفخار عثر فيه على بقايا لقطع من الخزف المصري أبرزها قطعة تقليد الخزف العثماني المصنوع في أزنيك، كما عثر على سلم صاعد على جانب البرج كان يؤدى إلى أعلاه من ممر كان يقع بين البرجين، وفي هذا الإطار تم إزالة طابق من منزل متهدم يقع بين البرجين في محاولة للكشف عن الممر الذي يربط الطابق العلوي من الباب غير أن أعمال الكشف توقفت لخطورة وضع الحائط الفرنسي المستحدث على عمال الحفر، وقد وضع تقرير استشاري هندسي من قبل الدكتور خالد الخولي الأستاذ في جامعة عين شمس بين خطورة الوضع الحالي للحائط على أرواح العاملين خاصة مع وجود شروخ رأسية وأفقية به وميول وتآكل في معظم أحجاره. وقد أوصى بهدم هذا الحائط.■

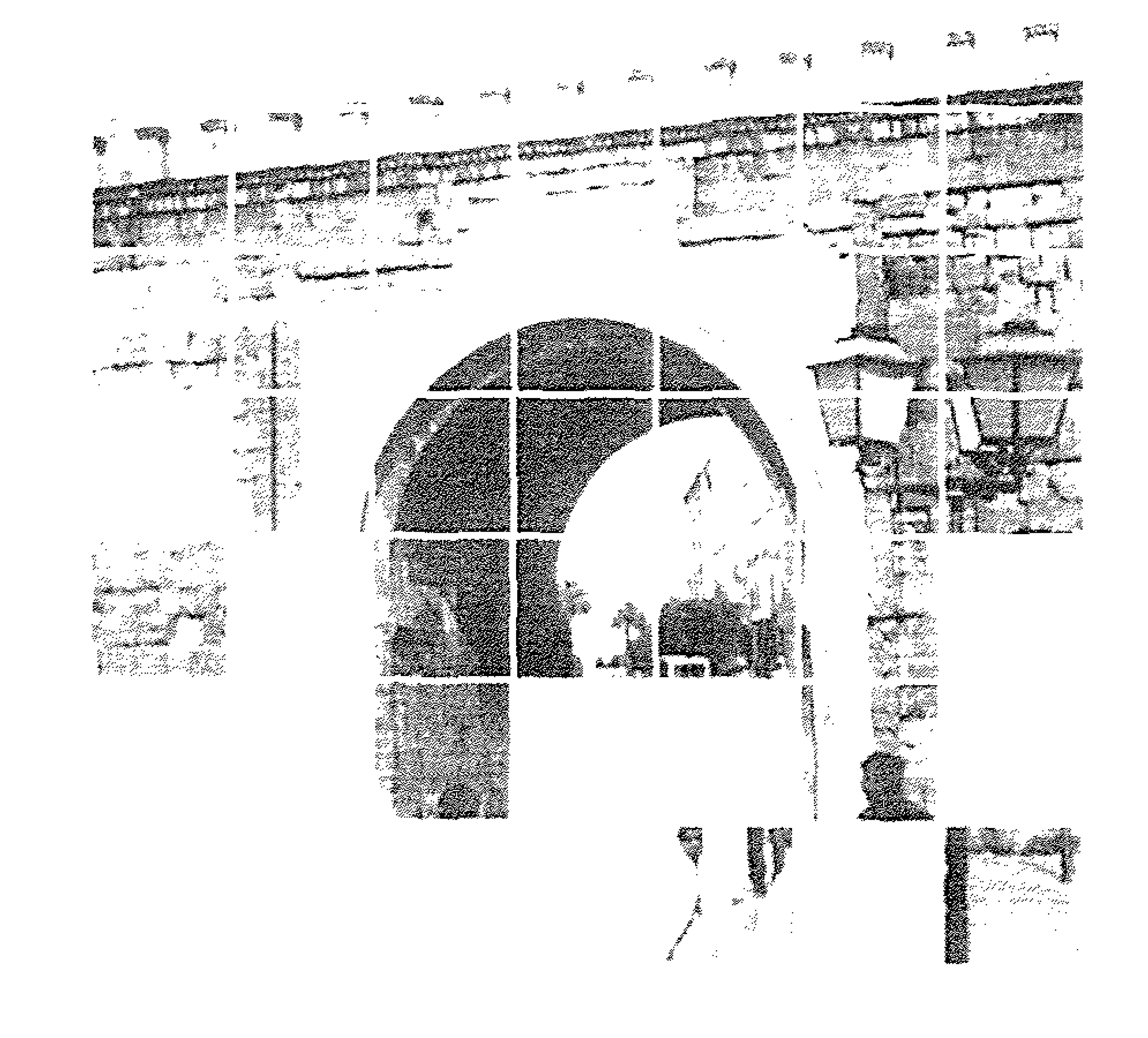
الهوامش

١) المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٥٣، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٤١.
٢) المقريزي الخطط، ج١، ص٣٥٣، أحمد فكري، مساجد القاهرة، ج١، ص٤-٥.
٣) كريسويل قصة تأسيس القاهرة، مقال في كتاب القاهرة، ص٣٠-٣٢. أحمد فكري، المدخل، ص٢٢، أيمن فؤاد سيد، التطور العمراني لمدينة القاهرة ص١٣.
٤) الخطط: ج٢، ص٥-٢٠، النجوم الزاهرة، ج٤، ص٣٨.
٥) محمود أحمد: دليل موجز، ص٧٦، فكري، المدخل، ج١، ص٢٥.
٦) المقريزي الخطط، ج١، ص٣٨١، المدخل، ج١، ص٢٦.

عن أبواب تونس كتب: **حمدي نصر**

شتان الفارق بين أبواب تونس الحالية.. وأبوابها في قديم الزمان.. فقد كانت في الماضي حصينة تمنع عنها كيد الكائدين، أما أبوابها الحالية فهي مشرعة مرحبة بالزائرين.

في الماضي.. اشتهرت المدن التونسية بأسوارها العالية التي كانت تصد عنها كل من تسول له نفسه الاقتراب منها.. وكما هو الحال في العديد من المدن العربية، اندثرت بعض الأسوار وغابت في طي النسيان الكثير من الأبواب التي نتحدث عنها إما بفعل الزمن، وإما بفعل التوسع والتمدد، ورغم ذلك، فإن كتب التاريخ لا تتضمن كثيرا عن أسوار المدن في تونس وأبوابها رغم أهميتها والدور الكبير الذي قامت به على مدار الأيام وبعضها يتم تقدير تاريخه بالمقارنة والقياس مع بعض الأبواب المعروفة أو بعض الآثار الموجودة.



أبواب تونس.. تاريخ حافل بالحياة

وقد كتب المؤرخ «ليون» عن أسوار تونس وعمارتها قائلا. إن السلطان المستنصر زاد في عمارتها بإحداث ربض خارج باب السويقة به ثلاثمائة دار، وربض خارج باب المنارة به ألف دار، وربض خارج باب البحر به مساكن النصارى ومتاجرهم، وكانت جميع هذه الأبواب تغلق ليلا، ونهارا وقت صلاة الجمعة وفقا لعادة قديمة ظهرت في أواخر الدولة الحفصية، واستمر الأمر كذلك على عهد حكم الأتراك أثناء حكم الدولة المرادية، وأيضا في أيام العصر الحسيني إلى أوائل مدة المشير أحمد باي، فلما تم ترتيب الأجناد والعدة الكافية لحماية المدينة استغني عن إغلاق الأبواب عند صلاة الجمعة وبقيت على حالها مساء بانتظام من الغروب حتى قبيل طلوع الشمس، عدا باب الخضراء وباب علاوة، فلم يكونا يغلقان إلا عند صلاة العشاء، وكانت أبواب الحارات والحومات بداخل المدينة تغلق بالليل

على كثرتها. فلكل حومة باب خاص يجعلها منفصلة عن الحارات طيلة الليل صيفا وشتاء، وكانت مفاتيحها بيد المحركين، ولا يجوز فتحها ليلا بأي حال اللهم إلا في حالة احتضار مريض لجلب طبيب له، أو امرأة في حالة مخاض ليؤتى لها بالقابلة، واستمر إغلاق أبواب حوامات المدينة حتى سنة ١٢٧٦هـ، ١٨٥٩ م. فلما أعلن المشير محمد الصادق باي قانون عهد الأمان، ترك لأهل الحاضرة حريتهم بإبقاء أبواب حاراتهم مفتوحة طوال الليل كما في النهار، ولم يستثن من ذلك إلا أبوب أسواق التجارة، ومازالت حتى هذا الزمان. أما غلق الأبواب ليلا فكان المقصود به حماية المدينة من أي اعتداء خارجي، وفي الوقت نفسه، لإحكام الرقابة على المنتجات الزراعية الداخلة إلى أسواق المدينة وتحصيل الرسوم عليها، وكما ذكرنا، فإن أبواب المدينة لم تكن لتفتح ليلا إلا لحادث عظيم، ومن هذه الحوادث التي ذكرتها كتب التاريخ أن باب أبي سعدون فتح ذات مرة في الليل بإذن من الداي ليخرج جماعة من القراء تم استدعاؤهم بمناسبة مأتم بدار الإمارة، وقد صدر الإذن بإبقاء باب أبي سعدون مفتوحا عام ١٢٩٨هـ، ١٨٨١ م لمرور جيش الاحتلال الفرنسي بين المدينة وثكناتهم العسكرية خارجها، وبالتدريج، فتح باب الخضراء، وباب علاوة، وباب القرجاني، وباب العلوج، وأخيرا باب سيدي عبد السلام في الليل والنهار، وألغيت الرسوم التي كانت تحصل على المحاصيل الزراعية الداخلة للمدينة لأن تكلفة تحصيلها فاقت قيمتها.!!

باب أبي سعدون

وحسب التسلسل التاريخي كانت هناك أبواب غير معروفة وأبوا ب معروفة التاريخ. ومن الأبواب غير المعروفة:

- **باب أرطه:** ويقال إنه كان من أقدم أبواب تونس، واسمه يرجع إلى اسم بشر بن أرطه من أصحاب عقبة بن نافع الذي تولى حكم أفريقية مرتين في أواسط القرن الأول للهجرة، وقيل أيضا إنه نسبة لبقعة من الأرض قريبة من تونس.
- **باب السقاين:** من أقدم أبواب تونس أيضا، لأنه كان موجودا في المائة الخامسة من الهجرة، ولعل موقعه كان جهة باب الأقواس.
- **باب الفلاق:** ذكره ابن أبي دينار في حديثه عن الأبواب التي كان موقعها بالسور المحرزي المندثر.
- **باب ينتجمي:** قيل إن موقعه كان بالقصبة لأن الزركشي قال: إنه أحد أبوابها.

أما الأبواب المعروف مواقعها والتي كثر الحديث عنها:

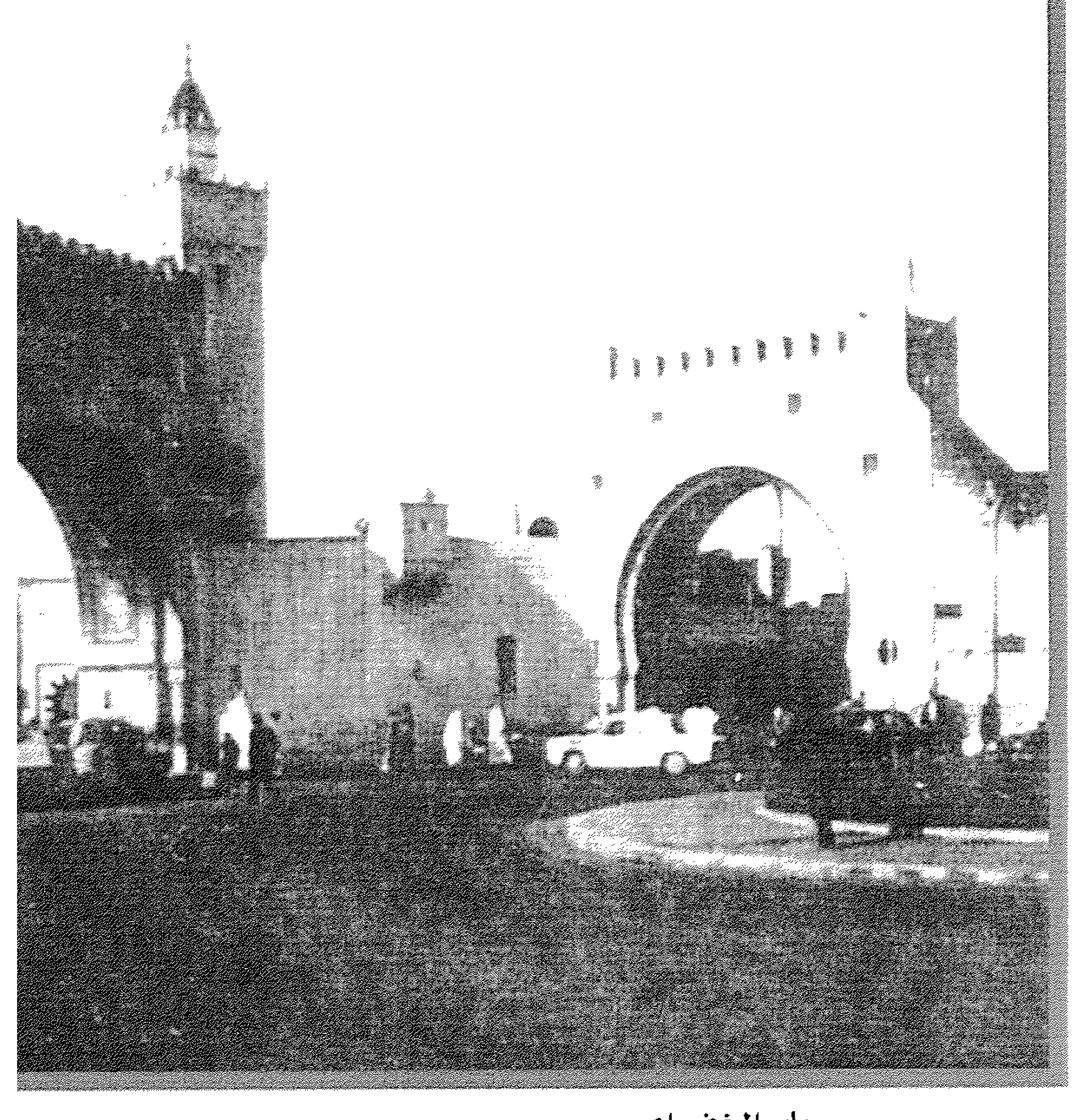
- **باب الجزيرة:** وهو من أقدم أبواب تونس، وهو منسوب إلى جزيرة شريك العبسي.
- **باب قرطجنة:** من أول أبواب تونس المعروفة، وقد يكون أنشئ في المائة الثانية من الهجرة لأنهم كانوا يدخلون منه الحجارة المجلوبة من أطلال قرطجنة لعمارة تونس، والتي كانت دار علم وفقه في المائة الثانية.
- **باب البحر:** اتفق على أنه من أقدم أبواب تونس لأن سوره كان هو المحيط بالمدينة يحميها من جهة البحر.
- **باب السويقة:** كان موجودا بالاسم نفسه في المائة الرابعة من الهجرة، ومعنى السويقة سوق صغير كان يملكها سيدي محرز بن خلف.
- **باب الأقواس:** ويقال انه اندثر مع السور القديم الذي بناه سيدي محرز بن خلف.
- **باب البنات:** وهو منسوب لبنات أحد الثوار، ولعله ابن غانية المعاصر للموحدين، وهؤلاء البنات كن على جانب كبير من الجسارة والشمم وعزة النفس.
- **باب غدر:** كان موجودا في عام ٧٠٨هـ، ١٣٠٨م، وكان خاصا بالعسكر الذين يسكنون بثكنة القصبة.
- **باب القرجاني:** سمي بذلك نسبة لولي الله سيدي علي الكبير القرجاني من رجالات المائة السابعة.
- **باب المنارة:** وسمي بذلك لأنه كان بجداره مشكاة لهداية أبناء السبيل، وكان موجودا في عام ٦٨٤هـ،

١٢٨٥م.

- **باب الجديد:** بني على عهد السلطان يحيى الحفصي في حدود سنة ٦٧٦هـ، ١٢٧٧م.
- **باب علاوة:** كان موجودا في عام ٨٨١هـ، ١٤٧٦م كما أورد الزركشي.
- **باب أبي سعدون:** وهو من الأبواب المعروفة في تونس، ذكره أكثر من واحد من المؤرخين، وقد بني في أواخر المائة الثامنة أو في أوائل المائة التاسعة، لأن السلطان محمد المنتصر الحفصي بنى سقاية هذا الباب في حدود سنة ٨٣٨ هـ الموافق ١٤٣٤م، حسب ما جاء في كتاب المؤنس، وقال فيه إمام البلاغة الورغي بطالعة نونيته المعروفة:

باكر سعودك ليس الوقت بالدون
واجعل صبوحك عند باب سعدون

- **باب الخضراء:** اسمه أزهى أسماء أبواب تونس، وسمي به لأنهم كانوا يعبرون منه لجهة الخضراء التي كنت موجودة بالزياتين، كان بناؤه في أواخر المائة العاشرة.
- **باب العلوج:** كان اسمه باب الرحيبة في المائة الثامنة وما قبلها، وغلب على نسبته للعلوج من أواسط المائة التاسعة، لأن السلطان أبا عمرو عثمان لما تولى الملك في سنة ٨٣٩هـ - الموافق ١٤٣٥م وفد عليه أخواله من إيطاليا، فبر بهم وأسكنهم بالربض المجاور للقصبة، وكانت أم هذا السلطان من العلوج، فعرف بحومة العلوج من ذلك التاريخ.
- **باب سيدي قاسم:** ينسب للسيد قاسم الزليجي المتوفى سنة ٩٠٢هـ، الموافق ١٤٩٦، وكان اسمه باب خالد كما ورد في المؤنس، ولعله السلطان أبو البقا خالد بن أبي زكريا (وهو احتمال ظني ليس مؤكداً).
- **باب الفلة:** هو من بقايا العصر الحفصي، قال المؤنس: سمي بذلك لأنه كان ثلمة في السور، ولما دهم أهل تونس العدو الأسباني فروا خارجين من هذه الثلمة مخافة أن تكون الأبواب الأخرى قد أحكم إغلاقها أو وقف بها الأعداء، فكان بعضهم يقول: اخرجوا من هذه الفلة، وبقي الاسم حتى اليوم.
- **باب سيدي عبد السلام:** تاريخه غير مؤكد، وهو على وجه التقريب وبناء على مقارنته ببعض الأبواب يمكن القول: إنه من العصر الحفصي لسببين: أولا انتساب الفسقية التي بقربه إلى اسمه، وهي في الأصل من بقايا العصر الحفصي، والثاني لأن هذاالباب أحد ثلاثة أبواب (معه باب سيدي قاسم وباب سيدي عبد الله) من مجموع أبواب تونس التي لم تمسها يد التغيير والترميم، فهي ما تزال في حالة بنائها العربي التي هي عليه من عدة قرون، وهي أيضا متماثلة الوضع والشكل والحجم، مما يؤكد أنها جزء من بقايا العصر الحفصي، لا سيما أن باب سيدي قاسم كان موجودا في المائة التاسعة، أي قبل سقوط الدول الحفصية بمائة عام.
- **باب سيدي عبد الله:** كان اسمه باب سيدي علي الزواوي، وزاوية سيدي علي الزواوي ما تزال موجودة داخل السور بالقرب منه.
- **باب العسل:** اسمه مقتبس من اسم درب ابن عسال، والذي كان موجودا في العصر الحفصي، لأنهم كانوا يسمون الأزقة والشوارع دروبا، وأما الباب المتحدث عنه فهو من العصر الحديث.■



باب الخضراء

* محمد بن الخوجة - صفحات من تاريخ تونس - تقديم حمادي الساحلي الجيلاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت.





حفل السودان عبر عصوره المتعاقبة بتاريخ حضاري طويل.. وشهدت أرضه ممالك سادت ثم بادت، كان لها الأثر البارز في بيان عراقته وتلون حضارته بالعديد من الآثار والمعالم والشواهد الحضارية في مدنه الكثيرة.

فهو يزخر بمواقع وشواهد أثرية هامة، وهناك مواقع تسمى «مواقع استراتيجية» لأنها في غاية الأهمية ليس للتاريخ السوداني فحسب، بل للتراث الأفريقي والإنساني بأكمله.

ومن أبرز المواقع الأثرية مدينة كرمة (كوش) شمال السودان، وكانت مملكة تمتد معالمها من سمنه في الشمال إلى أرقو في الجنوب[١]. حيث أظهرت التنقيبات الأثرية عن وجود مدينة متكاملة في كرمة ذات أسوار دائرية وبوابات كبيرة ومداخل محكمة لها، وعلى قصر ملكي ومستودعات وميناء وأسواق مُسورة بأبوابها القديمة[٢].

وكانت حصون مدينة المهدية عبارة عن حوائط ضخمة شيدت من الطين وفيها بوابات متعددة يمكن للمرء الدخول من خلالها إلى داخل الحصن الذي يقع على الضفة الغربية من نهر النيل شمال جسر شمبات[٣].

بوابة الشرق بسواكن

وعُرفت سواكن كميناء السودان الأول في الحقب الأولى، وهي من المدن المشهورة على البحر الأحمر تبحر منها وإليها السفن إلى موانئ المحيط الهندي وبحر العرب والخليج العربي[٤]. وكانت التجارة تسير عن طريقين إلى الخارج - طريق سواكن، والآخر عن مصر في عهد (دكين العادل) أيام حكم سلطنة الفونج لها[٥]. وكانت معبراً هاماً للحجاج إلى أرض الحجاز، وازدهرت سواكن في العصر الحديث ومنذ القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري، نتيجة الهجرة الشامية إليها[٦].

وتتكون المباني في مدينة سواكن من الجوامع والمنازل والمنشآت الحكومية مثل الطوابي والأسوار، ومن

أشهر بواباتها بوابة الشرق، والتي بنيت على أساس العمارة العربية الإسلامية، وترجع للفترة من ١٥٣١- ١٩٠٩م، ويوجد في سواكن خير ما يمثل الإبداع المعماري جوامع الجزيرة وخاصة (جامع الشافعي)، الذي تقول الروايات التاريخية إن الملكة شجرة الدُّر هي التي بنته عام ١٢٥٠م(٧).■



بوابة الشرق - سواكن - السودان

الهوامش:

١) أمل عمر أبو زيد: الملامح العامة لتاريخ السودان القديم. جامعة أم درمان الأهلية. الكتاب(١)، دار الزهراء، الخرطوم، ١٩٩٧م، ص٣٧.

٢) مسعود الخوند الموسوعة التاريخية الجغرافية، مؤسسة هانياد، بيروت ـ لبنان (د.ت)، ٩/ ٢٨٤.

٣) تعرّف على السودان (الدليل السياحي)، شركة ديسكفري سودان المحدودة، مطبعة صالحاني، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٩٩م، ص١٩.

٤) كذلك ص٢٩.

٥) ضرار صالح ضرار. تاريخ السودان الحديث، الدار السودانية للكتب، الطبعة الثالثة، الخرطوم، ١٩٧٥م، ص١٦.

٦) عبد الحكيم العفيفي ١٠٠٠ مدينة إسلامية، مكتبة الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى، مصر، ٢٠٠٠م، ص٢٨٩.

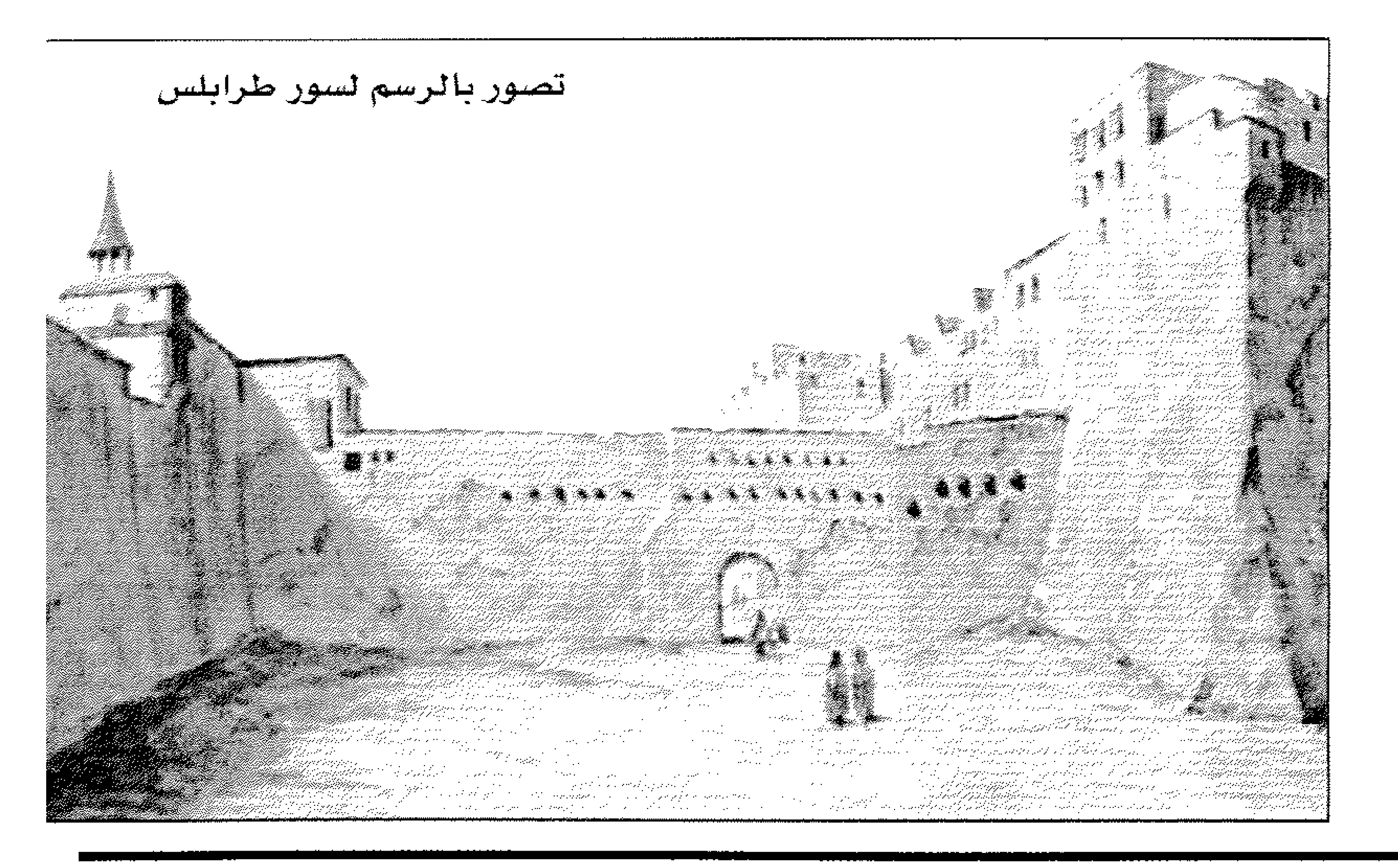
٧) تعرّف على السودان (المرجع السابق)، ص٦٨.



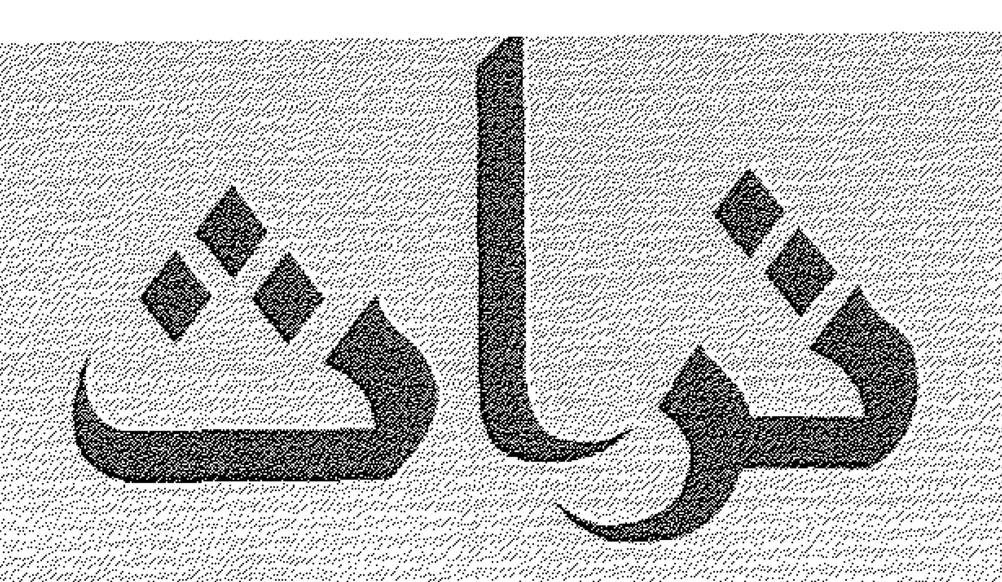
أبواب طرابلس الليبية

المؤكد أن المدن الليبية بها بوابات أو كان لها بوابات.. لأن العديد من الكتب تحدثت عن أسوارها.. لكننا بحثنا عن ضالتنا فلم نجد المادة العلمية التي تشبع نهمنا عن تلك الأبواب، وهنا لا بد أن نقول: إننا في بحثنا لم نجد إلا كتاباً واحداً يتحدث عن أسوار طرابلس الليبية ويذكر: «ومن أشهر أبواب المدينة على عهد بني الأغلب باب زناته (باب الجديد الحالي)، وسمي بهذا الاسم لأنه يجيز إلى مضارب قبائل زناته البربرية في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة، وباب هوارة أو (باب عبد الله) وهما يشكلان منفذاً لبابين أحدهما موجود على سور المدينة بالداخل، والآخر على سورها الخارجي (الستارة)، والبابان يشكلان منفذاً رئيساً للوافدين على المدينة من جهة الشرق، وفي الغالب ما يكون قد سمي بهذا الاسم لأنه يفضي إلى قبائل هوارة البربرية الضاربة شرق المدينة، ولعل الباب الأخضر وباب البحر هما المنفذان اللذان يطلان على البحر من الناحية الشمالية الشرقية من المدينة بجوار القوس الروماني الشهير ماركوس أوريليوس».■

المرجع. نجم الدين غالب. مدينة طرابلس عبر التاريخ - الدار العربية للكتاب، ط٢ - ١٩٧٨ - ص٦٧



تصور بالرسم لسور طرابلس





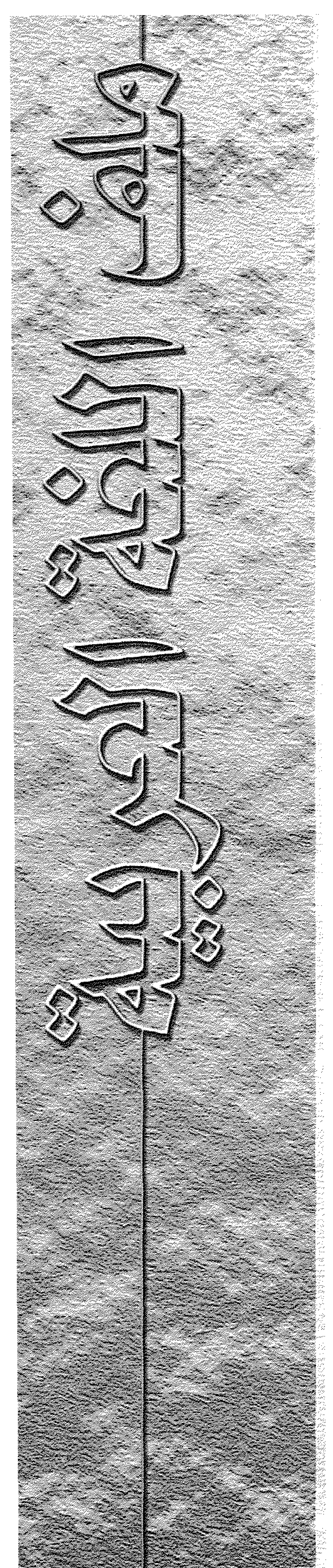
في شهر يونيو القادم

٥٠٠ عام

على وفاة أسد البحار

ابن ماجد

رعا الله جلفاراً ومن قد نشا بها
وأسقى ثراها واكف متتابع
بها من أسود البحر كل مجرّب
وفارس بحرٍ في الشدائد بارع



- اللغة العربية في مهب الريح(٢٥): ويكتب لنا الدكتور محمد رفعت زنجير في دراسة مقارنة عن قضية اختيار النصوص التي تواجه اللغة العربية، وتحدث فيها عن بعض الاختيارات وأهميتها، وخرج بخلاصة مفادها: أن اختيار النصوص أمر صعب، وتبقى أهمية تطوير كتب الاختيار ومناهجه باستمرار.

- «اللغة العربية وتحديات العصر»: كان عنوان ندوة نظمها برنامج اللغة العربية في وحدة المتطلبات الجامعية بجامعة الإمارات.. وشاركت فيها مجلة تراث بورقة العمل التي قدمها الزميل حمدي نصر سكرتير التحرير تحت عنوان: «اللغة العربية في مهب الريح».. موضوع حول الندوة كتبه لنا الزميل محمد رجب السامرائي استعرض فيه أبحاث الندوة وتوصياتها.

- كنوز اللغة العربية: عبد الوهاب الحبسي يواصل تقديم مثلثات قطرب، وهي الكلمات التي تتوحد في الحروف وتختلف في حركتها بالضم والفتح والكسر، وبالتالي تختلف في المعنى، وفي هذا العدد اختار بعض الكلمات التي تبدأ بحرفي: الحاء والظاء.

من بين المشاكل التي تواجهها لغتنا الجميلة ضعف اختيار النصوص في المناهج، ولأنها قضية مهمة، وطالما نحن نبحث في التحديات التي تواجهها اللغة العربية والهجمة الشرسة التي تتعرض لها، وبعد أن تكلمنا بإفاضة في الخطوط العامة، ندخل اليوم في صلب قضية المناهج ونبدأ بهذا الموضوع الذي كتبه لنا الدكتور رفعت زنجير عن جزئية من جزئيات هذه القضية.. على أن نكمل الحديث في قضية المناهج في الأعداد القادمة بإذن الله.. ونواصل دفاعنا المشروع عن لغتنا العربية.. باعتبارها اللسان والهوية.

دراسة تحليلية مقارنة

قضية اختيار النصوص الأدبية في ضوء التحديات التي تواجه اللغة العربية

■ د. محمد رفعت زنجير*

تواجه اللغة العربية تحديات جمة في هذا العصر وهي تحديات على مستويين:

المستوى الداخلي ويتمثل في انصراف كثير من أهلها عنها أو عن دراسة علومها أو تعليمها، واستبدالهم للهجات المحلية أو العامية المحكية بها.

والمستوى الخارجي ويتمثل في مزاحمة اللغات الأجنبية لها في عقر دارها، وعدم استخدامها في التواصل بين الشعوب والأمم المختلفة في ميدان العلم والحياة، بل لقد اقتصر استعمالها عند غير العرب في معظمه على الأغراض الدينية فقط.

ومن هذين المستويين تبرز أهمية تسهيل العربية والترويج لها والتمسك بها، وهذا لا يتحقق إلا ضمن خطة شاملة تستوعب تحديات العصر، وسبل النهوض بالعربية في عصر كادت فيه رياح العولمة تعصف بثقافات الأمم والشعوب جميعا، وتبتلعها ضمن تيارها الجارف والذي يتخذ من الإنكليزية لسانه الأول.

ومن سبل الترويج للعربية إعداد المناهج الجيدة الصالحة والموائمة لهذا العصر، فالمنهج الجيد مع الأستاذ القدير والطالب الجاد هي القواعد الأولى في صرح العملية التعليمية الناجحة في عصر التطور العلمي والتكنولوجي، وإعداد المنهج في مادة اللغة العربية يتطلب اختيار باقات من ورد بستانها الوارف، وتراثها العظيم، وتقديمها للأجيال لكي يتعرفوا على خصائص هذه اللغة الخالدة، ومزايا اللسان العربي المبين، وهو ما يحاول المختصون عمله في كل عصر.

اهمية الاختيار

تعد عملية اختيار النصوص الأدبية عملية هامة إلى حد كبير، وهناك من يذهب إلى أن الاختيار أصعب من التأليف نفسه، يقول ابن عبد ربه الأندلسي. (واختيار الكلام أصعب من تأليفه، وقد قالوا: اختيار الرجل وافد عقله)[1].

ومما يؤكد صعوبة الاختيار ما وقع فيه بعض الأعلام من التخليط فيما راموه من اختيار الكلام، مما حدا بأبي هلال العسكري أن يضع كتابه الصناعتين الذي جمع فيه ما يحتاج إليه في صنعة الكلام: نثره وشعره.[2]

والاختيار قديم عند العرب، فقد اختاروا المعلقات على ما سواها، ثم اختاروا جملة من القصائد بعينها كما في المفضليات والأصمعيات، ثم كان الاختيار بحسب الموضوعات وأول من بدأه أبو تمام في الحماسة ثم تبعه الآخرون في هذا المنهج، ولم تتوقف الاختيارات في العصر الحديث، فلدينا مختارات للبارودي، وأخرى لأدونيس، وغيرها، إضافة إلى كتب تأريخ الأدب العربي

التي تقوم دراستها أساسا على اختيار بعض الشعراء المتميزين، وتختار نماذج من الشعر لهم أيضا.

الاختيار للمناهج الدراسية

والاختيار ضروري في المناهج الدراسية، ولا بد أن نميز بين الاختيار لغرض فني أو أدبي، والاختيار لغرض تعليمي، فلا يشترط في الأول ما يشترط في الثاني من بعد تربوي وتوجيهي وعلمي. ولا بد لعملية الاختيار النافع الذي يقدم نصوصا للطلبة والدارسين في هذا العصر ألا تتكئ على اختيارات السابقين وحدها، أو تلجأ إلى النصوص المشهورة في تراثنا العربي كالمعلقات مثلا دون سواها، فلا بد من التجديد مع مراعاة الذائع المشهور، والقديم المأثور، بحيث لا يكون هناك جمود في دراسة النصوص وقصرها على عصور محددة، وموضوعات معينة. فاللغة نشاط إنساني يهدف إلى التواصل مع تراث الآباء والأجداد من جهة، ومع المجتمع الذي يعيش فيه الفرد من جهة أخرى، لذا يجب في عملية الاختيار المبدع مراعاة الآتي:

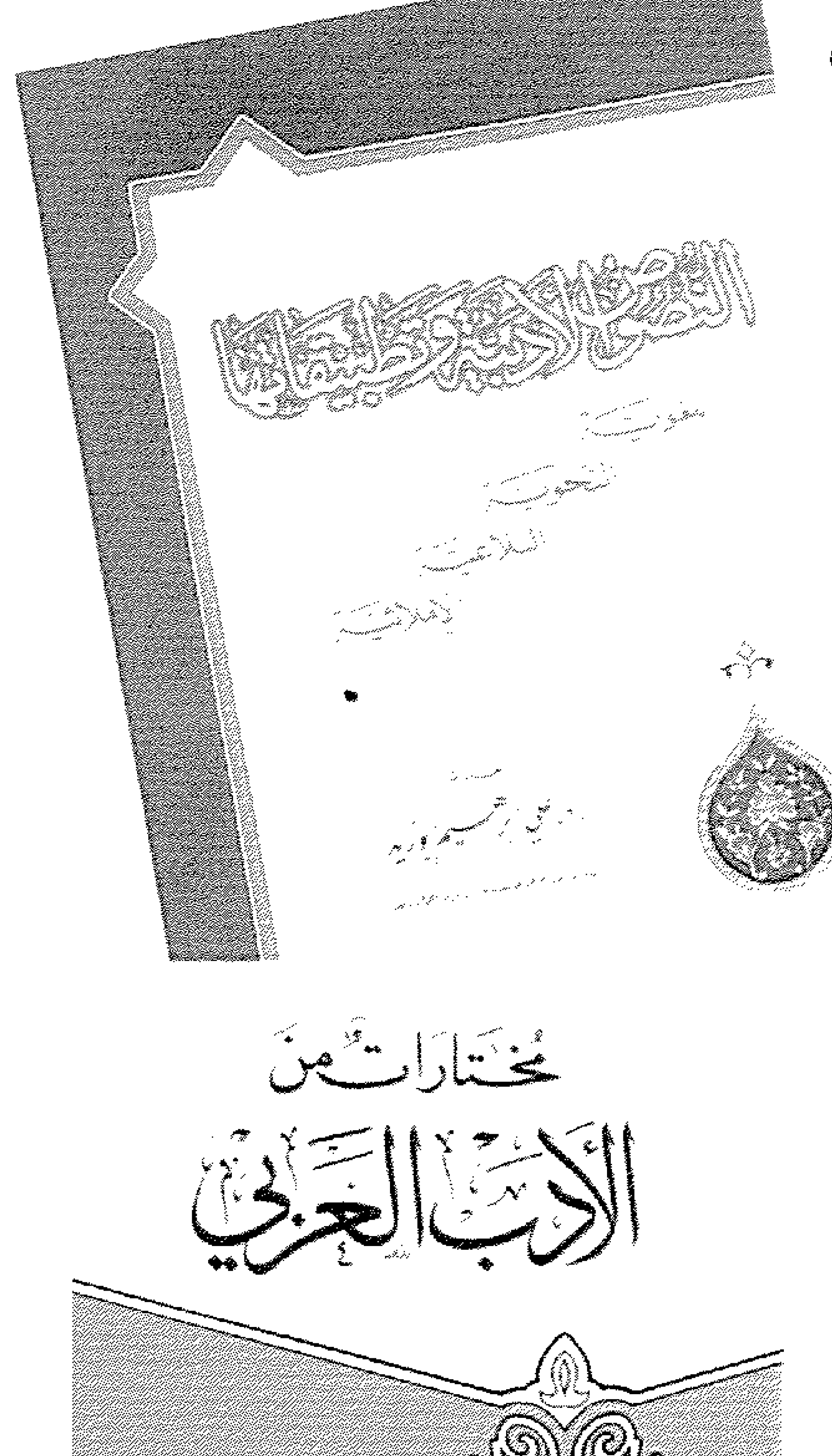
١- اكتشاف نص لم يعرفه الناس، أو عرفوه ولم يلتفتوا إليه.
٢- تقديم عرض جديد لنص معروف، أو قراءة جديدة للنص.
٣- اكتشاف المبدعين من الأدباء المغمورين في التاريخ أو الواقع المعاصر.
٤- اللغة أساسا وسيلة تواصل، لذا ينبغي أن يكون هنالك نوع من التوازن بين القديم والجديد في عملية الاختيار، والتركيز على النصوص المعاصرة ينبغي أن يكون في الموضوعات التي تعالج قضايا الإنسان المعاصر قبل غيرها .
٥- ينبغي أن تكون النصوص متنوعة لكي تربي كافة الجوانب في النفس الإنسانية، ولئلا تورث الملل لدى القارئ.
٦- ينبغي أن تكون النصوص ذات التزام بالقيم التربوية للأمة.

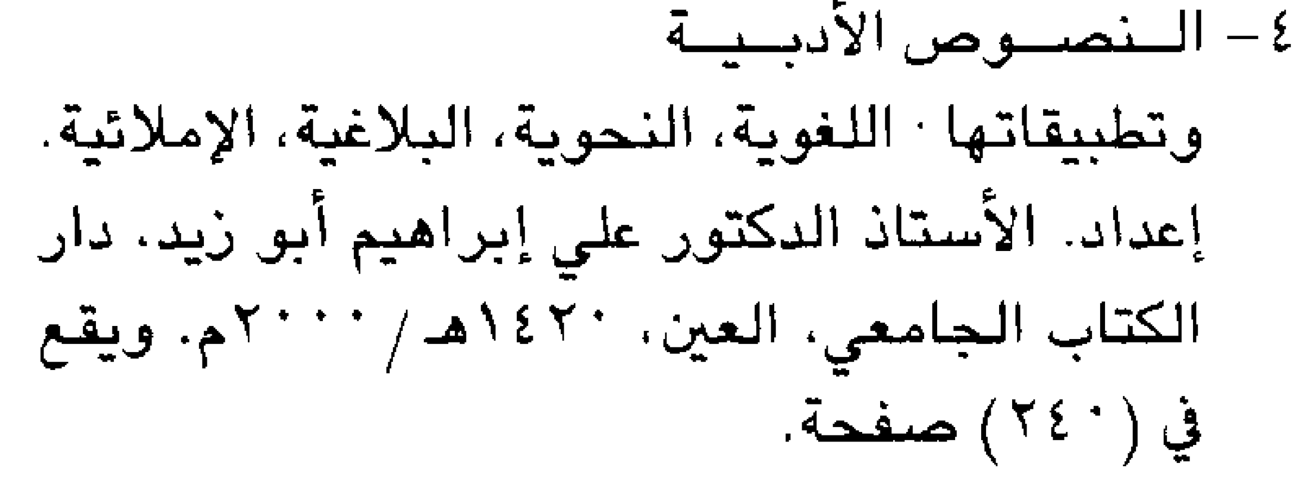
أما بالنسبة للكتاب الذي يحتوي على نصوص مختارة، فينبغي أن يقدم نبذة موجزة في أهم علوم العربية كالنحو والصرف والإملاء لكي تبقى مع الطالب كمرجع له في دراسته لهذه العلوم.

بعض كتب الاختيارات

وقد اطلعت على بعض كتب الاختيارات للمرحلة الجامعية، ووجدت بينها تشابها في أمور، واختلافا في أخرى، فأردت أن أقيم بينها هذه الموازنة، وذلك لكي تتضح الأمور أمام من يريدون التأليف في الاختيارات الأدبية للمرحلة الجامعية على وجه الخصوص، وهذه الكتب هي:

١- مختارات من الأدب العربي، للدكتور وليد قصاب، و الدكتور هاشم مناع، دار القلم، دبي، ١٩٩٤م / ١٤١٥هـ. ويقع في (٢٩٦) صفحة.
٢- النصوص الأدبية المختارة، للدكتور علي حسين العتوم، مكتبة الفلاح، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م. . ويقع في ٣٩٥ صفحة.
٣- اللغة العربية دراسات وتطبيقات، للدكتور محمد رضوان الداية، والدكتور محمد إبراهيم حور، راجعه الدكتور جميل سعيد، مكتبة المكتبة، أبو ظبي، الطبعة الأولى، بدون تاريخ. (٣٩٠) صفحة.
٤- النصوص الأدبية وتطبيقاتها: اللغوية، النحوية، البلاغية، الإملائية. إعداد. الأستاذ الدكتور علي إبراهيم أبو زيد، دار الكتاب الجامعي، العين، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م. ويقع في (٢٤٠) صفحة.





نظرة أولية:

لدى العودة إلى مختارات من الأدب العربي، للدكتور وليد قصاب، والدكتور هاشم مناع، وجدته خال من أي تحليل أدبي، وقد احتوى على نصوص كثيرة، ابتداء من العصر الجاهلي ومروراً بالعصور الإسلامية حتى العصر الحديث، والنصوص متنوعة.

وكذلك كتاب النصوص الأدبية المختارة، للدكتور علي حسين العتوم، فالنصوص فيه ذات طابع جدي، تدور في معظمها حول الوعظ والرثاء والحرب والمديح

والفخر وهجاء المستعمرين، وقد احتوى على تحليل مسهب للنصوص، ولحياة الشعراء أيضا، والنصوص المختارة تبدأ من العصر الجاهلي، مروراً بالعصور الإسلامية، حتى العصر الحديث.

وبالنسبة إلى كتاب اللغة العربية دراسات وتطبيقات، للدكتور محمد رضوان الداية، والدكتور محمد إبراهيم حور، والذي راجعه الدكتور جميل سعيد، فقد أتى بنصوص متنوعة شملت عديدا من الشعراء، مثل: البوصيري، ابن زمرك، وابن زريق، والأبيوردي، ومن المعاصرين عبد الله الطيب، وخالد سعود الزيد، من الكويت والجواهري وغيرهم. ويحمد له وجود مباحث نحوية وإملائية مرفقة مع الاختيارات، وكذلك وجود حديث عن الخط والتاريخ الهجري وعلامات الترقيم والمعاجم.

وأما كتاب النصوص الأدبية وتطبيقاتها · اللغوية، النحوية، البلاغية، الإملائية. إعداد. الأستاذ الدكتور علي إبراهيم أبو زيد، فالنصوص فيه كلها تقليدية، باستثناء نص رواية وإسلاماه لعلي أحمد باكثير، ويحمد له وجود التطبيقات، فقد تناول مباحث في البلاغة والنحو والصرف والإملاء والمعاجم العربية.

الموازنة بين الكتب الأربعة السابقة.

الموازنة التفصيلية تستلزم أن تحتوي على كثير من العناصر وفيما يلي جدول للموازنة بين الكتب الأربعة السابقة:

التسلسل	الموضوعات	مختارات من الأدب العربي	النصوص الأدبية المختارة	اللغة العربية دراسات وتطبيقات	النصوص الأدبية وتطبيقاتها	ملاحظات
١	عدد الصفحات	٢٩٦	٣٩٥	٣٩٠	٢٤٠	يفضل أن لا يتجاوز ٤٠٠ صفحة
٢	عدد النصوص الشعرية	٣٨	٢٠	٢٣	٨	يفضل أن تتساوى مع النصوص النثرية
٣	عدد النصوص النثرية	٣٧	٧	١٦	١١	
٤	المجموع الكلي للنصوص	٧٥	٢٧	٣٩	١٩	يفضل أن يكون عدد النصوص ٣٠ – ٤٠ نصاً
٥	ترتيب النصوص حسب العصور الأدبية	موجود	موجود	موجود	غير مرتبة تماماً، حيث نجده قدّم نصاً للمتنبي ص٨٩ قبل نص لأبي العتاهية	ترتيب النصوص وفق العصور الأدبية مطلوب في عملية الاختيار
٦	نماذج من النصوص المشتركة		سورة الصف		سورة الصف	
		خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع	خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع		خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع	

التسلسل	الموضوعات	مختارات من الأدب العربي	النصوص الأدبية المختارة	اللغة العربية دراسات وتطبيقات	النصوص الأدبية وتطبيقاتها	ملاحظات
	نماذج النصوص المشتركة	خطبة علي في الحث على الجهاد		خطبة علي في الحث على الجهاد		النصوص المشتركة دليل على أمرين الأول: دليل على وجود النص من جهة، والثاني على تقليد أصحاب الاختيارات بعضهم بعضاً من جهة أخرى.
		خطبة قس بن ساعدة	خطبة قس بن ساعدة		خطبة قس بن ساعدة	
		وصية أمامة بنت الحارث			وصية أمامة بنت الحارث	
		القاضي والذباب للجاحظ			القاضي والذباب للجاحظ	
			قصيدة همزية لأبي العتاهية		قصيدة همزية لأبي العتاهية	
		المقامة البغدادية للهمذاني			المقامة البغدانية للهمذاني	
		رثاء الأندلس للرندي	رثاء الأندلس للرندي	رثاء الأندلس للرندي	رثاء الأندلس للرندي	
		شوقي يرثي عمر المختار	شوقي يرثي عمر المختار		شوقي يرثي عمر المختار	
		النسر لعمر أبي ريشة		النسر لعمر أبي ريشة	النسر لعمر أبي ريشة	
٧	الترجمة لصاحب النص	موجودة بإيجاز	موجودة بتطويل	موجودة	موجودة بإيجاز	يفضل الإيجاز
٨	التحليل الأدبي للنص	غير موجود	موجود	موجود	موجود في بعض النصوص فقط	يفضل التحليل الذي يستفيد من النقد القديم والحديث معاً
٩	شرح مفردات النص	موجود	موجود	موجود	موجود	وجوده ضروري

التسلسل	الموضوعات	مختارات من الأدب العربي	النصوص الأدبية المختارة	اللغة العربية دراسات وتطبيقات	النصوص الأدبية وتطبيقاتها	ملاحظات
١٠	الإشارة إلى مصدر النص	موجود	موجود	موجود	غير موجود	وجوده ضروري
١١	التدريبات على النصوص	غير موجودة	موجودة	غير موجودة	غير موجودة	وجودها ضروري
١٢	الملحقات بالكتاب	غير موجودة	غير موجودة	موجودة	موجودة	وجودها ضروري
١٣	موضوعات النصوص وتنوعها	متنوعة باستثناء الغزل	متنوعة باستثناء الغزل	متنوعة	متنوعة باستثناء الغزل	تنوعها ضروري
١٤	ذكر قائمة المراجع	غير موجودة	غير موجودة	غير موجودة	موجودة	وجودها ضروري
١٥	الأخطاء الإملائية والطباعية	قليلة	كثيرة	قليلة	قليلة	ينبغي التخلص منها
١٦	ضبط النصوص	موجود	موجود	موجود	موجود	وجوده ضروري
١٧	القيمة التربوية للنصوص	جيدة	جيدة	جيدة	جيدة	وجودها ضروري
١٨	التجديد في الاختيار	محدود جداً	محدود جداً	محدود جداً	محدود جداً	وجوده ضروري
١٩	التجديد في العرض	غير موجود	محدود	محدود	غير موجود	وجوده ضروري
٢٠	ملاءمة النصوص للواقع المعاصر	شبه ملائمة	ملائمة إلى حد كبير	شبه ملائمة	شبه ملائمة	الملاءمة ضرورية
٢١	مدى ملاءمة النصوص المعاصرة للتوزيع الجغرافي للعرب	منوعة، إلى حد ما، وفي الأدب الحديث اقتصر على الشام ومصر	منوعة	منوعة	منوعة إلى حد ما	يستحسن أن تكون منوعة وشاملة بقدر الإمكان، ولا ينبغي أن يكون الشمول على حساب الجودة

التسلسل	الموضوعات	مختارات من الأدب العربي	النصوص الأدبية المختارة	اللغة العربية دراسات وتطبيقات	النصوص الأدبية وتطبيقاتها	ملاحظات
٢٢	منهجية الاختيار	تقليدية تقوم على الذوق الشخصي وليس على أسس منهجية علمية في عملية الاختيار	تقليدية تقوم على الذوق الشخصي وليس على أسس منهجية علمية في عملية الاختيار	تقليدية تقوم على الذوق الشخصي وليس على أسس منهجية علمية في عملية الاختيار	تقليدية تقوم على الذوق الشخصي وليس على أسس منهجية علمية في عملية الاختيار	ينبغي أن تكون هنالك منهجية علمية تحدد أسباب اختيار النص دون غيره، ولا يكون الاختيار قائماً على الذوق فقط.
٢٣	المباحث النحوية	غير موجودة	غير موجودة	موجودة	موجودة	وجودها ضروري
٢٤	المباحث الصرفية	غير موجودة	غير موجودة	غير موجودة	موجودة	وجودها ضروري
٢٥	المباحث العروضية	غير موجودة	غير موجودة	غير موجودة	غير موجودة	وجودها جيد
٢٦	المباحث البلاغية	غير موجودة	غير موجودة	غير موجودة	موجودة	وجودها جيد
٢٧	المباحث الإملائية	غير موجودة	غير موجودة	موجودة	موجودة	وجودها جيد
٢٨	المباحث النقدية	غير موجودة	غير موجودة	غير موجودة	غير موجودة	وجودها جيد
٢٩	المعاجم	غير موجودة	غير موجودة	موجودة	موجودة	وجودها جيد
٣٠	المباحث التاريخية	غير موجودة	غير موجودة	موجود نبذة يسيرة	غير موجودة	وجودها جيد بقدر ما يعطي إضاءة حول النص

نظرة عامة في الجدول السابق

لدى التأمل في الجدول السابق نجد أن بعض الكتب كانت مشتملة على أكثر عناصر الموازنة، وبعضها لم تحتوِ أكثر من سرد لنصوص أدبية من عصور مختلفة، ومع تقديري الكامل لما بذله السادة الأفاضل في كتبهم من جهد، فإنني كنت أود لو أن هذه الكتب ركزت اهتمامها في انتقاء النصوص المعاصرة أكثر منه في النصوص التاريخية، لتقدم للطالب زادا فكريا في حياته العامة، وتعرفه على المشكلات التي يتعايش معها على مختلف الأصعدة: الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

كما ينبغي أيضا عدم إهمال النثر والتركيز على الشعر فقط، وبخاصة النصوص المسرحية، والقصص القصيرة، والخواطر الذاتية، فهي فنون معاصرة تطورت إثر النهضة الكبرى التي شهدها الأدب العربي في العصر الحديث، في شقيه المنثور والمنظوم.

ولا تعني المعاصرة بطبيعة الحال إهمال كل النصوص التاريخية، بل ينتقى منها ما هو أوثق صلة بالواقع المعاصر. ولا ينطبق هذا الحكم على الكتاب والسنة، لأن القرآن كتاب كل العصور، والسنة شرح عام للقرآن، فلها حكمه في كل عصر، ولا يمكن الاستغناء عنها.

وتحليل النص وشرحه وإبراز القيم الجمالية فيه أمر لا ينفك عن النص نفسه، وذلك إذا ما أردنا مساعدة الطالب على فهم النص وسبر أغواره وتذوقه أدبيا. وينبغي أن يصحب ذلك ترجمة وجيزة لصاحب النص، تمثل إضاءة أولية للقارئ، تساعده على فهم النص من خلال معرفة حياة صاحبه.

واحتواء كتب النصوص على ملحقات مبسطة بالنحو والصرف والإملاء وغيرها أمر إيجابي يساعد الطالب على استذكار معلوماته، ويكمل رسالة النص، وحبذا لو كانت الأمثلة مستخرجة من النصوص نفسها، وأن يكون هناك تدريبات عليها، كما فعل الدكتور علي العتوم.

ولأن هذه الكتب موجهة أساسا للطلبة الجامعيين، فقد كان من المستحسن أن تحتوي على ملحق بأهم المصطلحات العلمية العربية، وما يقابلها في اللغات الأجنبية، لأن بعض الطلبة يستخدمون المصطلحات الأجنبية ولا يعرفون المقابل العربي لها.

وضرورة تنوع النصوص من نثر وشعر تمليها الحياة بما فيها من أنشطة مختلفة، ولا ينبغي إهمال أي جانب من جوانب الحياة الفكرية والنفسية والعاطفية في عملية الاختيار، لأن الإنسان وحدة من الجسد والروح، ولا يمكن التعامل معه إلا من خلال هذا الإطار، ولا بد للأدب من أن يغذي مختلف الجوانب الفكرية والعاطفية في الحياة الإنسانية، ولا بد للنصوص أن تنتقى بعناية بما يحقق الأهداف التربوية في إنشاء الجيل الصالح، وغرس القيم الصالحة في أعماقه، بعيدا عن المباشرة، وتهييج الغرائز، والابتزاز عبر الكلمة

خاتمة:

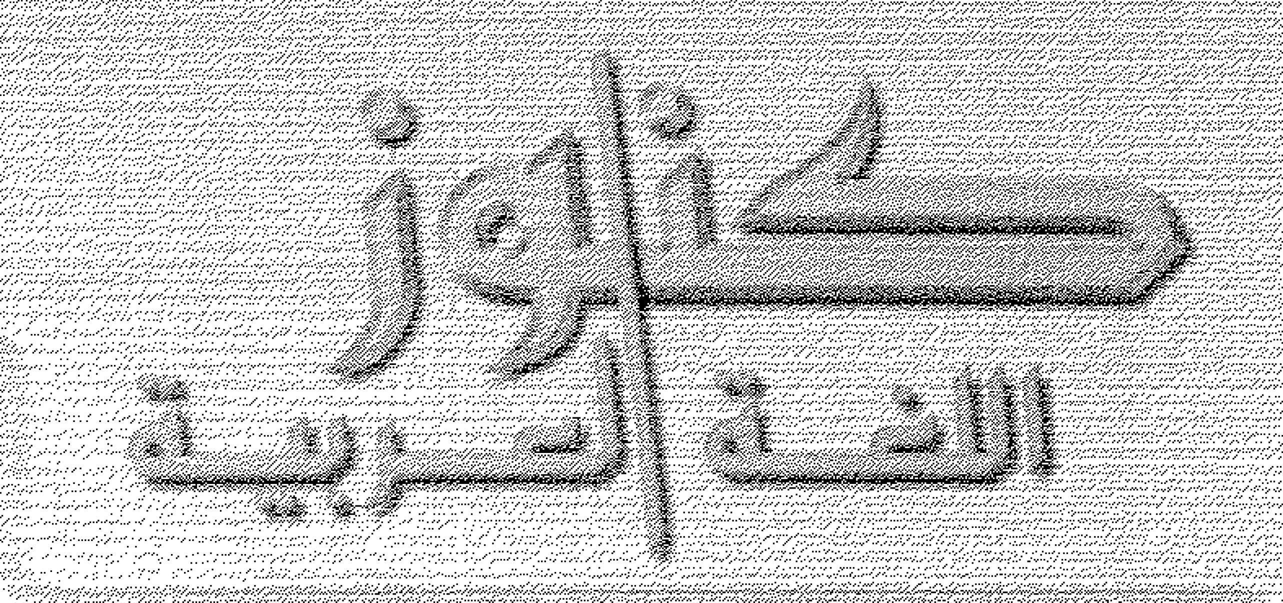
إن اختيار النصوص أمر صعب، وينبغي تطوير كتب الاختيار ومناهجه باستمرار، لأن كل كتاب إنما يلبي حاجة معينة في بلد معين ولمرحلة معينة، ولا بد من التطوير الدائم بما يتلاءم مع مستجدات الحياة، ويوافق رغبات الطلاب وميولهم التي تتبدل باستمرار في عصر السرعة والمتغيرات الكثيرة في مختلف البيئات الإنسانية، وينبغي أن يحافظ صاحب الاختيار على وظيفة غرس القيم والأخلاق في عصر عصفت به التكنولوجيا بالإنسانية، حتى كادت ألا يقر لها قرار، وأن تنسى الثوابت التي فطر الله الناس عليها، والحق الذي قامت عليه الأرض والسماء.

وبهذه المناسبة فإنني أثمن ما فعله السادة الأفاضل في اختياراتهم للنصوص التي يرون أنها توائم الطلبة، وقد بذلوا جهودا يشكرون عليها. وأتمنى المزيد من التعديل والتطوير الدائم لتلك الكتب، لكي توائم تطلعاتنا في إيجاد جيل متمسك بلغته، عارف بتراثه، خبير بواقعه وقضاياه، ولا يذوب في تيار العولمة الجارف، ولا ينزوي عن التأثير والتأثر والتفاعل مع معطيات الحضارة المعاصرة، بل ينهل من علومها مع الحفاظ على هويته وانتمائه لأمة العرب. ويستخدم من الحرف مددا يعينه في رسالته في هذه الحياة عبر طريقه الطويل. ■

* جامعة عجان للعلوم والتكنولوجيا
كلية التربية والعلوم الأساسية

١ - العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، (١/ ٢)، دار الفكر.

٢ - انظر كتاب الصناعتين، تحقيق د. مفيد قميحة، ، ص (١١-١٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ١٩٨١م.



مثلثات قطرب (٣-٩)

مثلثات في موضوعنا تعني الكلمة التي تغير معناها لتغير حركة من حركاتها بالفتح أو الضم أو الكسر رغم عدم تغير حروفها، وقطرب هو أبو علي محمد بن أحمد النحوي، وقد قدمنا في الأعداد الماضية حلقات تتناول بعض الحروف، وفي هذا العدد نواصل:

حرف الحاء

والاسم للحقّ حقيقاً حَقُّ
كذلك البعيرُ فهو حِقٌّ[١]
واسم الإنا من خشبٍ فحُقُّ
وجنسُه واضحٌ كالهلال

* * * * *

الاسم في سَيْر خفيفٍ حَبوة
والصَّبْر في السير فذاك حِبْوَة
وهبةٌ مقبولة فحُبْوَة[٢]
فاعلُها يُحمدُ في الفِعال

* * * * *

مُقدمُ القميص يُدعى حَجْرُ
والاسم للعقل فذاك حِجرُ
أبو امرئ القيس يُسمى حُجر[٣]
فاحفظ وُقيتَ السهوَ في المقال

* * * * *

نوع من النبات يُدعى الحَبُّ
والسم للحبوب فهو حِبُّ
محبَةٌ شديدةٌ فحُبُّ
ما مثلُ مشغوفٍ كمن هُو خال

* * * * *

سوادُ أحجار بأرض حَرَّة[٤]
والعطش الشديدُ يُدعى حِرَّة[٥]
وامرأةٌ عفيفةٌ فَحُرَّة
فلا تكن عن مثلها بسال

* * * * *

أما دباغُ الجلد فهو حَلْم[٦]
والتَّرْك للشرِّ فذاك حِلْم
وما يُرى لنائم فحُلم
طيفٌ يَجي في النوم كالخَيال

من جملة الطير هو الحَمام
والاسم للموت هو الحِمام
والرجُل الشجاعُ فالحُمام[٧]
فكن شجاعاً ترق للمعالي

حرف الطاء

وسم مولدَ الظباء بالطَّلا[٨]
وان ترد تعريفَ خَمر فالطِّلا
والحسن في الأعناق حقاً فالطُّلا
فاغنم لذيذَ العيش في الوِصال

عبد الوهاب الحبسي

هوامش

١) إذا بلغ البعير ثلاث سنين يقال له حقٌّ، لأنه استحق أن يحمل عليه، والحق. بضم الحاء. وعاء من خشب. وجمعه حُقق. بضم الحاء. وأحقاق.

٢) ملخص ما في القاموس وشرحه في كلمة (حبوة) حبا فلاناً أعطاه. والاسم الحبوة. مثلثة الحاء. والحبوة. بضم الحاء وفتحها. الاسم من الاحتباء، وهو ضم الرجلين إلى البطن بعمامة ونحوها، يلفها حول ظهره وهو جالس على أليتيه ولم يذكر (الحبوة) بفتح الحاء، بمعنى السير الخفيف، ولا بكسرها، بمعنى الصبر في السير

٣) في القرآن ﴿هل في ذلك قَسَمٌ لذي حِجر﴾ أي عقل.. وحجر. بضمة، وبضمتين. والد امرئ القيس، وجده الأعلى

٤) الحرة. بفتح الحاء. أرض ذات حجارة بحرة سوداء

٥) في (مقاييس اللغة) والحَرورُ الرياح الحارة، تكون بالنهار والليل. ومنه الحِرّة. بكسر الحاء. وهو العطش.. وفي المثل «حِرَّة تحت قرَّة». دعاء على الإنسان أي رماه الله بالعطش والبرد.

٦) في المعجم الوسيط (حَلم الجلدَ حَلْماً. بسكون اللام. نزع عنه حلمه. والحلَم. بفتح اللام ويكسرها نوع من القردان.

فإطلاق الناظم كلمة (حلم) على دباغ الجلد غير واضح وعبر الناظم عبر بصيغة الفعل الماضي فقال حلَم. بفتح اللام وكسرها، وضمها.. فبفتح اللام ما يراه الإنسان في النوم، وبكسرها حلم الجلدُ حلماً بمعنى فسد.. وبضمها حلم، من الحلم، بمعنى العفو وسعة الصدر. ولو قال المصنف «أما فسادُ الجلد فهو حلْم» لكان أوضح.

٧) الحمام. كغراب.. السيد الشريف.

٨) في القاموس (الطلا) بالفتح: ولد الظبي. الصغير. وبالكسر الخمر. وبالضم. الأعناق

«اللغة العربية وتحديات العصر» في جامعة الإمارات

« تراث » تشارك بورقة عمل وتوصي بإصدار مجلة تعنى بالعربية

تبنّت ندوة: «اللغة العربية وتحديات العصر» التي نظمها برنامج اللغة العربية في وحدة المتطلبات الجامعية بجامعة الإمارات في الحادي عشر من شهر مارس الماضي، الاقتراح الذي تقدمت به مجلة « تراث» والخاص بإنشاء مجلة شهرية تتبناها جهة مهتمة باللغة العربية، والاسم المقترح لها: «لغتنا الجميلة»، وتهدف إلى تجديد جريان اللغة العربية في دماء الناطقين بها، بشرط أن تكون علمية ثقافية بلغة صحافية، وليست بحثية، وتتضمن العديد من الزوايا والأبواب الشائقة التي تحبب اللغة العربية في نفوس القرّاء، وتثري ثقافتهم اللغوية، وتبرز سمات هذه اللغة ومضامينها، وترغبهم في القراءة بمادتها العلمية، وبمسابقاتها وزواياها التي أكدت «تراث» على وجوب سلاستها وسهولتها وحيويتها.

تراث شاركت في الندوة التي استضافتها القاعة متعددة الأغراض في كليات الطالبات بالجامعة، بورقة بحثية أعدها الزميل حمدي نصر سكرتير تحرير المجلة بعنوان «اللغة العربية في مهب الريح»، كما شاركت بجناح خاص تضمن إصدارات المجلة.. وقد نال إعجاب المشاركين والحاضرين والطالبات. الورقة التي قدمتها « **تراث** » أشارت إلى تعرض الأمة العربية الآن لهجمة شرسة تتخذ من اللغة العربية المعول الأول والأهم في هدم مقومات هذه الأمة من منطلق أن اللغة العربية هي هويتها ولغة دينها. وأشارت إلى أشكال وأسباب وأهداف ووسائل هذه الهجمة وكيفية مجابهتها، وآراء الخبراء والمسؤولين وعلماء اللغة وأساتذة الفكر فيما آل إليه حال لغتنا الجميلة، وكيف يمكن الخروج بها من هذا المأزق. وأشار الزميل حمدي نصر إلى أن الاتهامات التي أثارها أعداء اللغة العربية تنحصر في نقطتين هما. (زعمهم أنها لغة دين وليست لغة علم، وادعاؤهم أنها لغة تاريخ وليست لغة مستقبل). ولكنّ المعاول التي كانت وما تزال تكيل هذه الاتهامات قد وسعت هجمتها، وادعت بشكل جازم وحازم ونهائي «أن اللغة العربية ليست لغة العصر».



إقبال من الطالبات على جناح معرض « تراث »



« تراث » تقدم ورقة عمل : (اللغة العربية في مهب الريح)

وبين سكرتير تحرير « تراث » أنّ الهجمة ضد اللغة العربية ليست جديدة، وأنّ معاول الهدم كانت لها مخالب من بين أبناء جلدتنا، شنوا حملتهم في اتجاهين، ورغم البون الشاسع بينهما، إلا أنهما يصبان في مستنقع واحد.

حيث يتمثل الاتجاه الأول بإدعاء البعض أن اللغة العربية جامدة لا تستطيع أن تمس الوجدان الشعبي، وطالبوا باستخدام (اللغة العامية) وسيلة للحوار والتفاهم. ونضع كلمة (اللغة العامية) بين قوسين لأنهم يحلمون بالترويج لها لتكون لغة وليس لهجة، ولتكريس هذا المفهوم لدى العامة والخاصة، بحجة أنها سهلة الاستخدام وأكثر انسجاماً مع مجتمعاتها.

وأما الاتجاه الثاني فهو أن اللغة العربية قاصرة عن استيعاب المصطلحات العلمية ومواكبة لغة العصر التكنولوجية، ولذلك ألصقوا بها اتهامات أصبحت تدور بين العامة كنكات تدين - كما يروجون- جمود اللغة العربية، كتعريب لفظة «الساندوتش» بالشاطر والمشطور وبينهما طازج التي يعرفها كل علماء اللغة.

ومن خلال الآراء التي أبداها علماء اللغة والمفكرون والحادبون عليها، ووزراء تربية وتعليم سابقون عن الهجمة ضد اللغة العربية، وأسباب ضعف هذه اللغة، برز لنا سؤالان هما:

هل يرجع ذلك إلى حملة خارجية مستعرة ضد اللغة العربية بهدف هدم كل مقوماتها ورموزها ومضامينها، وبالتالي هدمنا نحن، أم أنها منا وفينا وهذا ما جنته أيدينا؟

والسؤال الثاني: هل يعود ذلك إلى ضعف المناهج أم إلى ضعف إعداد المعلم؟

وفي محاولة للإجابة عليهما، عرضت الورقة لبعض النقاط المهمة التالية:

* إن الهجمة ضد اللغة العربية قد تكون في أساسها آتية من الخارج، لكنها في واقع الأمر تستخدم مخالب من الداخل للفتك باللغة العربية.
* إن ضعف إعداد المناهج خطأ تتحمله وزارات التربية والتعليم في البلاد العربية وإن استخدمت حجة التحديث، حيث يكون التحديث في الأسلوب وليس في المضمون.
* إن ضعف إعداد المعلم هو نقطة الفصل في تقويض أساسيات بناء اللغة العربية لأن فاقد الشيء لا يعطيه.
* إن أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية تتحمل قسطا كبيراً من مسؤولية تدهوراللغة العربية فبعض المحطات الفضائية تحديدا باعتبارها أكثر انتشارا وأكبر تأثيرا، كأنه لم يعد يكفيها ما تقدمه من فجاجة في الموضوعات، وإنما اعتمدت اللهجة العامية المقعرة وسيلة لتقديم البرامج، وفي الوقت نفسه تراجعت فيها البرامج الثقافية التي تهتم بالثقافة بشكل عام واللغة العربية بشكل خاص إلى حد كبير. وهذا الأمر ينطبق أيضا على أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة.
* ونجد بأن أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية روجت بشكل كبير ومستمر لأعمال فنية تتواصل فيها السخرية من مدرس اللغة العربية، وإظهاره دائماً في صورة المتزمت، المغلق، المتعنت، بل إن بعضها ألصق به تهم: البخل والجشع والغباء والجهل!! إمعانا في تشويه صورته.
* وإن الأسر العربية بشكل عام تتحمل قسطا كبيرا من انهيار مقومات اللغة العربية فيها: فلم تعد تهتم



لقطة لإحدى جلسات الندوة



د. خليفة علي السويدي
جامعة الإمارات



د. أحمد الفرهادي
جامعة الإمارات

بتدريسها لأبنائها، بل إنها أيضا تحرص على أن ينطق أبناؤها.. في بيوتهم.. باللغة الأجنبية، من قبيل إظهار التمدين، علاوة على سيل العرم من المربيات اللاتي يعلمن أولادنا لغة مسخا ومشوهة، لا هي عربية ولا هي أجنبية، فضاعت الهوية.

* وإن البلديات في المدن العربية تتحمل قسطا من ذلك، حيث اللافتات على المحلات في البلاد العربية مكتوبة إما بلغة أجنبية كاملة، وإما بلغة أجنبية بحروف عربية، وإما بلغة لا بين هذا ولا ذاك.

* وطالبت بعض الآراء أن يكون هناك تدخل سيادي لحماية اللغة العربية، والأكثر، وهو يحز في النفس، أن أحد مؤتمرات مجامع اللغة العربية أوصى بضرورة البحث في عرض الأمر على القضاء إذا فشلت الجهود في إقناع السلطتين التشريعية والتنفيذية بتنفيذ توصيات المؤتمر.

ونرى أنه رغم هذا الظلام، فعلينا ألا نيأس ولا نبتئس، وفي الوقت نفسه علينا ألا نتواكل، فقد وعد الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم، وفي ذلك حفظ للغة العربية، وفي الوقت نفسه، هناك شموع تضيء ممثلة في مجامع اللغة العربية، وجمعيات حماية اللغة العربية التي بدأت تنتشر ويتوسع نشاطها بجهودها وبالجهود الخيرة الداعمة لها، إضافة إلى الجهود الفردية التي لها كل التقدير، فما بالنا إذا اجتمع الشمل وتعاظمت تلك الجهود وتضافرت.

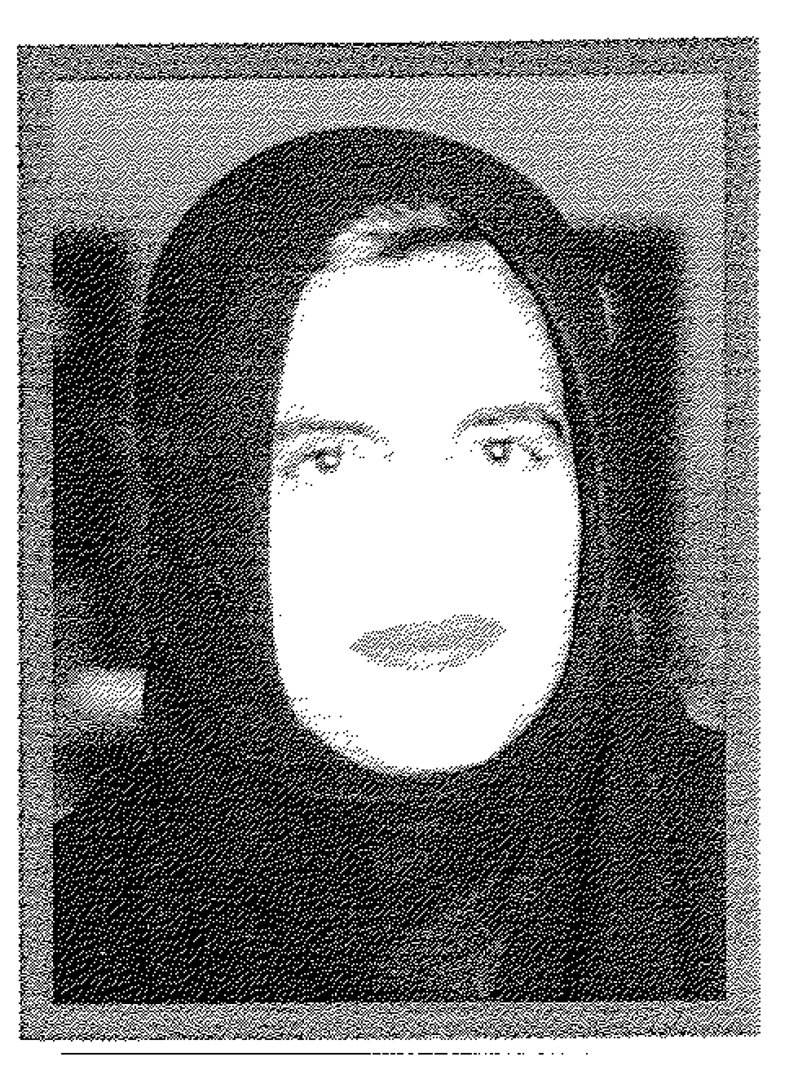
وقد افتتحت ندوة «اللغة العربية وتحديات العصر» في جامعة الإمارات تحت رعاية معالي الدكتور هادف بن جوعان الظاهري مدير الجامعة، واستهل حفل الافتتاح بآيات عطرة من الذكر الحكيم، وكلمة للدكتور خليفة السويدي مدير وحدة المتطلبات الجامعية، وكلمة الدكتور أحمد الفرهادي المنسق الأكاديمي لبرنامج اللغة العربية. وتوزعت جلسات الندوة على أربع جلسات اثنتين صباحيتين واثنتين مسائيتين.

الجلسات الصباحية

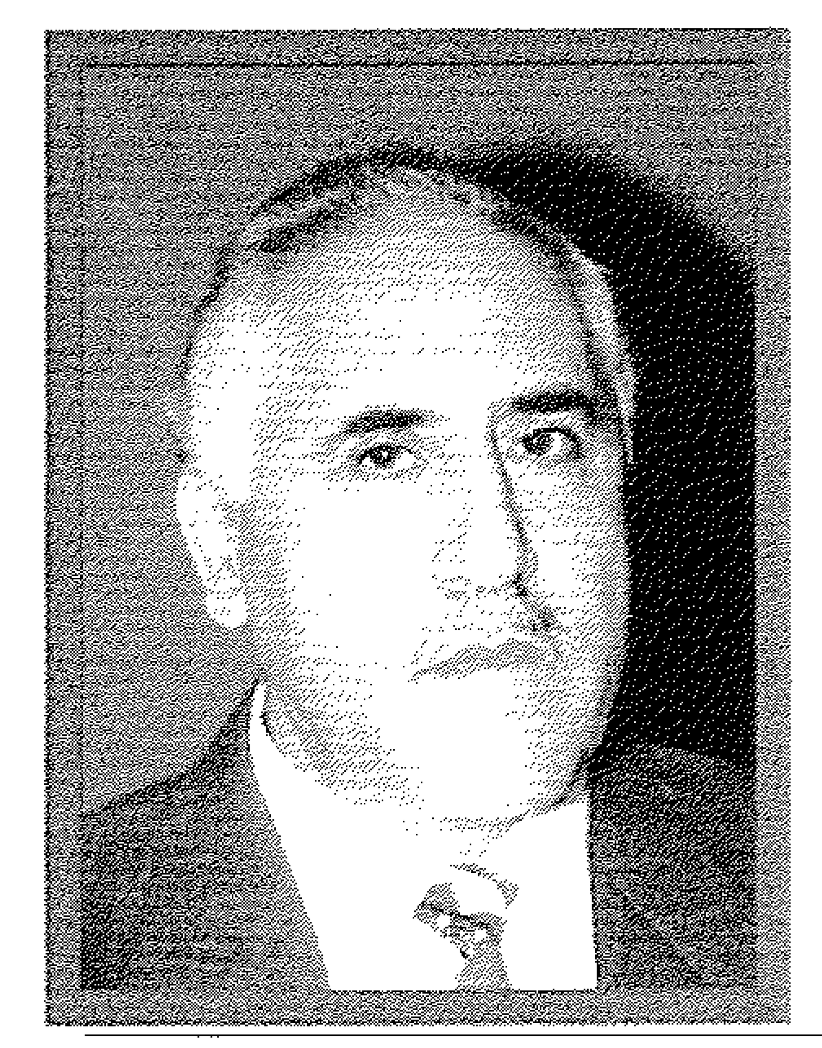
قدمت في الجلسة الأولى للندوة أربع أوراق بحثية تحدث فيها الدكتور محمد محمود موسى عن «فعالية الحاسوب في استخدام تدريس قواعد النحو العربي»، وألقى الدكتور عبد الكريم محمد حسن جبل بحثه: «صيغ العربية بين جهد القدماء والمُحدثين - فَعُل نموذجا»، أعقبه بحث «الحمل على المعنى» دراسة تطبيقية على القرآن الكريم، للدكتور مصطفى أحمد عبد العليم، واختتمت هذه الجلسة ببحث الدكتور محمد قاسم الزوكاني حول: «من أسرار العربية وجمالياتها».



د. عمر حمدان الكبيسي
جامعة عجمان



شيخة محمد سلطان الماكري
منطقة أم القيوين التعليمية



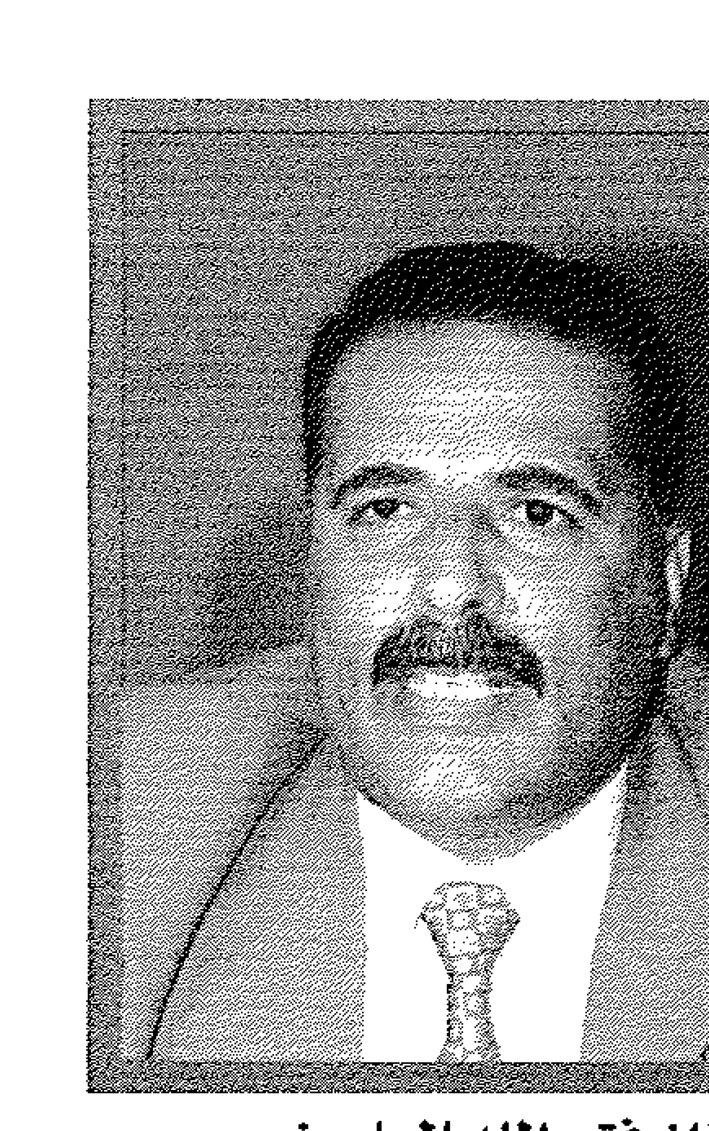
د. محمد قاسم الزوكاني
جامعة الإمارات

بينما شارك في الجلسة الثانية خمسة باحثين قدموا أوراقهم خلالها وهم. الأستاذ محمد عطية إبراهيم جاد الله ببحثه «تنمية مهارات التفكير الناقد»، والبحث المشترك المعنون «اللغة العربية· واقع وطبيعة ومشكلات وحلول تربوية» للأستاذ فوّاز بن فتح الله الراميني وعذبة خليفة القفلي، أعقبه بحث «اللغة العربية في مهب الريح» للزميل حمدي نصر سكرتير تحرير مجلة «تراث»، وقدمت شيخة محمد سلطان الماكري بحثاً بعنوان «أسباب عزوف الطالبات عن النحو وكيفية تنمية الاتجاهات الإيجابية إليه»، وختمت الجلسة بـ« تعريب مصطلحات المرور» للدكتور عمر حمدان الكبيسي.

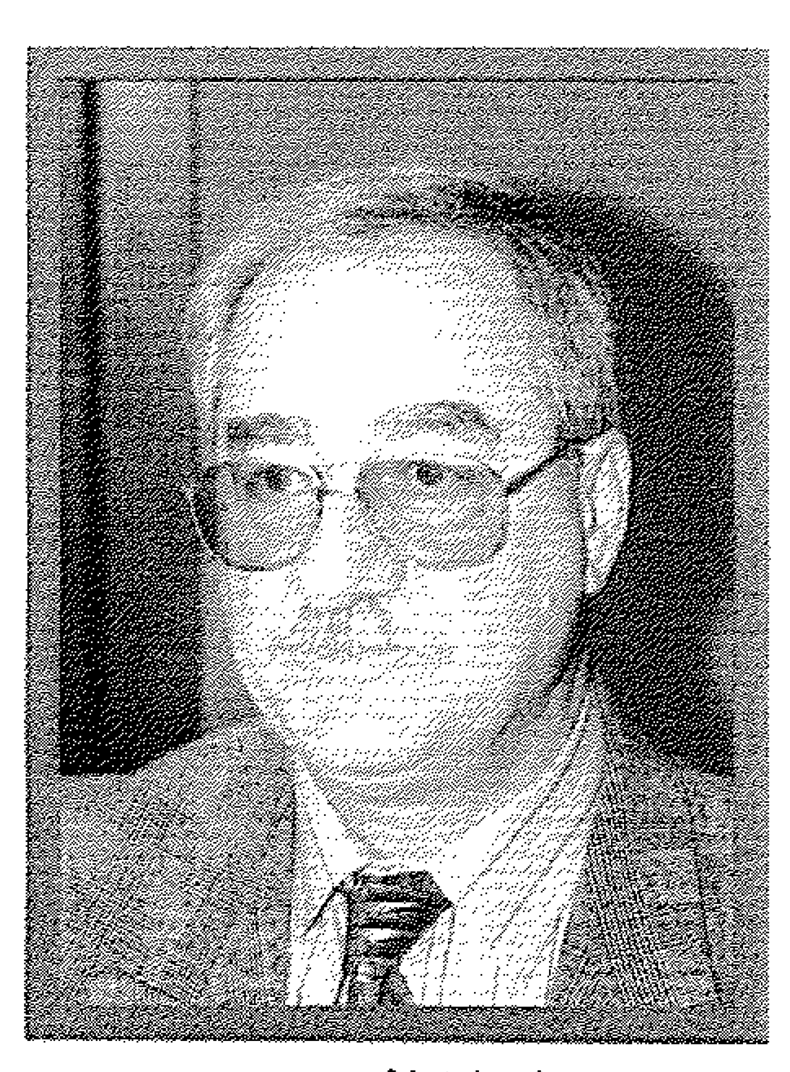
الجلسات المسائية

أما الجلسات المسائية فقدمت خلالها ست أوراق أربعة في الجلسة الثالثة واثنتان في الجلسة الرابعة (الأخيرة). فبدأ الجلسة الثالثة الدكتور عرفات أحمد فرج ببحثه: «دور وسائل التقنية في تدريس اللغة العربية» موقف تعليمي تطبيقي من خلال درس المُنادى، وألقى الدكتور رضوان الدبس ورقته في الجلسة عن. «دور وسائل التقنية وأثرها في تعليم اللغة العربية»، أعقبته الدكتورة نينيت إبراهيم خضّور لتقدم بحثها الموسوم. «تعريب المصطلح العلمي»، وختمت الجلسة بـ: «قضية الازدواجية اللغوية» للدكتور سمر روحي الفيصل.

وأنهت الندوة جلساتها بورقتين قدمهما الدكتور جميل علي عرابي حول. «المفاعلة والفُعال بين الاستعمال والإهمال في المُعجم الوسيط»، وبحث الأستاذ عمرو محمد مدكور عن. «المُعجم الكبير والوسيط والوجيز. قراءة في منهج اختيار المداخل».



فوّاز فتح الله الراميني



د. رضوان الدبسي
جمعية حماية اللغة العربية - الشارقة

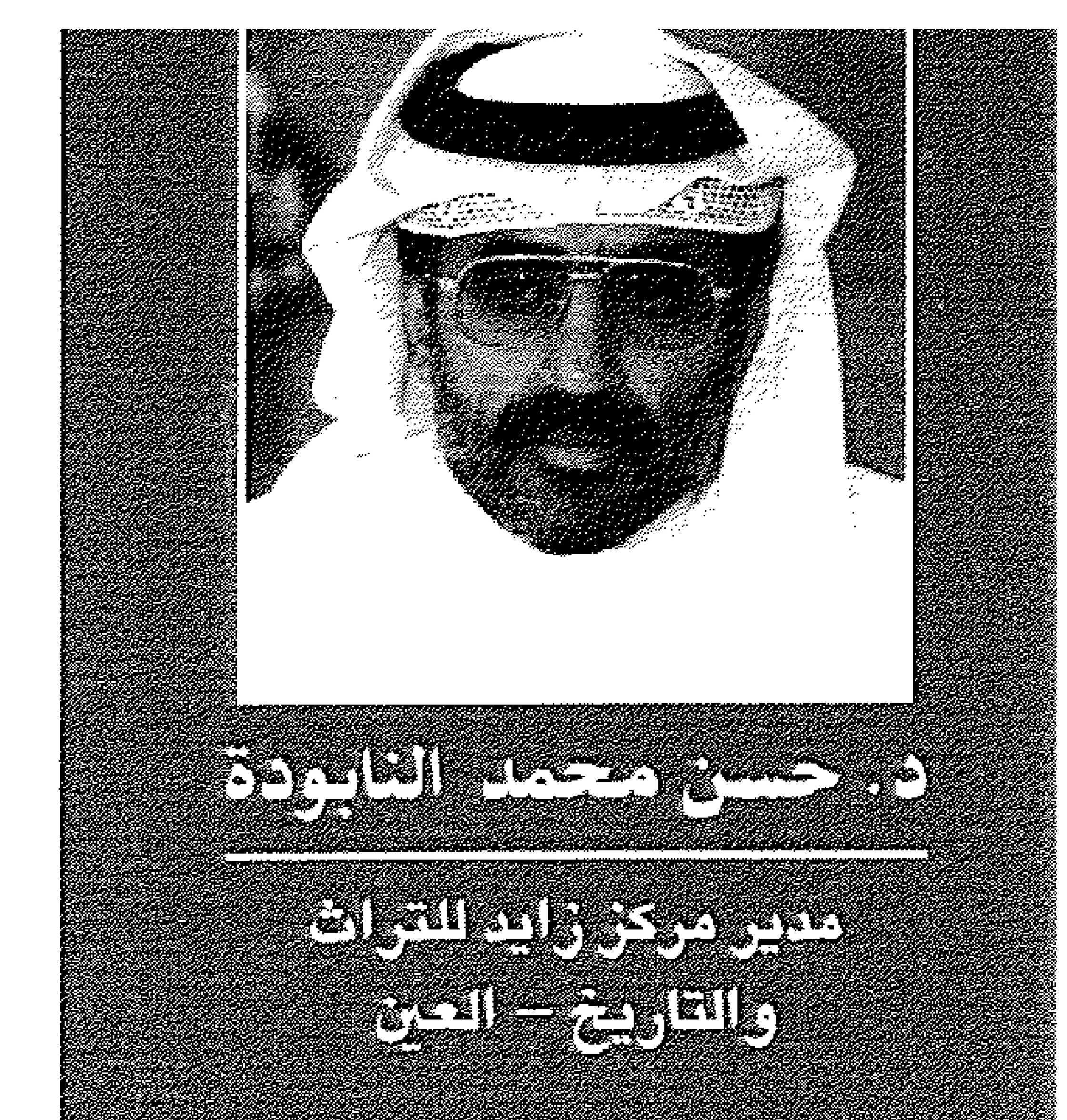


د. سمر روحي الفيصل
جامعة الإمارات

التوصيات

وأكدت توصيات الندوة الإحدى والثلاثون التي ألقاها فوّاز بن فتح الله الراميني على ضرورة:

١. أهمية تعزيز الارتباط بين القرآن الكريم واللغة الفصيحة.
٢. مسايرة العصر الحديث اعتماداً على وسائط تقنية حديثة، لجعل المتعلم يعيش ارتباطه بالأصول والمستحدثات المتطورة.
٣. تهيئة المناخ التربوي السليم للعملية التعليمية داخل الفصول الدراسية وخارجها بصورة فاعلة تمكّن المتعلمين من تنمية قدراتهم على التفكير الناقد والمبدع.
٤. توفير بيئة تعليمية صالحة لممارسة الأنشطة اللغوية: كالإذاعة والصحافة والمسابقات الشعرية والخطابة، والأمسيات الثقافية.
٥. العناية بإخراج الكتب الدراسية من حيث. الضبط الإعرابي والبنائي والأداء اللغوي السليم.
٦. ضرورة مشاركة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في نشر اللغة العربية الفصيحة بدلاً من اللهجات المختلفة.
٧. ضرورة توظيف ما هو مهمل من صيغ وأوزان في معاجم اللغة توظيفاً يلائم ضرورات الاستعمال التي تواجهها عملية تطور المصطلح اللغوي.
٨. غرس حب اللغة العربية في قلوب المتعلمين، وإطلاعهم على التحديات التي تواجه لغتهم، من أجل نهوض الواقع النفسي لمواجهة هذه التحديات.
٩. العمل على إيجاد وسائل وأساليب تجذب المتعلمين إلى مهارات اللغة الأساسية.
١٠. استخدام برامج الحاسب الآلي ونظم المعلومات والأقراص المدمجة الخاصة باللغة والنحو.. إلخ.
١١. استعمال الصور الناطقة والرسوم المعبّرة والهادفة لتسهيل قواعد النحو.
١٢. توظيف النصوص الشعرية والنثرية في تعليم القواعد لزيادة المقدرة والكفاءة اللغويتين.
١٣. جعل اللغة العربية لغة التعليم في مختلف المراحل الدراسية والمواد التعليمية.
١٤. التشجيع على تبادل الخبرات التربوية عن طريق الاطلاع على دراسات يعدها المشتركون في هذه المجالات.
١٥. الاهتمام بمكتبات مصادر المعلومات، وعدم الاكتفاء بالمصادر الورقية المقروءة.
١٦. اعتماد المختبرات اللغوية التي تؤازر الجانب العملي، وتساعد في بنائه بناء فاعلاً.
١٧. تطوير مناهج النحو تطويراً يربط مادته بالحياة العلمية والعملية.
١٨. ربط الوشائج بين أسرة المتعلّم في المنزل والبيئة التعليمية التي تحيط بالمتعلم بما يخدم الارتقاء بالحصيلة اللغوية لديه.
١٩. إيكال دور فاعل لوسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع بكل ما يرتقي بلغتنا العربية: لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وحضارتنا العريقة.
٢٠. جعل الكفاءة اللغوية بمهاراتها كافة من شروط التقدم لشغل الوظائف.
٢١. العمل على إعادة دور اللغة العربية إلى الوضع الطبيعي، في الاستخدام الإداري والتنظيمي في مجالات العمل، من حيث صدور القرارات والتعليمات والمراسلات والمخاطبات والمحادثات والمكاتبات.. إلخ.
٢٢. ضرورة أن يكون للمجمعين اللغويين، نشاط في الوسائل الإعلامية لتسير المصطلحات التي أجازوها على الألسنة.
٢٣. أهمية تعليم طلابنا أسس وضع المصطلح وتعريبه، وذلك من خلال طرح مساق (تعريب المصطلح) بكل التخصصات ولا سيما العلمية منها.
٢٤. ضرورة حرص المترجمين على استخدام المصطلحات المعربة بدل الدخيلة.
٢٥. ربط تعريب المصطلح باستراتيجيات تؤكد أن العربية مرنة وقادرة على تحديث نفسها، دون أن تتعارض والأصول التي وضعها اللغويون القدماء.
٢٦. ضرورة أن يقوم بوضع المصطلحات المتخصصة في المجالات كلها العلماءُ المتخصصون في هذه الميادين العلمية.
٢٧. توفير خطة عمل لإيجاد فرص لتعريب مصطلحات تناسب متطلبات الحياة في مجالات: المرور، المشافي، البريد، الاتصالات..
٢٨. استخدام مهارات التفكير الناقد في تطوير آليات التعامل مع اللغة عبر خطوات مدروسة، واستثمار كل أنواع التفكير، مع الحرص على إزالة العوائق كافة: إجرائياً، واعتماد أدوار متبادلة بين المعلم والمتعلم.
٢٩. درء الازدواج اللغوي بكل الوسائل والإمكانات المتاحة.
٣٠. إصدار مجلة تعنى باللغة العربية تتبناها إحدى الجهات المهتمة بمشكلات اللغة، ومجالات الإبداع الأدبي والفكري، على أن يتسّم خط المجلة بالبساطة والوضوح لتصل إلى شريحة كبرى من القراء.
٣١. يرى المشتركون في الندوة ضرورة توجيه توصيات نوعية إلى جهات يرتبط أداؤها العملي باللغة العربية الفصحى.■



د. حسن محمد النابودة
مدير مركز زايد للتراث والتاريخ - العين

بنو محارب

نزل الشاعر القطامي في بعض أسفاره بامرأة من محارب قيس، فسألها عن نسبها. فقالت: أنا من قوم يَشْتَوون القِدَّ من الجوع. قال: ومن هولاء ويحك؟ قالت مُحارب. ولم تقره. فبات بأسوأ ليلة وشرّ حال. فقال فيها قصيدة أولها

فَسلّمتُ والتسليمُ ليس يَسرُّهَا
ولكنّه حَقٌ على كل جانبِ
فردَّت سلاماً كارهاً ثم أعرضت
كما انحاشت الأفعى مخافةَ ضاربِ
فلما تنازَعْنا الحديثَ سألتُها
مَن الحيّ؟ قالت مَعشرٌ من محاربِ
من المشْتوينَ القِدَّ مما تراهُم
جياعاً وريفُ الناس ليس بناضب
فلما بدا حرمانها الضيفَ لم يُكن
عليّ مناخُ السوءِ ضربةَ لازبِ

ثم قال:

ألا إنما نيرانُ قيسٍ إذا شَتوا
لِطارقِ ليلٍ مثلُ نارِ الحُباحب

والحُباحب ذباب يطير في الليل كأنه نارٌ له شعاع كالسراج. فنار هؤلاء القوم لضعفها وخمودها أشبه ما تكون بنار هذا الذباب. ويقول الأصمعي قيس رجلٌ كان في الجاهلية، بلغ من بخله أنه كان إذا أوقد السراج فأراد إنسان أن يأخذ منه أطفأه فضرب به المثل. وهذا ما قاله الأصمعي. ولعل قيساً هذا كان يطفئ السراج خوفاً من الضيف.

ومحارب: قبيلة منسوبة إلى الضعف وقد ضَرَبت العَرَب بها المثل. قال الفرزدق لجرير:

وما استعهد الأقوامُ من زوج حرَّة
من الناس إلا منكَ أو من محارب

أي يأخذون العهد عليه أنه ليس من كليب ولا من محارب. وقال أبو نواس في قصيدته التي فخر فيها باليمانية وهجا قبائل معد:

وقيس عيلان لا أريد لها
من المخازي سوى مُحاربها

متى تعبدتم الناس ؟

بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قاعد، إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال له يا أمير المؤمنين، هذا مقام العائذ بك. فقال عمر: لقد عذتَ بمُجير، فما شأنك؟ فقال: سابقتُ بفرسي ابناً لعمرو بن العاص (وكان عمرو يومئذ أميراً على مصر) فجعل الابنُ يقنّعني بسوطه ويقول أنا ابنُ الأكرمين. فبلغ الخبرُ عمرو بن العاص فخشي أن آتيك، فحبسني في السجن، ولكني انفلتّ منه، وأتيتُك، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يقول له: إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم، أنت وولدك فلان. وقال للمصريّ أقم حتى يأتيكَ. فأقام المصريّ حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج. فلما انقضى الموسم، قعد عمر بن الخطاب مع الناس وقعد معه عمرو بن العاص وابنه وكان المصري بين الحاضرين، فرمى عمر إلى المصري بالدِّرة، أي السوط وقال له أن يضرب ابن عمرو بن العاص. فأخذ المصري الدرّة وضربه حتى اكتفى. ثم أقبل عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص وقال له: ومتى تعبّدتم الناسَ وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

أهم شاعر في الجاهلية والإسلام

يقول ابنُ سلاّم في طبقات الشعراء: «وقد اختلف الناس والرواة فيهم، فنظر قوم من أهل العلم بالشعر. فقالوا بآرائهم وقالت العشائر بأهوائها».

وقسَّم ابنُ سلام الشعراء إلى طبقات، فجعل في الطبقة الأولى من فحول الجاهلية أربعةَ شعراء وهم: امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة والأعشى.

وجعل في الطبقة الأولى من فحول الشعراء في العصر الأول الإسلامي أربعةَ شعراء وهم: جرير والفرزدق والأخطل والراعي.

ويقول ابن سلام: أخبرني يونس بن حبيب أنّ علماء البصرة كانوا يُقدِّمون امرأ القيس، وأهلَ الكوفة يقدمون الأعشى، وأهلَ الحجاز يقدّمون زهيراً.

وكان ابن أبي إسحاق يقول: أشعر أهل الجاهلية المرقش وأشعر أهل الإسلام كثيِّر.

ويقال: إنّ الفرزدق سُئِل عمَّن هو أشعرُ الناس فقال ذو القُروح، يعني امرأ القيس لقوله:

وَقَاهُم جَدُّهم ببني أبيهم
وبالأشْقَين ما كان العقابُ
وأفْلتهُنّ عِلباءٌ جَريضاً
ولو أدْرَكْته صَفِرَ الوطَابُ

وسُئل لَبيدٌ وهو في الكوفة. من أشعرُ الناس؟ فقال. المَلِكُ الضِلّيل. وأعادوا عليه السؤال: ثمّ من؟ فقال: طَرَفة فسألوه ثمّ من ؟ فقال. الشيخ أبو عقيل، يعني نفسَه.

والذين احتجّوا للنابغة قالوا إنه كان أحسنَ ديباجةً وأكثرَ رونقاً وأجزلَ بيتاً. ويُرْوى أنّ عُمرَ بن الخطاب قال أيُّ شعرائكم يقول:

فلستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمُّه
على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

قالوا. النابغة. فقال: هو أشعرُهم.

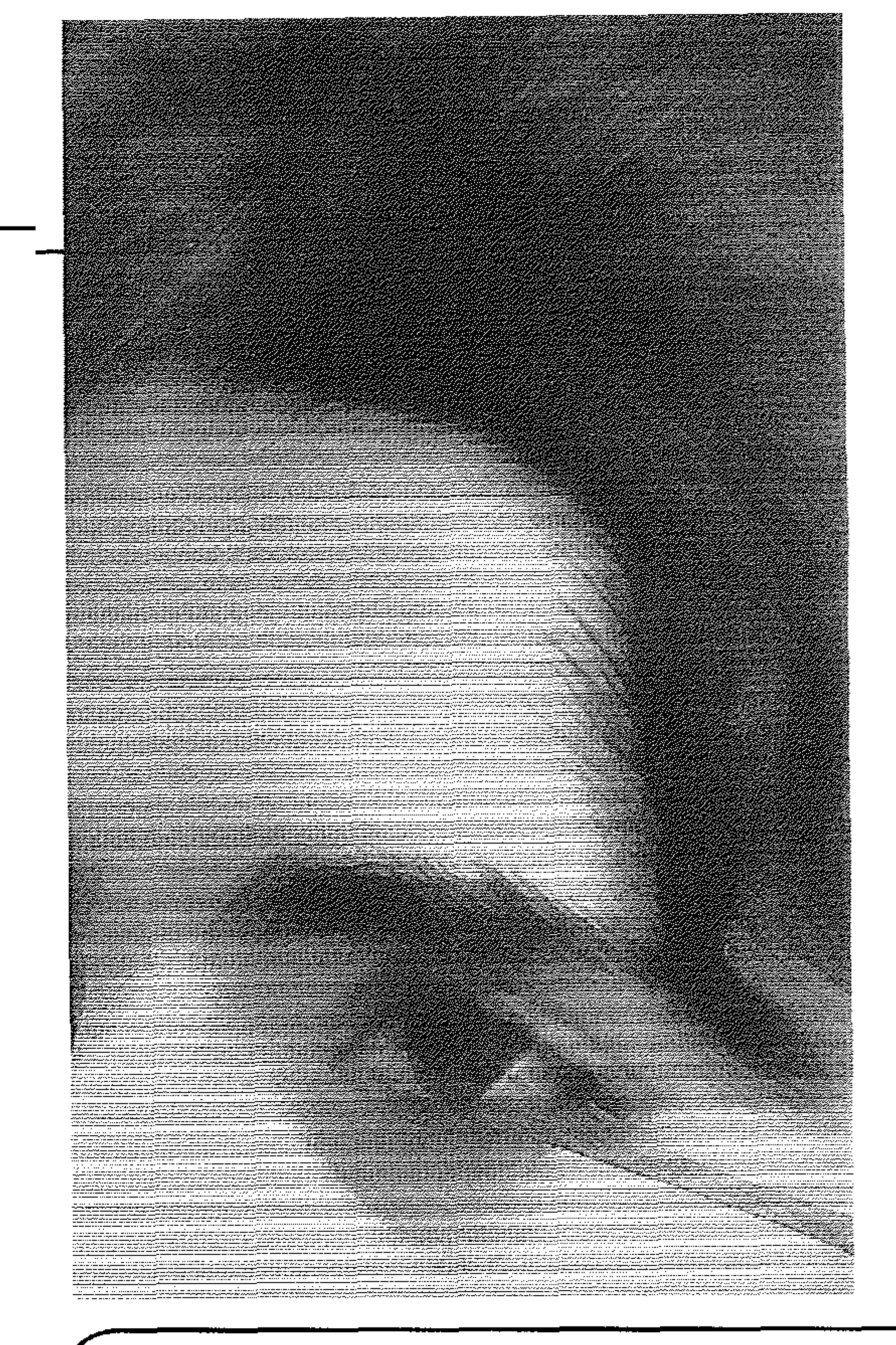
وقيل إنّ عمرَ بن الخطاب سأل أحدَهم. أنشِدني لأشعَرِ شعرائكم، فقال من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: زهير. قال الرجل وهو كذلك، لأنه كان لا يُعاظِل بين الكلام و لا يَتَتبّع حُوشيَّه و لا يمدحُ الرجلَ إلاّ بما فيه

وقال أهلُ النظر كان زهيرٌ أحصفهم شعراً، وأبعدهم من سُخْف، وأجمَعَهم لكثير من المعنى في قليل من اللفظ، وأشدَّهم مبالغةً في المدح. وكان بعضُ علماء المدينة يقدِّم زهيراً لقوله

قد جَعل المبتغون الخيرَ في هرمٍ
والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً
من يَلْقَ يوماً على عِلاته هرما
يَلْقَ السماحة منه والندى خُلُقاً

وقيل إن عِكرِمة بن جرير سأل أباه: من أشعرُ الناس في الإسلام؟ فقال: الفرزدقُ نَبْعةُ الشعر. قال فالأخطل؟ قال: يُجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر. فقال له ابنه فما تركت لنفسك؟ فقال جرير: دعني، فإني نحرتُ الشعر نحراً.

وسئل خلف الأحمر: من أشعر الناس؟ فقال. ما ينتهي هذا إلى واحدٍ يجتمعُ عليه، كما لا يُجتمَعُ على أشجعِ الناس وأخطبِ الناس وأجمل الناس. ثم سُئِل: فأيُّهم أعجبُ إليك يا أبا مُحرِز؟ قال: الأعشى. كان أجمعَهم. ■



التراث العلمي عند العرب (٦)

الإثمـد في علم المعادن

■ د. رضا عبد الحكيم إسماعيل رضوان

يقال إن صناعة أقلام الحواجب قد عُرفت منذ خمسة آلاف سنة، وقد تكحلت قديماً نساء مصر وبابل بالكحل.. هذا الكحل يسمى في علوم معاصرينا كبريتيد الأنتمون، أحد خامات الأنتيمون Antimony المسمى (ستبنيت). وينتمي الأنتيمون - من حيث خواصه - إلى الفلزات[١].

والكحل في معاجمنا يسمى الإثمد، قال الفيومي[٢]: «الإثمد بكسر الهمزة والميم الكحل الأسود»، ويقال إنه معرب، قال ابن البيطار في المنهاج: «هو الكحل الأصفهاني» ويؤيده قول بعضهم ومعادنه بالشرق. ذكر الإمام عبد القادر الرازي[٣]: «و(الإِثْمِد) حجر يكتحل به» إن الإثمد[٤]: عنصر معدني بلوري الشكل، قصديري اللون، صلب هش، يوجد في حالة نقية، وغالباً متحداً مع غيره من العناصر، يكتحل به.

عند البحث في المعنى اللغوي للكحل، قال الفيومي[٥]: وكحلت العين كحلاً من باب تعب وهو سواد يعلو جفونها خلقة ورجل أكحل وامرأة كحلاء. والمُكحلة آلة.. وكذلك المِكحل والمكحال، أي - كما يقول الرازي[٦] المُلَمُول الذي يكتحل به، والمكحلة التي فيها الكحل. وفي المعجم الوجيز[٧]، (الكُحْلُ) كل ما وضع في العين يستشفى به مما ليس بسائل، كالإثمد ونحوه.

الأنتيمون، كتابة عربية للاصطلاح الأجنبي، بالإنجليزية يكتب: Antinony وترجمته: إثْمِد[٨]. وبالفرنسية يكتب: Antimonine، Antimonarchiqie، وترجمته: إثمد، كحل[٩].

معلوم أن امتداد الفتوحات الإسلامية في مشرق الأرض ومغربها، أدخل الأسلمة على شعوب البلاد، كما فتح الطريق أمام علماء المسلمين كيما ينهلون العلوم قاطبة فيطوروها ويؤسلموها، ومن بعد أجروا تعليمها لأبناء المعمورة من أقصاها إلى أدناها، هكذا كانت الثورة العلمية في العصور الوسطى، قد أشعلتها علوم العرب المسلمين، وما زالت آثارها باقية لليوم. ومن المؤكد أن علوم المعادن قد صادفها الازدهار شأن باقي العلوم الإسلامية المتخصصة، كما في الكيمياء والطب والهندسة والطفيليات والشفرة والوراثة والبيئة وغير ذلك[١٠].

بحث علماء المسلمين الأوائل، المواد المعدنية، منها محور دراسة هذا المقال، وهو عنصر الأنتيمون[١١]، وقد عرف عندهم بالإثمد، وهو معدن الكحل الأسود، ويكون مصاحباً أحياناً لخامات الرصاص، وعنصر الأنتيمون قريب كيميائياً من عنصر الرصاص. فيما انتهت إليه دراسات بحاث العرب المسلمين، هو تصنيف الكحل إلى أربعة أنواع: ثلاثة منها بأصفهان وواحد بالأندلس (إسبانيا)، ويوجد نوع ثالث ببلاد المغرب (الجزائر) ويضاف إلى بحوثهم شرح كيفية تكوين حجر الكحل في معادنه (في أماكنه) من الينابيع الحارة، مع وضع

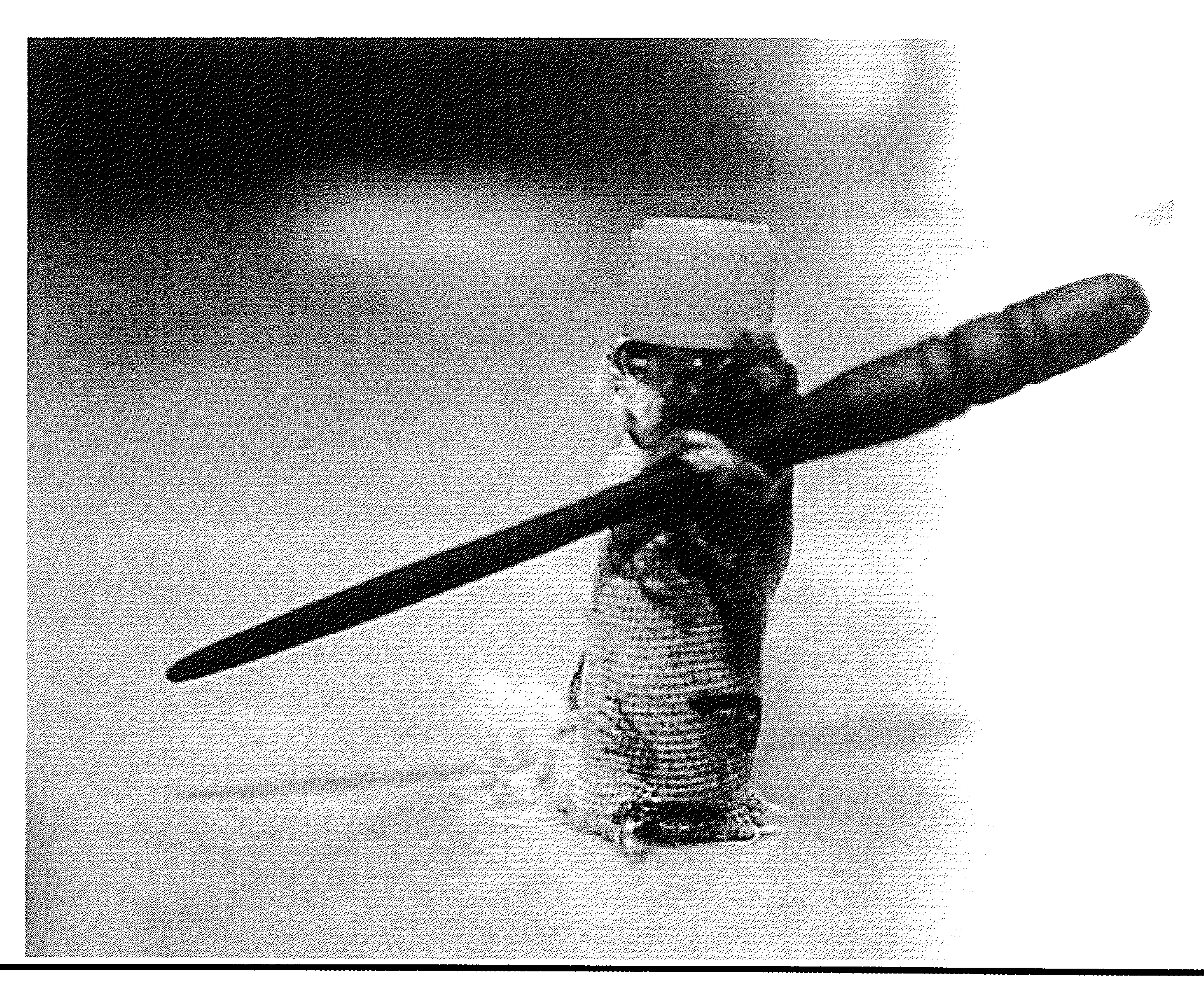
نظرية تماثل النظريات العلمية الحديثة عن أصل هذا المعدن، وشرح الخواص العلاجية للكحل. يذكر أن البحاث المسلمين عرفوا فلزا أنتيمون في حالته العنصرية الحرة، وأطلقوا عليه اسماً يونانياً معرباً هو سطيني[١٢]، وما زال مستعملاً حتى اليوم (ستبيوم).

من أبرز الباحثين المسلمين في التخصص السابق، الدمشقي وداود الأنطاكي[١٣]

تناول الدمشقي الأحجار التابعة للأحجار الثمينة وكيفية توليدها وذكر خواصها[١٤]. وفي الإثمد قرر أنه من حجارة الرصاص، ترابي غلبت عليه الكبريتية[١٥]، وأنواعه أربعة منها ثلاثة بأصفهان وواحد بالأندلس بالقرب من مدينة وادباش – جبل صغير ينبع منه ماء رصاص لا يشربه أحد[١٦] – فإذا كان أسبوع في السنة ينبع ماء كالرصاص المذاب وكالزئبق الأسود وساخ (غاص) في مجاريه، فإذا ساح (سال وجرى) تجمد كحلاً أسود ثم يتراكم بعضاً على بعض، فإذا انقضت مدته ونفدت خزينته عاد إلى جريانه كما كان أولاً، وجاء الناس يرفعون ذلك الكحل الجامد، ومن خواص الكحل الأصفهاني تقوية العين والروح الباص وجلاؤها.. فالإثمد ينفع العيون اكتحالاً ويرفع عنها الماء ويقوي أعصابها ويدفع عنها كثيراً من الآفات والأوجاع لا سيما المشايخ والعجائز الذين ضعفت أبصارهم وينفع من حرق النار إذا طلي بالشحم.

والإثمد عند الأنطاكي، هو من كبريت ضعيف وزئبق، عقدتهما الرطوبة القريبة بالحرارة الضعيفة، فلذلك أسود. وأجوده الرزين (الثقيل) والبراق[١٧]، وهو قابض مكثف يشد الأعصاب ويقطع الدم مطلقاً حيث كان، خصوصاً بالشحوم، وتغسله أهل مصر بماء طوبة[١٨] فيصير في حدة البصر وحفظ صحة العين خصوصاً بالمسك. ومع الحضض[١٩]، والمساق[٢٠] يقطع الرطوبات ويثمد الأجفان وينبت اللحم الناقص ويزيل الزائد. ومع الاسفيداج[٢١]، لحرق النار. ويسبك مع الفضة فيفعل بها كالقصدير، ويسبك بالصابون أياماً فيعود رصاص (أنتيمون) يقيم الأجساد، وهو سم قتال يكرب ويغني. وقد يقوم مقام الآبار (الرصاص) وزنه أو توتيا[٢٢] أو لؤلؤ غير مثقوب كذلك أو نصف وزنه نحاس محرق[٢٣].

في ذكره «ويسبك مع الفضة فيفعل بها كالقصدير»، إشارة إلى سبك الفلزين، أي الأنتيمون والفضة معاً بالحرارة لتكوين سبيكة جديدة بخواص قوية. وقد



يعرف من علم الكيمياء الحديثة أن الأنتيمون هو فلز السبائك يستخدم الفلز بكثرة في السبائك المختلفة ...(١٠٢/٢)، وهو يزيد بشدة الصلابة والقوة الميكانيكية لعنصر الرصاص، ويدخل الفرز أيضاً في صناعة سبائك ضد الاحتكاك.. وحين ذكر الأنطاكي «ويسبك بالصابون أياماً فيعود رصاص» (أنتيمون)، فكأنه يشير إلى عملية الحصول على عنصر الأنتيمون من خاماته الكبريتية.

هكذا.. فيما كشفت عنه الدراسة، بحث علماء المسلمين خصائص الأنتيمون وأحد مركباته وهو الكحل الأسود مخلفين تراثاً ومعرفية هامة حول هذا العنصر الفلزي المهم في عمل السبائك متمثلة في أحد الاسمين اللذين يطلقان عليه الآن وهو أنتيمون، وأصله العربي إثمد.■

هوامش

١) «الفلز» عنصر كيماوي يتميز بالبريق المعدني والقابلية لتوصيل الحرارة والكهرباء. المعجم الوجيز ٤٨٠

٢) كتاب المصباح المنير الجزء الأول والثاني ص١١٦

٣) مختار الصحاح- ط٩- القاهرة، ص٨٦.

٤) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية، ١٩٩٧، ص٨٨.

٥) المصباح المنير الجزء الثاني، ص٧٢٢.

٦) مختار الصحاح ص٥٦٤.

٧) مجمع اللغة العربية ص٥٢٩

٨) المورد لمنير البعلبكي ص٢٤- ١٩٩٠، دار العلم للملايين، ص٥٢.

٩) المنهل لجبور عبد النور وآحر، ط٩- ١٩٨٦، دار العلم للملايين، ص٥٤

١٠) إثباتاً لذلك، انظر المراجع التالية

- د. أحمد فؤاد باشا (علوم منسية في تراث المسلمين) مجلة المسلم المعاصر، ع٨١- س٢١- اكتوبر ١٩٩٦.
- د. أحمد فؤاد باشا (علوم منسية في تراث المسلمين) مجلة المسلم المعاصر، ع٨٦- س٢٢- يناير ١٩٩٨
- (تراث الإسلام) الجزءان الشهيران اللذان نشرتهما عالم المعرفة. جوزيف شاخت. كليفورد بوزورث - العددان ٢٣٣ و٢٣٤.
- إبداعات النار - تاريخ الكيمياء، تأليف كاتي كوب، ترجمة د. فتح الله الشيخ، عالم المعرفة، ع٢٦٦

١١) د. علي علي السكري (الأنتيمون.. فلز السبائك وكحل العين) مجلة عالم الكيمياء، ع١٩- أكتوبر ٢٠٠١، ص٥٢- ٥٤.

يقول الكاتب كلمة أنتيموني Antimony اشتقت من الكلمة اللاتينية (أنتيمون) وهذه اشتقت من أصل عربي (ويشير إلى معجم الكلية القياسي، ١٩٦٣).. ونرجح - هذا رأيه - أن يكون الأصل العربي لهذا المصطلح هو كلمة إثمد التي كانت تطلق على خام الأنتيمون وهو كبريتيد الأنتيمون، الذي استخدم كحلاً للعين، ويدل على ذلك أنه إذا خففت كلمة إثمد وأضيف حرف نون بعد الألف وقبل التاء حصلنا في النهاية على كلمة أنتمد، وتشمل معظم حروف الكلمة أنتيمون، وحرفت أنتمد فيما بعد إلى زنتيمونيوم، وهو تحريف مقبول بين اللغة العربية واللاتينية.. إذن - فيما انتهى إليه رأيه - فكلمة أنتيمون تحمل أصلاً عربياً، وبالتالي فإن معرفة العرب بهذا العنصر ومركباته قديمة، وهذا في حد ذاته يدل على أن العرب من أوائل من اكتشفوا هذا العنصر واستعملوا مركباته.

١٢) اسم معدن الكحل باليونانية. ومن المعروف اليوم أن العنصر الفلزي لهذا المعدن له اسمان أنتيمون وستبيوم، واشتق الرمز الكيميائي للعنصر من الاسم الأخير ستب sb، وكلمة ستبيوم تعني علامة إشارة إلى أن المعدن يترك علامة ذات لون رمادي داكن على الورق. وبالتالي - كما يقول د. السكري - فإن الاسم المعرب عن اليونانية (سطيني) يشير إلى هذه الخاصية لحجر الكحل، وقد يشير أيضاً إلى أن علماء العرب عرفوا الفلز في حالته العنصرية الحرة، ومن المعروف أن فلز الأنتيمون يمكن أن يتواجد في الطبيعة في الحالة العنصرية الحرة.

١٣) انظر د. علي علي السكري، في مرجعه السابق، واستعانته في تحقيق هذه الدراسة بكتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) للدمشقي - وكتاب (تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب) للطبيب داود الأنطاكي

١٤) من المعروف كيميائياً - كما يقول د. السكري - ان عنصر الأنتيمون الذي يدخل في تركيب حجر الكحل قريب من عنصري الزرنيخ والقصدير، وما دام قريباً من القصدير فهو قريب أيضاً من عنصر الرصاص حيث يتواجد العنصران، يعني القصدير والرصاص، مع بعضهما طبيعياً في أحوال كثيرة، علاوة على أنهما يقعان متعاقبين بنفس العمود بالجدول الدوري للعناصر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فمن المعروف أنه كان هناك خلط قديماً بين فلزي الأنتيمون والرصاص. من هنا حينما يذكر الدمشقي أن إثمد من حجارة الرصاص، فإما أنه يشير إلى أن معدن إثمد يكون مصاحباً أحياناً لخامات الرصاص أو أنه وقع في خلط بين معدني الأنتيمون والرصاص.

١٥) معروف أن حجر الكحل هو معدن (ستبنيت) وهو ثالث كبريتيد الأنتيمون، ويتكون جزء منه من ذرتي أنتيمون وثلاث ذرات كبريت، وبناء عليه - كما يقرر د. السكري - فإن غلبة الكبريتية على حجر الكحل، على حد قول الدمشقي، ترجع لأن هذا الحجر في الأصل هو كبريتيد الأنتيمون الثلاثي

١٦) أي أن البلاد التي كانت تتجه آنذاك هي إيران وإسبانيا.

١٧) السريع التفتت اللذاع بين مرارة وحلاوة وقبض.

١٨) كانون الثاني / يناير.

١٩) نوع من الدواء.

٢٠) شجر ينبت في المرتفعات والجبال.

٢١) كربونات الرصاص القاعدية.

٢٢) خارصين أو أكسيده.

٢٣) أكسيد النحاس الأسود.

دينـــار الموحـــدين

■ عبد الله جاسم المطيري *

يعد (محمد المهدي بن تومرت) هو مؤسس دولة الموحدين في مراكش بعد سقوط دولة المرابطين سنة (٥٢٤هـ – ٦٦٨هـ/ ١١٣٩م – ١٢٦٨م) وقد ساعده على نشر دعوته (عبد المؤمن بن علي) الذي كان على جانب كبير من القدرة الإدارية والعسكرية، حيث تمكن في فترة وجيزة من جمع عدد كبير من المناصرين لدعوته، وقد أخفى عبد المؤمن هذا خبر وفاة (ابن تومرت) حتى ٥٢٧ هـ حيث بويع ـ أي (عبد المؤمن بن علي) أميراً للموحدين. في عام ٥٤١هـ اتجه الموحدون إلى الاستيلاء على بلاد (المغرب والأندلس وأجزاء من إفريقيا).

اتخذ عبد المؤمن لنفسه لقب (أمير المؤمنين) بدلاً من (أمير المسلمين) الذي كان اتخذه حكام المرابطين حتى حكم الأمير (أبي يعقوب يوسف) الذي استشهد أثناء قتاله للبرتغاليين سنة ٥٨٠هـ. وقد خلفه ابنه الأمير (أبو يوسف يعقوب) الذي كان قائداً عسكرياً. وقع الحكام الموحدون اسم مؤسس الدولة وخليفته على نقودهم بالإضافة إلى اسم الحاكم وقد اتخذوا شعارات مختلفة مع اختلاف الزمان والمكان.

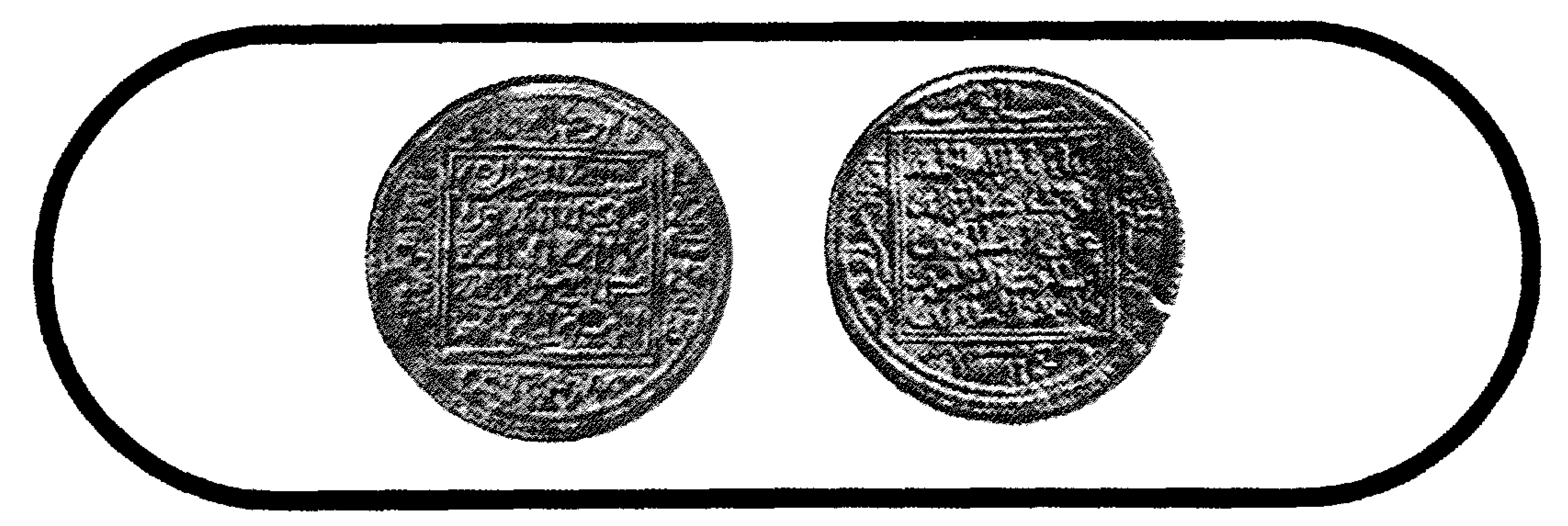
وتعد دولة الموحدين أول دولة تضرب دراهم مربعة الشكل. وعليها العبارات «الله ربنا – محمد رسولنا»، كما ضرب حكام الموحدين دنانير الذهب وأجزاءها مثل نصف دينار وربع دينار. وخلت دنانير الموحدين من تاريخ سكتها وقد تغفل مدينة السك أحياناً.

تعاقب على حكم الدولة ثلاثة عشر حاكماً كان آخرهم (أبا العلاء إدريس الواثق بالله أبا دبوس).

استولى (بو مرين) على مراكش سنة ٦٦٨هـ، وبذلك كانت نهاية دولة الموحدين. ■

* عضو الجمعية الملكية البريطانية للمسكوكات

نموذج دينار الأمير أبي يوسف يعقوب



مأثورات الدينار – الوجه الأول: الهامش: أمير المؤمنين – أبو يوسف يعقوب – بن أمير المؤمنين.

الوسط داخل المربع: القائم بأمر الله الخليفة أبو محمد عبد المؤمن بن علي أمير المؤمنين – أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف أمير المؤمنين.

الوجه الثاني الهامش: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ – ﴿وما بكم من نعمةٍ فمن الله﴾ – ﴿وما توفيقي إلا بالله﴾.

الوسط: داخل المربع: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ – الحمد لله وحده لا إله إلا الله – محمد رسول الله.

المستشرق الفرنسي فلوريال سناكوستان:

الحضارة العربية ثرية ومتنوعة لأنها اعتمدت على العقل والفكر

■ عمار السنجري

ليس بجديد اهتمام العلماء والباحثين الفرنسيين بالعالم الإسلامي والعربي خاصة وقد بدأ منذ العصر الوسيط، وتطور في القرن التاسع عشر، وعرف ما سمي يومها بالاستشراق، ازدهاراً ملحوظاً، وتنوعت البحوث، وعُرِفت التخصصات، فلم تعد مظهراً من مظاهر الدراسات الإنسانية وحسب، بل اتخذت شكل علم حقيقي قائم بذاته.

ويمثل الاستشراق الفرنسي لوحة كبيرة رُسِمَت ملامحها في القرن السادس عشر بعد فترة افتقاد للاهتمامات الفكرية في فترة أواخر القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر.

كما أن الاهتمامات العلمية كانت أقل منها بكثير، لأن (الفرنجة) أو الصليبيين كانوا في الحقيقة يجهلون كل شيء عن العالم الإسلامي. وإذا ما صادف أن ترك لنا بعض أصحاب المذكرات سرد أحداث بعض الحملات الصليبية فهم لم يروا في المسلمين إلا أعداء لهم، وربما أظهروا، في حالات نادرة الإعجاب بهم، والتقدير لفروسيتهم. أما عن دياناتهم فلم يكونوا يعرفون أي شيء، وكذلك عن مجتمعهم، وحياتهم الاعتيادية اليومية.

إلا أن الصليبيين العائدين إلى فرنسا، حملوا معهم من بلاد المشرق، صوراً ورؤى، كثيراً ما كانت مشوِّقة، أيقظت في بعض النفوس المغامرة شوقاً وحباً للتجوال في تلك الأمصار، حتى انتشرت فكرة الذهاب لهداية أولئك (الوثنيين/ المسلمين) الساكنين في بلاد المشرق، كما كانوا يظنونهم خطأ. فبدأت أوائل المغامرين بالوصول إلى المشرق من الرهبان الفرنسيسكان والدومنيكان يقصدون بلاد المسلمين، ونراهم ينتبهون فيما بعد، إلى أنه للوصول إلى أولئك الناس لا بد لهم من التحدث إليهم بلغتهم، فكانت تلك هي شرارة الاهتمام الأولى إن صح القول بالعربية.

وفي أوائل العصر الوسيط حاول بعض السياح زيادة التعرف على البلدان التي يزورونها، مندفعين بحب فضولي أكثر مما يدفعهم العلم، فأفادوا بمعلومات سياسية وعسكرية تصلح لإعداد حملات جديدة، ورغم ذلك فقد تطور لدى البعض على الأقل شعور جيد مفاده أنه يجب النظر إلى هذه الشعوب الإسلامية بأعين مختلفة، فهي ليست شعوباً معادية، وقد يكون من المفيد محاولة تفهمها.

من الذين يحملون هذا (الشعور) وهذا الاهتمام باللغة العربية والأدب العربي، المستشرق الفرنسي أ.د. فلوريال سناكوستان، الحاصل على درجة الداكتوراه في الأدب العربي من جامعة السوربون بفرنسا سنة ١٩٩٩، والأستاذ بجامعة ليون، والعضو في العديد من الجمعيات ومراكز الأبحاث. كما له العديد من المشاركات في المؤتمرات والندوات العلمية في فرنسا أو خارجها، كما قدم العديد من البحوث والدراسات والأوراق العلمية في المؤتمرات والندوات والملتقيات التي شارك فيها. زار مؤخراً مركز زايد للتراث والتاريخ بالعين، التقته «تراث» وكان هذا الحوار:

*** لنبدأ من واقع الاستشراق الفرنسي اليوم، فكيف تراه؟**

■ في الحقيقة هناك نقص كبير اليوم في عدد ونوعية المختصين بمسألة الاستشراق في فرنسا. الجيل القديم كان يهتم بكل تلوينات المعرفة من التاريخ إلى الفيلولوجيا، والسوسيولوجيا ومقارنة الأديان والفلسفة ..إلخ. الجيل الجديد مثلاً لا يهتم بالفلسفة، إذن هناك نقص في جزء من أجزاء المعرفة، وكان لنا فيها أساتذة كبار من الجيل القديم، وبالطبع هؤلاء تقاعدوا. أما فيما يخص الديانات والإسلام على وجه الخصوص، أو لنقل الديانات المقارنة بشكل عام، طبعاً، هناك بعض المؤلفات في هذا المجال، على ما أعتقد هي

ليست بالمستوى العلمي الذي يؤهلها لأن تُقارَن بدراسات الجيل القديم.

المشكلة عندنا حالياً، أن الخبراء والأساتذة والجامعيين المختصين في هذه القضايا، لم نستمع إلى آرائهم، بل على العكس من ذلك، نرى الصحفيين يتكلمون عن الإسلام، والسياسيين يتكلمون عن الإسلام، وكل مَنْ ليس مختصاً يتحدث كما يريد وأحياناً، بل لنقل بصراحة (غالباً) عن جهل. إن هذه الأطروحات والآراء والمنشورات ليست علمية، ولا موضوعية، وتشوبها مواقف أيديولوجية منحازة ضد الإسلام.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى في الأوساط الجامعية، رؤية الخبراء والمختصين، هي رؤية جادة، منصفة ودقيقة وموثقة، ومن ناحية أخرى هي نظرة متسامحة.

وأنا كمتخصص في هذا المجال، ومهتم، أعتقد مثلاً أن مسألة (التوثيق) هذه مسألة تثير الغرابة، فدور النشر لدينا كما تعرف في فرنسا كثيرة، وهي تنشر الكثير عن الإسلام. وبالطبع أيضاً هناك التلفزيون وما يعرضه، فالمواطن الفرنسي العادي وما يشاهده على شاشات التلفزيون، ما يُعرض من حوادث تحدث في العالم الإسلام سواء في الجزائر مثلاً أو جنوب الفلبين أو غيرها من أماكن الاحتقان في العالم الإسلامي، فلو أن الصحافة والتلفزيون الفرنسي يبادران إلى دعوة الخبراء والمتخصصين في شؤون هذا العالم الإسلامي ليدلوا بدلوهم فيما يحدث، لكان هذا بالطبع أفضل، لتوضيح ملابسات أو خلفيات ما يراه المشاهد وما يقرأه كل يوم في الصحافة الفرنسية. أعود وأُنبّه إلى مسألة التوثيق التي ذكرتها قبل قليل فالتوثيق على الأقل سوف يحد من تصاعد مدة إلقاء الكلام جزافاً أو على عواهنه كما يقال باللغة العربية. هناك الكثير من الكتب تكتب عن العالم العربي وعن الإسلام، تكتب بدون الرجوع إلى المصادر الموثوقة. وأنا دائماً أؤكد لطلبتي إلى أهمية الرجوع إلى الأصل، إلى المصادر الأصلية، فالنقل عن فلان، وقال فلان عن فلان، هذا الأسلوب اليوم لا يخدم القضية، وليس له أي جدوى على الإطلاق، وهذا بصراحة هو رأيي وموقفي.

البداية

*** ما الذي ساهم في تكوينك الفكري والأكاديمي؟**

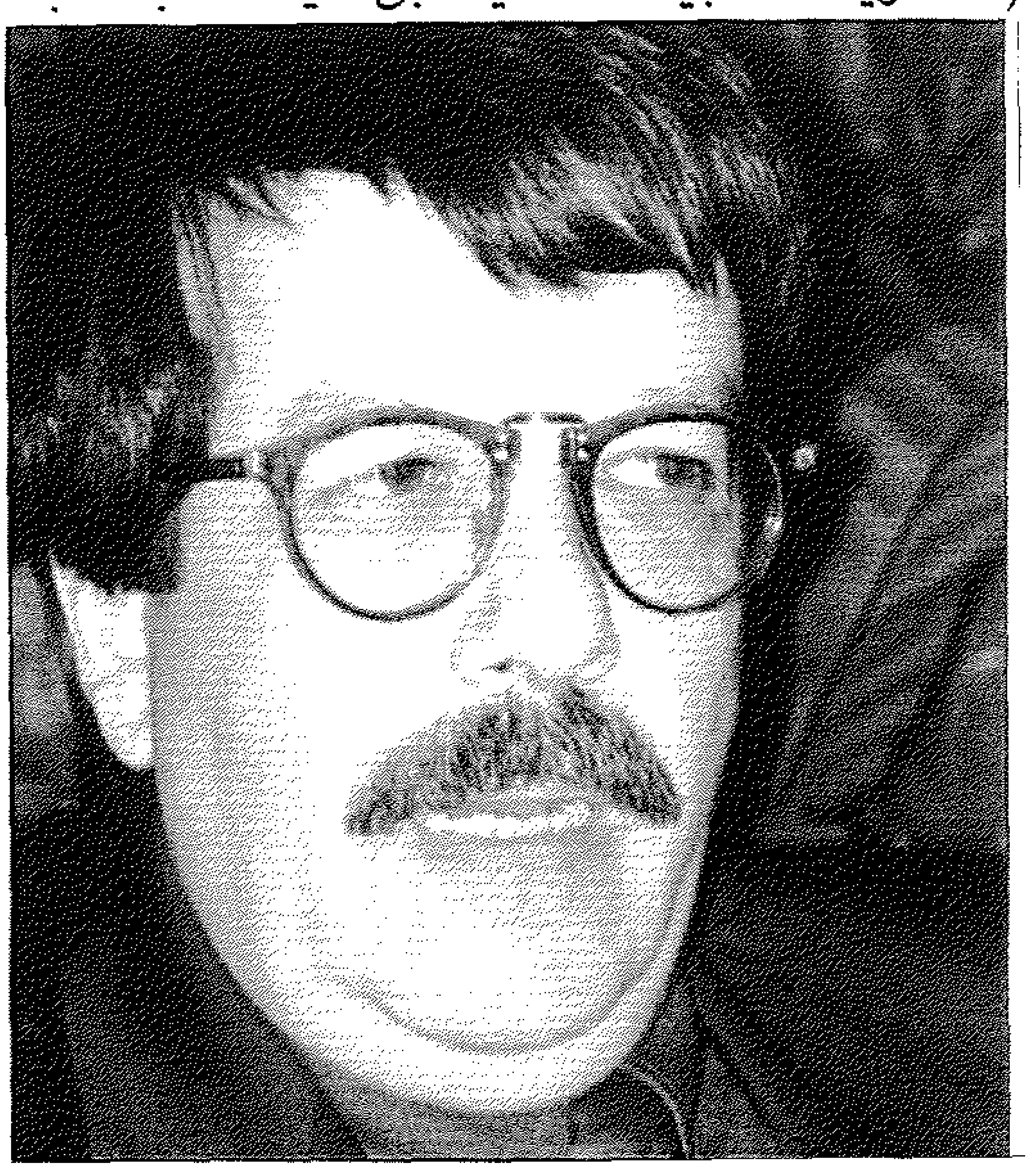
■ هناك عدة أشياء ساهمت في هذا التكوين، فقد درست في البداية في معهد اللغات الشرقية في باريس، وحصلت على منحة دراسية لمدة سنة حيث أقمت في بيروت قبل الأحداث في السبعينات، كانت منحة من الحكومة الفرنسية التي كانت ولا زالت إلى اليوم تعطيها للطلبة الراغبين في تعلم اللغة العربية، أي بالتحديد لطلبة فرنسيين يقيمون فترة دراستهم للاختلاط بالعرب في البلاد العربية. كان من نصيبي أن أتجه إلى بيروت، وأنت تعرف الجو الثقافي في بيروت. ودرست في الجامعة اليسوعية، وإلى اليوم لا زالت لهجتي في حديثي بالعربية هي اللهجة اللبنانية. كانت تلك الفترة تمثل المرحلة الأولى، ثم تابعت دراساتي في اللغة العربية، وأقمت بعد ذلك في سوريا، وحصلت على دكتوراه دولة، حيث كان عدد المنح للطلبة الذين يرغبون في دراسة اللغة العربية وقتها من الفرنسيين لا يتجاوز الرقم ثلاثة، أما اليوم فقد ارتفع عدد المنح إلى ٢٤ منحة.

وكما ذكرت، أقمت في سوريا فترة ثلاث سنوات أتابع دراساتي في معهد التراث العلمي العربي في حلب. وقد اشتغلت خلال تلك الفترة التي قضيتها في المعهد حول ابن سينا وتراثه العلمي.

ثراء الحضارة العربية

*** كيف وجدت الحضارة العربية الإسلامية من خلال تعاملك معها؟**

■ بالطبع وجدتها ثرية، ومتنوعة، وخصبة، وأنا أتكلم هنا من منطلق تجربة ودراسة واطلاع. فإلى جانب أطروحتي لنيل الدكتوراه، والتي كانت بعنوان (النظريات الطبية الفلسفية لابن سينا حسب كتاب



المستشرق الفرنسي فلوريال سناكوستان

القانون في الطب)، ولا بن سينا كما نعرف كتابان معروفان أحدهما في الميتافيزيك أو الفلسفة وهو كتاب (الشفاء)، وكتاب آخر في الطب وهو (القانون في الطب). وقد أشرت في أطروحتي إلى أهمية تفكير ابن سينا في المجال الطبي، فحاولت أن أتناول ما وصل إليه من نتائج وتفكير عام شامل، لأنه في ذلك الوقت لم يكن العالم متخصصاً في مجال واحد، كان فيلسوفاً وطبيباً وفلكياً بنفس الوقت. إذن، فلماذا كان هذا هو التوجه، أعتقد أن الإنسان كان يومئذ يبحث عن المعرفة الكلية بعكس ما نحن عليه اليوم، فعصرنا الحالي يميل اليوم أكثر إلى التخصص. فإذا كان ابن سينا يستند إلى مناهج خاصة للوصول إلى الحقيقة. لأنه برأيي، كان هناك في العلوم العربية القديمة نوعان من العلوم، هي العلوم النقلية التي أساسها نزول القرآن الكريم، وأساسها الحقيقة الإلهية الأولى، وإلى جانب ذلك علوم تستند أساساً على ممارسة العقل لمهامه أو دوره، وهي ما اصطلح على تسميتها قديماً بالعلوم الدخيلة، أو الأجنبية لأن أساسها كانت التراجم التي نُقلت من اليونانية إلى العربية أيام المنصور في الفترة العباسية، أو من اللغة السنسكريتية الهندية، أو من اللغة الفارسية، أو من التراث الشرقي القديم، البابلي والآشوري والتراث السامي بشكل عام. طبعاً، ابن سينا كغيره من العلماء يستحيل عليه أن يصل إلى الحقيقة بغير هذه الممارسة العقلية، استناداً إلى أن العقل مذكور بالقرآن، على ما أظن أن كلمة (عقل) بلفظها لم ترد، لكن وردت كلمات مشتقة منها مثل (عَقلَ، يعقلون) أكثر من أربعين مرة. وقد منح الله الإنسان العقل كي يُعمله ويستخدمه في التفكير كما جاء في القرآن. واستناداً إلى ذلك فقد اشتغل ابن سينا في نظريته، وهي نظرية هامة جداً، وهي كيف يمكن أن يُبَرهن على موقف ويهمل موقفاً آخر في سبيل الوصول إلى الحقيقة. فدرستُ بشكل مفصل هذه الأمور والمعطيات، حسب طريقة معرفية، بستمولوجية، كيف تتكون المعرفة في فترة معينة، وما هي الأسباب. العالم العربي القديم كان في هذه الفترة، (الفترة العباسية) يعيش ظروفاً مناسبةً للبحث، كان هناك دعم الخلفاء والعائلات الثرية للعلماء، كان التشجيع مادياً ومعنوياً لهم كي يعملوا وينتجوا، إضافة إلى وجود مؤسسات علمية خاصة مدعومة من قبل الخليفة كـ(بيت الحكمة) في بغداد مثلاً، ساهمت بلا شك في ازدهار عملية البحث إضافة إلى ما كان للمكتبات أيضاً من دور، وما كان للمدارس من دور تنويري. ولا ننسى أن الحضارة الأوروبية في ذلك الوقت كانت متخلفة جداً على صعيد التعليم وطرائقه والتربية حتى بداية فترة تأسيس الجامعات في أوروبا في القرن الثالث عشر.

الدراسات الإسلامية في الجامعات الفرنسية

*** كيف ترى، وتقيم الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الفرنسية اليوم، باعتبارك مستشرقاً؟**

■ كلمة استشراق قد لا تناسبني كثيراً، لأنها تطلق على من يدرس الحضارات الشرقية بكاملها، والاستشراق لا ينحصر بالعالم العربي فقط، أما الحضارة العربية الإسلامية. فلا يمكن فصلها عن العالم الإسلامي ككل. في الأصل، ومن البداية كانت هناك علاقات متداخلة، فسيفسائية، بين العرب وبين سكان البلدان الإسلامية، ونوع من العلاقة الحضارية ذات الخصوصية، والقائمة على تعاليم وأسس ومبادئ شكلت خصوصية هذه الحضارة. أعود إلى سؤالك، وضع الدراسات العربية والإسلامية اليوم في الجامعات الفرنسية هو متنوع في الحقيقة. ولكن هذا لا يمنع من القول بأن هناك دراسات قيمة جداً، إلى جانب دراسات لا جدوى منها ولأسباب شتى وأهم سبب هو عدم اللجوء إلى الأساس.

*** تقصد إلى الأصول؟**

■ بالضبط، هذا ما عنيته. هناك أناس وهم أكاديميون، يدرسون الوضع في العالم العربي من الناحية الدينية أو الاجتماعية، وهم لا يعرفون أصلاً اللغة العربية.

فكيف تدرس مجتمعاً عربياً دون معرفة دقيقة باللغة.؟ كيف يمكن للإنسان الباحث الجاد أن يدرس مجتمعاً إذا لم يكن على علاقة تواصل مباشرة معه بلغته.؟ ولنفرض أن باحثاً من الإمارات يدرس في المجتمع الفرنسي دون معرفة اللغة الفرنسية وهذا لا يمكن بالطبع لأن عاملي الموضوعية والإنصاف هنا غير متوفرين وهما أساسا البحث العلمي.

أما على صعيد انتشار الاستشراق في فرنسا، فلا شك أن هذا التخصص أصبح ينتشر بشكل كبير. فهناك ثلاث جامعات أساسية في فرنسا تهتم بالاستشراق، هناك جامعة باريس وجامعة ليون وجامعة مارسيليا. إضافة لوجود جامعات أخرى تهتم نوعاً ما بالاستشراق مثل جامعة سالزبورغ وبوردو، في هذه الجامعات الأخيرة فتحوا أقساماً للدراسات الشرقية. كما توجد هناك جامعات أصغر لا تقدم برنامجاً كاملاً من السنة الأولى حتى الدكتوراه، ولكن يقدمون للطالب الراغب المرحلة الأولى أو الأساسية في تعلم اللغة العربية لمدة سنتين.■

المسيري محاضراً عن:

الصهيونية العالمية وتأثيرها في علاقة الإسلام بالغرب

أكد المفكر الدكتور عبد الوهاب المسيري صاحب: (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية)، على وجود الهيمنة الثقافية لأمريكا من خلال إنتاجها وعرضها للأشرطة السينمائية التي اجتاحت العالم، ويشاهدها ملايين الناس، والتي تحاول تقليد أسلوب الحياة الأمريكية بوعي أو من دون وعي، وأنّ نجاح الصهيونية في إقناع أمريكا يتم بواسطة أن تتولى حكومة الكيان الصهيوني إدارة السياسة الخارجية لأمريكا في منطقة الشرق الأوسط، الأمر الذي نجم عنه تحيُّز واضح للعدو المغتصب لكي يفعل ما يراه مناسباً في لبنان أو سوريا أو فلسطين. ومما دعم هذا الموقف أن المصالح الأمريكية في العالمين العربي والإسلامي لم تتأثر بهذا الوضع، بل ازداد حجم الاستثمارات الأمريكية، والارتباط بالاقتصاد الأمريكي واستهلاك سلعه، مع ازدياد النفوذ الأمريكي في المنطقة.

د. عبد الوهاب المسيري

جاء ذلك خلال المحاضرة التي ألقاها المسيري ونظمها مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية مساء الأحد ١٧ مارس الماضي في فندق هيلتون أبوظبي، وأشار فيها المحاضر إلى نجاح الصهيونية في توظيف أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لصالحها، عبر طرحها لشعار (الحرب ضد الإرهاب)، حتى تمّ تصنيف المقاومة الوطنية في لبنان وفلسطين باعتبارها حركات إرهابية. وأضاف المسيري أنّ عناصر نجاح الصهيونية التي لم تكن بفعل سيطرتها على الولايات المتحدة الأمريكية، بل بفعل عناصر لصيقة ببنية الحضارة الغربية ذاتها. فالصهيونية كما يقول. «ليست ظاهرة عالمية، بل ظاهرة غربية ترتبط مصالحها بمصالح الغرب، كما أنّ رؤيتها الإمبريالية العنصرية هي إحدى إفرازات الإمبريالية الغربية. وأنّ الميراث الغربي لا يزال يساهم بشكل ملحوظ في صياغة الرؤية الغربية للعرب والمسلمين».

وختم المحاضر حديثه نحو ضرورة تحرك العرب والمسلمين على مستويين وهما: الأول. مستوى المصالح. والثاني المستوى الإعلامي، حيث يرى ضرورة إرسال رسائل واضحة إلى الغرب عن طريق حملات إعلامية تبين بأنّ مواقفه السلبية تجاه العالم الإسلامي قد تضرّ بمصالحه، وتبين في الوقت نفسه زيف الرؤية الغربية للإسلام والمسلمين والعرب وأنّها لا تستند إلى الواقع بأيٍّ شيء.■

بطاقة

■ حصل الدكتور عبد الوهاب المسيري على درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعتي كولومبيا ورتجرز في الأدب الإنجليزي المقارن.

■ أستاذ غير متفرغ بجامعة عين شمس بمصر.

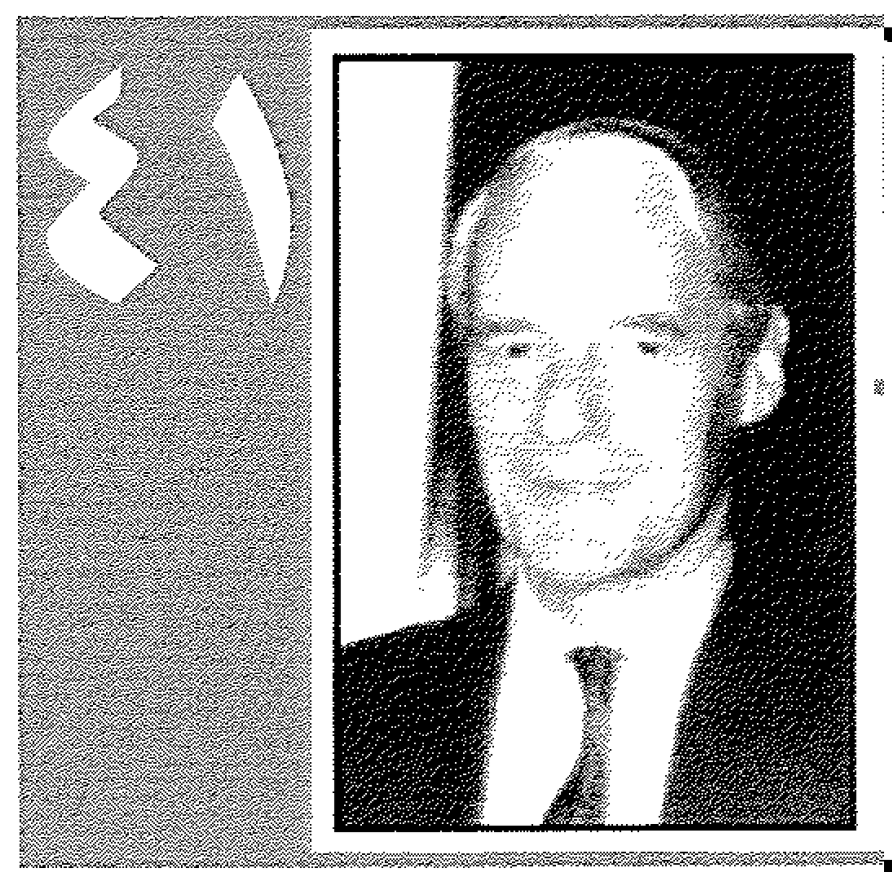
■ أستاذ بأكاديمية ناصر العسكرية بمصر.

■ أستاذ زائر بجامعة ماليزيا الإسلامية في كوالالمبور.

■ عضو مجلس الأمناء لجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بالولايات المتحدة الأمريكية.

وللمسيري عدد من المؤلفات ومنها.

- نهاية التاريخ. مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني، ١٩٧٢م.
- الأيدلوجية الصهيونية. دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة(جزأين).
- أرض الوعد نقد الصهيونية السياسية.
- تطور العلاقة بين إسرائيل وجنوب أفريقيا.
- الانتفاضة والأزمة الصهيونية وهجرة اليهود السوفيت.
- الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، ومن هو اليهودي؟
- إشكالية التحيُّز(سبعة مجلدات).



٤١

أبوظبي ... وتسعة وثلاثون عـــاماً من الذكريـــات

■ بقلم: دافيد جي هيرد
ممثل شركة نفط أبوظبي المحدودة

مميـــزات الإمـــارات

بدأ العمل في البحث والتنقيب عن البترول منذ أكثر من ٧٠ عاماً، وكان الأمل يراود المهندسين والعمال الذين عملوا بعد ذلك في صحراء أبوظبي في العثور على البترول فيها، بعد عثورهم على بعض بقع الزيت على سطح الأرض، لكن عندما كان فريق العمل يحفر، كان يكتشف أن التربة صخرية، كما كان الحال في العراق والعديد من دول المنطقة قبيل اكتشاف البترول فيها، وأيضاً، كان من الأسباب التي دعت للعمل والبحث عن البترول في ذلك الوقت هو التكوين الصخري للتربة والظاهر على سطح الأرض، كما كان الحال في جبال إيران وقطر، ونقول: كان الأمل موجوداً لأن تلك الصخور تحمل عادة بداخلها الزيت.

الحقيقة أن النتائج لم تكن جيدة في أبوظبي في البداية.. حيث لم يظهر أي تدفق أو خروج للزيت بشكل جيد، والساحل كان مليئاً بالمياه السبخة.. كما أن الصحراء كانت تغطيها الرمال، وكذلك كافة الصخور التي يمكن أن يكون بها زيت. باختصار.. لم يكن هناك أي شيء يشجع الجيولوجيين على العمل سوى بعض الصخور بجبال عمان، وهو أمل تمسكوا به أثناء العمل في أبوظبي.

والغريب.. أنه سبق اكتشاف النفط عام ١٩٦٠ بكميات كبيرة في أبوظبي بعقود، إعلان شركات البترول الكبيرة أنها تقوم بعمل مسح للتربة، وحفر آبار من أجل استخراج البترول من أراضي أبوظبي، رغم عدم وجود دليل مشجع على ذلك، لكنهم لم يفقدوا الأمل في النجاح، ومنذ ذلك الوقت كان الناس يعيشون على ذلك الأمل، وأن تحدث عندهم الطفرة كما هو الحال في المنطقة الشمالية بالخليج.

التغيير الكبير

لكن الحال تغير فعلاً.. فبعد فترة من الزمن ظهرت عوامل عديدة في أبوظبي تميزها عن جيرانها من ناحية التنمية والتطوير، وأحد تلك العوامل: حجم حقول البترول الكبيرة التي اكتشفتها الشركات سواء في الصحراء أو في البحر. والزيت المتراكم بها كان يجعلها حقولاً عملاقة، بل من أمهات الحقول العملاقة مثل تلك التي تم اكتشافها في بحر الشمال.. أو مقارنة بالحقول الأخرى في العالم.

لقد أعطت بعض آبار البترول معدلات هائلة، فعندما قمنا بحفر آبار حقل بوحصا في أبوظبي، توقعنا حسب الزيت المتدفق. ألا يكون لهذا المعدل مثيل في العالم إلا في حقل كيركوك في العراق، على الرغم من أن حقل كيركوك كان ينتج زيتاً بنسبة ضغط ضعيفة. أما في بوحصا فإن الآبار عميقة.. وبالتالي نجد أن الزيت كان ينتج بمعدلات كبيرة، وأيضاً بنسبة ضغط عالية.

ورغم سعادتنا بهذا الضغط.. إلا أننا كنا نجد صعوبات ومشكلات عديدة، ولم يكن أمامنا نحن مهندسي البترول إلا أن نتعامل مع المشكلات والتحديات التي تظهر جراء هذا التدفق والضغط العالي بصبر وحُسن تصرف.

خطورة بالغة

أذكر أننا بينما كنا نعمل في آبار بوحصا.. قمنا بوضع حفارة آبار جديدة لاستخراج الطين الموجود في الآبار، ولاختبار معدل الطين المتدفق من البئر. وتم تجهيز خط أنابيب من البئر إلى مسافة ١٠٠٠ قدم في الصحراء.. ومن الأمور التي كانت تسعدنا أثناء عملنا في الصحراء هو الصوت العالي والمرعب الذي يحدثه تدفق الزيت والغاز من الآبار عبر خط الأنابيب.. وفي تلك الأثناء لم يكن لدينا معدات حديثة لإشعال الوقود لبحث البئر، وكان علينا أن نبتكر شيئاً ما بأنفسنا، فكنت أقوم بإشعال علبة صغيرة مليئة بزيت الديزل بالقرب من نهاية الماسورة الممتدة وكأنها الفتيل المشتعل، ثم أعود إلى البئر

لفتح الصمامات لكي تسمح بمرور الزيت من خلال الأنبوب، ولسوء الحظ، لم تكن هذه العملية تنجح في كل مرة.. حيث في مرات عديدة لم يكن الفتيل يوضع في مكانه الصحيح مما يتسبب في تسرب تيار من الغاز خارج الأنبوبة أو الماسورة، فيدفع العلبة بعيداً وتفشل العملية، وكان عليّ أن استخدم طريقة بديلة. وبالفعل، كنت أفتح الأنبوب للسماح بتسرب بعض الغاز، ثم ارمي علبة الزيت مشتعلة، وأجرى بأسرع ما يمكن لأبتعد عن اللهب الذي ينتج عن هذه المحاولة.

كان ذلك في غاية الخطورة، بل ان مسؤولي الأمن والسلامة كانوا يمنعون ذلك، لكن ماذا نفعل؟.. فقد كان علينا أن نقوم بأعمالنا بشكل أو بآخر! ولم نكن نستطيع الاقتراب من المنطقة لشدة اللهب، الذي كان يحوّل الرمال في المنطقة المشتعلة إلى زجاج!! حتى أننا عندما كنا نقترب من البئر لنراها من الداخل، كنا نمر على منطقة زجاجية يزيد سمكها عن البوصة من تأثير الحرارة على الرمل، وكان الزجاج أيضاً مليئاً بالطين المستخرج من البئر، وقد أخذ اللون الأزرق. وذات مرة، مررت على هذا الزجاج محاولاً تكسيره بمطرقة، وبالفعل، كسرت كمية منه، ولكن وجدت دماً يسيل من يدي، فقد جرحت من ذلك الزجاج الحاد جداً دون أن أدري.

لكن على كل حال.. فإن شركات البترول تبتكر الآن آليات جديدة تكون ملائمة وصديقة للبيئة بشكل أفضل بكثير، فلا تحرق كميات كبيرة من الزيت أثناء تنظيف واختبار الآبار.

توظيف العائدات

والعامل الثاني المميز لأبوظبي عن غيرها من دول المنطقة هو كيفية توظيف عائدات البترول بشكل أفضل واستخدامها لما فيه الخير لصالح الشعب في جميع المجالات، وهو أمر واضح وجلي، فهناك دول أخرى في المنطقة ذات عائدات كبيرة من النفط.. لكنها تنفق أكثر ما تنفق على المشاريع والسكان.

ومنذ عقود.. كان سعر البترول الخام متدنياً إلى أن جاء عام ١٩٧٣ وارتفع سعره أضعافاً مضاعفة، وبسرعة كبيرة تضاعفت عائدات الدولة من البترول، ولذلك كان العقد الأول من عمر هذه الدولة الفتية، أي بعد إعلان الاتحاد عام ١٩٧١، عقد خير وبركة، إذ توفرت لها ثروة كبيرة من المال، مما مكنها من أن تعمل على تطوير نفسها، بل والبناء الرائع من نقطة الصفر، ثم مساعدتها لكثير من الشعوب الأخرى.

حدث فريد

منذ أربعين سنة وأنا متواجد في الإمارات، ولقد أمضيت فترة من حياتي أعمل في طريف، وهي منطقة واقعة بين أبوظبي والرويس. والمناخ هناك كان صعباً، فلا ماء يستخدم للشرب أو للري، والمخيم الذي كنا نعيش فيه كان يشبه أسطوانه كبيرة من الخارج. وعندما وصلت هناك وعرفت مقر إقامتي وإعاشتي، تعرفت على أحد الموظفين يعمل معنا وكان لبناني الجنسية، وقد استطاع هذا الرجل بمجهوداته الشخصية أن ينشئ حديقة صغيرة يرويها بالماء المستخدم في المطبخ والحمام. والحديقة محاطة بسور يحميها من الرمال الصحراوية الناعمة، وكان ذلك حدثاً فريداً.

وداخل المخيم شبابيك مغطاة بستائر ثقيلة وداكنة حتى تمنح دخول حرارة الجو، ولا أذكر أنني نظرت من تلك الشبابيك ذات مرة. أما في فصل الشتاء فكنت أخلع تلك الستائر لأرى بالكاد السيارة التي كنت استخدمها في عملي (اللاندروفر الزرقاء)، وحاولت قدر الإمكان أن أجد شيئاً يساعدني على الحياة، وبالفعل قمت بزراعة بعض النباتات في المنطقة المقابلة أمام الشباك، وجعلت للسيارة مكاناً آخر. وبالرغم من ذلك، فإن إدارة الشركة لم يرق لها ما عملته، وزعمت بأن هذه المزروعات ليست ملائمة للمكان أو الموقع، وطلبت مني إعادة الأمور إلى ما كانت عليه مرة أخرى. وكنت باستمرار اختلف مع المسؤولين حول هذا الموضوع، وبدأت رحلة عدم التوافق في بعض الأمور مع الشركة، فدخلت في مرحلة عناد وكنت مصراً على أنها ملائمة .. بل وسأعمل على أن يكون المكان كله مزروعات حتى لو قامت الشركة بإنشاء سور أو حاجز للموقع. واليوم وبعد ما يقرب من (٤٠) عاماً، إذا قمت بزيارة طريف فإنك سترى موقع الشركة هناك، وسترى الحاجز التي أقامته الشركة حول موقعها، ومن ثم سترى ما بقي من تلك المزروعات التي كنت أقوم بزراعتها أمام الموقع.

الميزة الثالثة

والميزة الثالثة للإمارات التي تميزها عن غيرها من دول المنطقة هو الاستقرار والقيادة الحكيمة والرشيدة التي تتمتع بها، فلقد أنعم المولى عزّ وجلّ على هذه الدولة الكريمة بموارد عديدة للرزق تم تسخيرها لصالح الشعب، وخاصة الأجيال الجديدة الصاعدة التي لم ترَ ما كان يعانيه الأجداد والآباء من صعوبة الحياة في الماضي، وبالنسبة للأجيال القادمة يمكنهم أن يتعلموا مما تركه أجدادهم وآباؤهم من عادات وتقاليد عربية أصيلة، وتراث ممتد، وفي المستقبل.. عليهم واجب يؤدونه، وهو تذكر نعمة الخالق عليهم، والمحافظة على تلك النعم التي منحهم المولى عزّ وجلّ إياها. ■

إعداد: محمد سعد معروف

بمناسبة معرض الكتاب

كنوز المخطوطات

في دار الكتب الوطنية بأبوظبي



■ **واصف باقي**

تمتلئ خزائن المخطوطات بدار الكتب الوطنية في المجمع الثقافي بالعديد من النفائس والذخائر والنوادر التي جمعتها من مكتبات العالم المتناثرة هناك شرقاً وغرباً.

هذه المخطوطات القديمة قدم الزمان ألفها كتّاب عباقرة عبر التاريخ، ومع ذلك تحتفظ هذه النسخ بوضوحها رغم أن بعضها مهترئ ومتآكل الصفحات، وبعضها الآخر - وما أقله - أصابه العث والغبار بيد أنها ماتزال تتسم برونقها، وبالتالي عراقتها فضلاً عن ذلك فإنها تحتوي بين دفتيها فوائد جمة متفردة قلما نحصل عليها في كتاب، فهي بخط عالمها المختص، في بعض العلوم أو الفنون أو المعارف العامة.

وحول هذا الموضوع الجدير بالاهتمام، قمنا بجولة في قسم المخطوطات بمكتبة المجمع لنعرف ما فيه، ونسلط الأضواء عما في تلك الرفوف من روائع التراث العربي والإسلامي، والقابع بجناح المخطوطات في المكتبة العامة في أبوظبي.

الغاية من إنشاء قسم المخطوطات:

نستهل هذا التحقيق باللقاء مع سعادة جمعة عبد الله القبيسي الوكيل المساعد لشؤون دار الكتب الوطنية، والذي لمست عنده منذ البداية اهتماماً فريداً بجمع واقتناء أروع المخطوطات من كل مكان في أرجاء الدنيا، وهذا ما سعى إليه وبذل جهده لإغناء هذا القسم بالبدائع النادرة الموزعة في العالم.

وقد طلبنا منه إفادة قارئ المجلة حول إنشاء القسم وأهدافه ومحتوياته فقال: يعد قسم الخطوطات ومصوارتها عندنا من الأقسام الحديثة، حيث أخذ شكله الرسمي في التبلور عام ١٩٨٨م ليأخذ على عاتقه العناية بكل ما يتعلق بثروتها التراثية، وقد زوّد القسم بكل الوسائل والتجهيزات التي تساعد المحقق والباحث سواء بتوفير المصادر ومروراً

بالفهارس والكشافات وصولاً إلى الأدوات البصرية والتصويرية وما إلى ذلك، لأن مهمتنا ليست حفظ هذه السطور العريقة فحسب بل مساعدة المهتمين من داخل الدولة أو خارجها للوصول إلى ما يبتغون.

أهداف قسم المخطوطات

وعن الهدف الأساسي من إنشاء هذا القسم يقول مدير الدار: كنا نهدف أساساً إلى الحفاظ على هذه الثروة العلمية التي خلّفها لنا الآباء والأجداد، والتي كانت ركناً من أركان نهضتنا، ورافداً ثقافياً من روافد حضارتنا، بل كان هذا الميراث الفكري الإسلامي أساساً للحضارة العالمية في كل بقاع المعمورة.

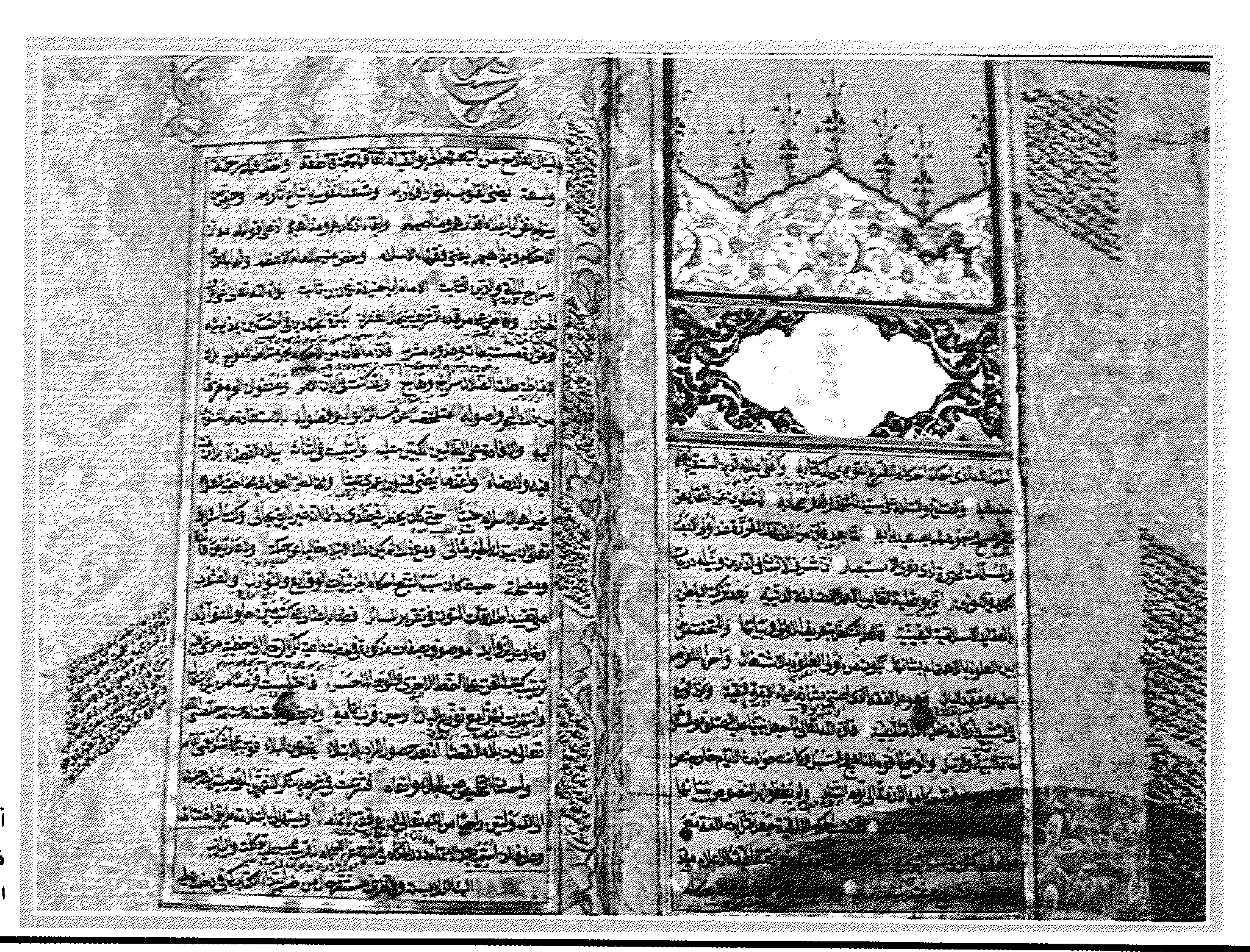
هذا الإرث الفني من مخطوط الحرف العربي الأصيل لم يبق منه سوى أربعة ملايين مخطوطة متناثرة في كل أصقاع الأرض. وهذا ما تبقى منها بعد النكبات والعواصف الهوجاء التي أصابت هذا التراث ومن هنا كان من أهداف هذا القسم نشر الوعي المخطوطي، والمساهمة في خلق جيل يعرف قيمة هذه الثروة العلمية، والمساهمة في كل ما من شأنه أن يساعد على جمع وتحقيق ونشر هذه الثروة الفنية. إما بالشراء أو بالتبادل أو التصوير بالميكروفيلم أو المايكروفيش، وسوف نقوم بنشر القسم الأكبر من المخطوطات لضمان وصولها كتاباً مطبوعاً إلى المهتمين حفاظاً على المخطوط من التلف والضياع. وقد حققنا بعض هذه المنجزات بطبع المخطوطات التي تتعلق بالشريعة الإسلامية، ويقوم بتأدية هذا الدور وتحقيق هذاالهدف نخبة من خيرة المحققين ذوي الاختصاص في القسم.

المحتويات العلمية والفنية:

يشير سعادة جمعة عبد الله القبيسي إلى أنه يوجد لدى قسم المخطوطات في الدار قرابة أربعة آلاف عنوان مخطوطة عربية وإسلامية في مختلف العلوم والفنون قاطبة. فضلاً عن توفر خمسين مصحفاً شريفاً مخطوطاً بين خطوط النسخ والمغربي والفارسي (منها ما هو منسوخ منذ أربعمائة سنة) وكلها ذات زخارف موشاة بماء الذهب والألوان الرائعة، ناهيك عن حيازة بعض المصورات المخطوطة التركية العثمانية بالحرف العربي.

ويضيف سعادة وكيل دار الكتب بأن هذا القسم يحتوي على العديد من المخطوطات النفيسة سواء من حيث قدم نسختها أو من حيث ندرة موضوعها.

وأقدم نسخة مخطوطة لدى القسم على سبيل المثال



أحد المخطوطات التي تملكها دار الكتب الوطنية



جمعة القبيسي

الوكيل المساعد لدار الكتب الوطنية



أحمد عبيد

رئيس قسم النشر

بسام بارود

مسؤول قسم المخطوطات

هي بعنوان «مجالس في التصوف»، وقد تم نسخها سنة (٦٧٦هـ - ١٢٧٧م)، وهي عبارة عن مجموعة مقالات في الوعظ والإرشاد، مجهولة المؤلف، كتبت بأسلوب السجع، وبخط نسخي جيد ومقروء. وهناك عشرات المخطوطات قدمها القسم للباحثين والمحققين لنشرها ومنها ما يستخدم لأجل نيل شهادات عليا.

نشاطات قسم المخطوطات

وهنا نتوقف عند أنشطة قسم المخطوطات ومصوراتها مع بسام محمد بارود، الباحث الأول لدى قسم المخطوطات، والذي قام بتحقيق العديد من المخطوطات الإسلامية وبحوث ودراسات في الشريعة الغراء، فضلاً عن التأليف والتقديم والبحث والدراسة والتعليق والشرح والتهميش خصوصاً في مجال التصوف والأدعية والأذكار والأوراد لأعلام الطرق الصوفية، وقد أخرج كثيراً من الكتب المخطوطة لترى النور، وقد سألناه فأجاب: يقوم القسم بالعمل على فهرسة المخطوطات التي في حوزته وقد طبع الجزء الأول من الفهارس ووزعها على المهتمين والباحثين. ويقدم كل ما يحتاجه الدارسون الجادون في مجال تحقيق ونشر المخطوطات، وهو يستقبل العديد منهم باستمرار، كما يعمل على إيجاد الصلات العلمية والروابط الثقافية بينه وبين الجهات والمؤسسات المعنية بشؤون المخطوطات، وذلك على المستويين الرسمي والفردي، من أجل تجميع هذه الثروة المخطوطية، فإن لم تكن الأصول فالمصورات، مع السعي الدؤوب من أجل حفظها وبالتالي نشرها سواء من قبل المجمع الثقافي أو تقديمها للمحققين للقيام بهذا العمل الجليل والتفرغ من أجل إنجازه بالجهد والمثابرة حتى يتم الانتهاء منه ويصل إلى القراء.

العلماء المحققون

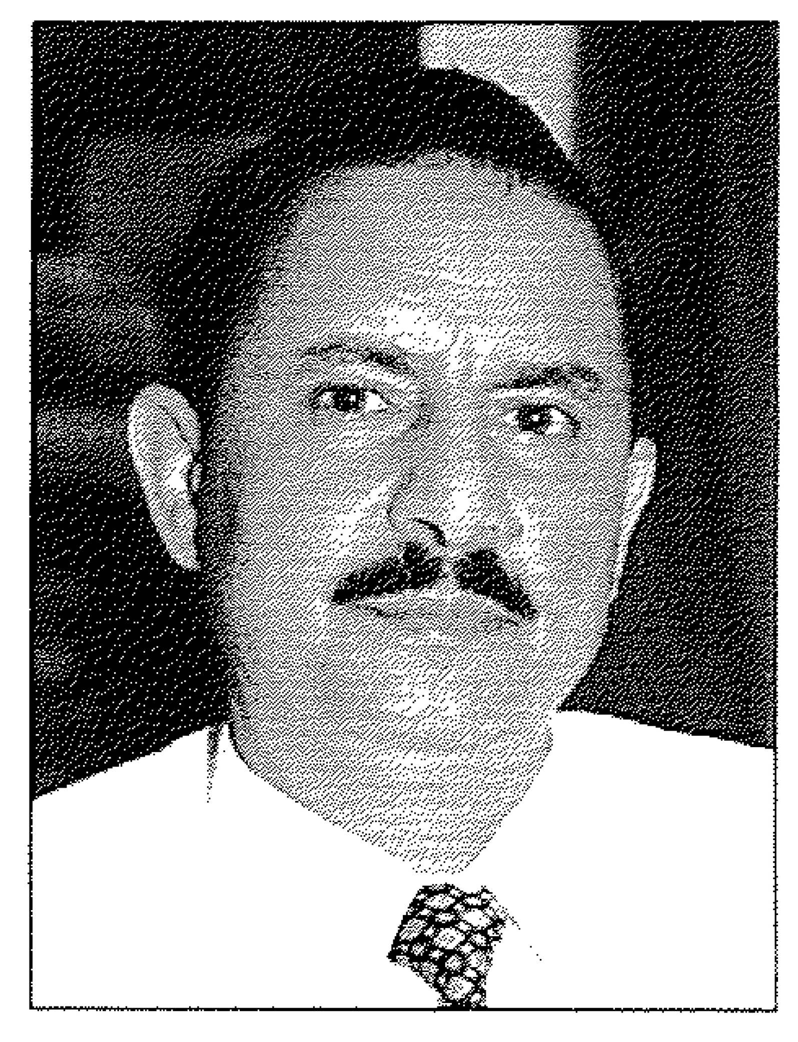
يحفل قسم المخطوطات بدار الكتب الوطنية بثلاثة من المحققين الأعلام في هذا المضمار وهم العلامة اليمني عبد الله محمد الحبشي وله سبعة وعشرون كتاباً مطبوعاً، وفي التحقيق خمسون كتاباً، وآخر نتاجه المميز معجم الموضوعات المطروقة في جزئين، وقد قام المجمع الثقافي - قسم النشر - بطبعه وتوزيعه وهو من أهم المراجع لأي باحث ليكون دليله إلى عالم الكتب وشؤونها وعلومها ولا تستغني عنه أية مكتبة عربية معاصرة.

أما الباحث بسام بارود فهو شاب نشط دائب الحركة في القسم لا يني جهده، يحقق، يدرس، يؤلف، ينقب في الأصول ويبحث في النصوص القديمة ليجعلها تعانق النور وتصافح عيون القراء والمهتمين عبرمصنفات قريبة من النفوس، تستمرئها العقول، وتستهويها القلوب لا سيما في دنيا الصوفية، وهو خريج جامعة دمشق - كلية الشريعة وقد أضحى نتاجه المطبوع يناهز الثلاثين كتاباً منها (فهرس المخطوطات العربية والإسلامية، الجوهر المنظم، المنح المكية، تفسير الفاتحة الكبير (مجلدان)، رسائل مولاي العربي الدرقادي، الفجر المنير، ديوان العروسي، تفسير القرآن العظيم لابن عجيبة والآداب المرضية للبوزيدي).

ويبقى الباحث عبد الله السريحي الذي يعمل في هذا المضمار بعد أن درس العلوم العربية والإسلامية في

اليمن كما حصل على البكالوريوس في الاقتصاد من جامعة صنعاء، وله العديد من المقالات والبحوث والدراسات المنشورة في بعض المجلات العربية، وينشر له المجمع تحقيق معجم البلدان لياقوت الحموي والمجلدين الأول والثاني من مسلك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري.

كما يعد قسم النشر كتاباً جامعاً شاملاً في عمل جماعي ضخم قد يستهلك زمناً طويلاً وهو مشروع طباعة كتاب بعنوان (الفهرس الجامع للمخطوطات في العالم)، وتم الشروع في العمل به، كما أدخلت بعض الفهارس العالمية للحاسوب الآلي حالياً من أجل إنجاز هذا المشروع الطباعي الموسوعي الكبير.



عبد الله السريحي
باحث في قسم المخطوطات

من غرائب المخطوطات

ليس في أمة من أمم الأرض، لا في الزمن القريب ولا في التاريخ السحيق ما لدى أمة الإسلام من علماء أجلاء زاحمت عبقريتهم العلمية آفاق الجوزاء، حتى أن العديد منهم صاروا نجوماً يهتدى بهم، وتقتفى آثارهم في نشر المعرفة في كل مكان.

ومن هؤلاء الأنجم الزاهرة في سماء حضارتنا الإسلامية عالم قد طواه الزمن في كهف النسيان بعد أن كان يشار إليه بالبنان ويقال عنه وحيد دهره، وفريد عصره وعلاّمة الزمان، إنه العالم الفهامة فيض الله بن المبارك الأكبر، آبادي أبو الفيض الملقب بـ (فيضي) الموسوعي والذي لم يكن له نظير في الشعر، العروض، القافية، اللغة، التاريخ، الإنشاء والطب وغيرها من العلوم، والمولود رحمه الله سنة (٩٥٤هـ-١٥٤٧م) والمُتوفَّى (١٠٠٤هـ).

كان حريصاً على جمع المخطوطات النفيسة بأيدي مؤلفيها وقد ألّف العديد من المصنفات التي تدل على اقتداره وتمكنه من مختلف العلوم ومن أهمها مخطوط (تفسير سواطع الإلهام) وهو من غرائب مؤلفاته المخطوطة.

يمتلك قسم المخطوطات في دار الكتب بأبوظبي هذه النسخة تحت رقم (٢١٣ / ١)، وقد استغرق فيه سنتين، وهو يدل على باعه في مفردات اللغة العربية حيث لم يستعمل في هذا التفسير للقرآن الكريم أياً من الحروف العربية المنقوطة، وهو الهندي الأعجمي، واختار الكلمات المهملة ليصوغ منها تفسيراً لم يسبق إليه، حيث أظهر عجائب معجزة القرآن الكريم الخالدة، التي يفنى الزمان ولكنها لا تفنى، وقد كتب هذا التفسير بخط النسخ الجيد والمقروء على ورق أسمر اللون.

أول المخطوطة. «الله لا إله إلا هو، ولا أعلمه ما هو ولا أدركه ما هو، أحامد المحامد، ومحامد المحامد، لله مصعد لوامع العلم، وملهم سواطع الإلهام»... وفي النهاية يقول: «أحكم الله أساس حمد علوه المرصص وأصعد، وأورد أمره مسامع أهل الود.. لك الحمد دهوراً صاعداً مصعداً مكملا»..

والمؤلف سطر مخطوطته بالحبر الأسود ما عدا الآيات القرآنية فكتبت بالحبر الأحمر، والمخطوط بحالة جيدة عدا بعض ورقها في النصف الثاني مقهرّ (والتقهير عملية قديمة لحفظ الورق وتثبيت الحبر) وهو قليل الحواشي والتعليقات، وهي سليمة وتامة، لم يصب أوراقها أي تشويه أو نقص، ويبدو أنها حفظت بشكل جيد طيلة الفترة السابقة حتى هذا الوقت.

أما جلد المخطوطة (غلافها) فهو خمري اللون له لسان وزيّنت دفتاه بزخارف مذهبة في وسطه وأطرافه، وقياسه ٥٠×٢٢ سم، وعدد الأوراق ٢١٢ ورقة وكل وحدة ٣٧ سطراً وكل سطر ١٢ كلمة.

وقد نظم المؤلف المفسر في المقدمة قصيدة مدح لمنهجه في التفسير فجاءت بالحروف المهملة أيضاً لتؤكد اقتداره الفذ في اعتلاء قمة اللغة، وتمكنه من ناصيتها بما لا يدع مجالاً للشك من أنه بذلك قد حاز سبق الرهان، وقل نظيره في هذا الميدان.

أما مطلع القصيدة فهو.

ألواح سحر أم طلاسم مكرم
لأسرار روح للسواطع ملهم■

الأفغانية فاطمة جيلاني توثق مساجد لندن

❖ مصطفى كركوتي *

المسجد هو مركز واحد يحقق غرضين: مركزاً للجاليات المحلية يجمع ما بين الناس ويؤلف ما بين قلوبهم أثناء إقامتهم شعائر الصلاة، ومركزاً يقدم التسهيلات لأبناء هذه الجاليات ويضع الحلول لمشاكلها. هذا ما قالته الكاتبة والأكاديمية الأفغانية فاطمة جيلاني لـ «تراث» أثناء تقديم كتابها لعدد من الصحافيين والمختصين بشؤون التراث في «جامع لندن المركزي» في «ريجينت بارك» في وسط لندن. ويعكس الكتاب الذي يقدم لأول مرة معلومات وافية عن المساجد حقيقة العلاقة المتنامية بين هذه المساجد وبين المهاجرين المسلمين إلى بريطانيا، خاصة أولئك الذين قدموا إليها خلال النصف الأول من القرن الماضي من مستعمراتها السابقة في آسيا.

مسجد السليمانية في المركز الإسلامي التركي

الكتاب إذن، ليس توثيقاً عادياً وحصراً لعدد مساجد لندن فحسب، بل هو في الحقيقة توثيق لانتشار حركة التراث الإسلامي التي انطلقت مع قدوم المهاجرين الرواد من العالم العربي والإسلامي إلى شواطئ الجزر البريطانية في أواخر القرن الثامن عشر. فكرة الباحثة الأفغانية فاطمة جيلاني عن المسجد ليس كونه مكان عبادة فقط، بل مركزاً لورش العمل ومدارس لتعليم المعرفة الدينية ومركزا للقاء والتحاور والنشاط الأسري والاجتماعي، فهي تقول: إن مسجد النبي في المدينة المنورة أقيم من أجل هذه الأهداف كلها.

وفاطمة جيلاني ليست غريبة عن الإعلام العالمي الذي عرفها في مطلع التسعينات كمتحدثة رسمية باسم «حركة المجاهدين الأفغان» ضد حكومة نجيب الله المدعومة من موسكو في كابول. وقد عادت إلى الظهور مؤخراً في عداد وفد «تحالف الشمال» إلى مفاوضات بون في ألمانيا، فكرة الكتاب «مساجد لندن» The Mosques of London الصادر بالإنجليزية عن دار (Elm Grove Books) البريطانية جاءتها، كما تقول، من أحد معارفها العماني د. عمر زواوي الذي أشار إلى وجود مراجع عدة عن أماكن العبادة المسيحية واليهودية في العاصمة البريطانية، وغياب تام لمراجع المساجد، وقد أحصت جيلاني ١٥٠ مسجدا في لندن في الوقت الذي لا يعرف أحد مسجداً من هذه المساجد غير ما هو موجود في منطقته المحلية أو مساجد لندن الثلاثة الرئيسة. المسجد المركزي في «ريجينت بارك» ومسجد «شرق لندن» ومسجد «الإمام الخوئي» الحديث في شمال غرب العاصمة الذي زاره رئيس وزراء بريطانيا توني بلير في شهر سبتمبر الفائت لأول مرة.

وإذا كانت فاطمة جيلاني ترى في هذا العمل التوثيقي جهداً معرفياً يضاف إلى المكتبة البريطانية والعالمية في آن، فإن رئيس الكلية الإسلامية في لندن الباحث د. محمد زكي بدوي يرى في تحديد مواقع المساجد ورصد تاريخها ونشاطها الديني والدنيوي جزءاً من مشروع الانصهار في المجتمع البريطاني، فالكتاب يقدم رصداً شاملاً لمساجد لندن كي يجعل منه مرجعاً لا غنى عنه للباحثين في تاريخ هذه المساجد، وللدارسين في تاريخ

وعلوم الإسلام في بريطانيا. ويقول د. بدوي لـ «تراث» إنه غالباً ما يوصف المسلمون بأنهم لا يهتمون بالتاريخ، فهذا الكتاب سيؤكد على أننا بدأنا نهتم بالتاريخ، وبتسجيل ولادة مؤسساتنا بشكل موثق.

ويضيف بدوي الذي كتب مقدمة كتاب «مساجد لندن»: مساجد لندن هي المراكز العصبية لمختلف الجاليات المسلمة في العاصمة لأنها تعكس الوحدة والتنوع بين صفوف مسلمي لندن، فهذا الكتاب مهم ليس فقط بالنسبة للباحثين عن أماكن العبادة، ولكن أيضا بالنسبة للمسؤولين عن المساجد أنفسهم الذين يجب أن يتعرفوا على بعضهم بعضاً ليتمكنوا من التعاون في خدمة المتعبدين في هذه المدينة. فالخلفية التاريخية التي يقدمها الكتاب عن كل واحد من المساجد الـ ١٥٠، تروي أيضا حكاية الهجرة إلى بريطانيا وأصل المهاجرين وأين عاشوا وماذا حل بهم.

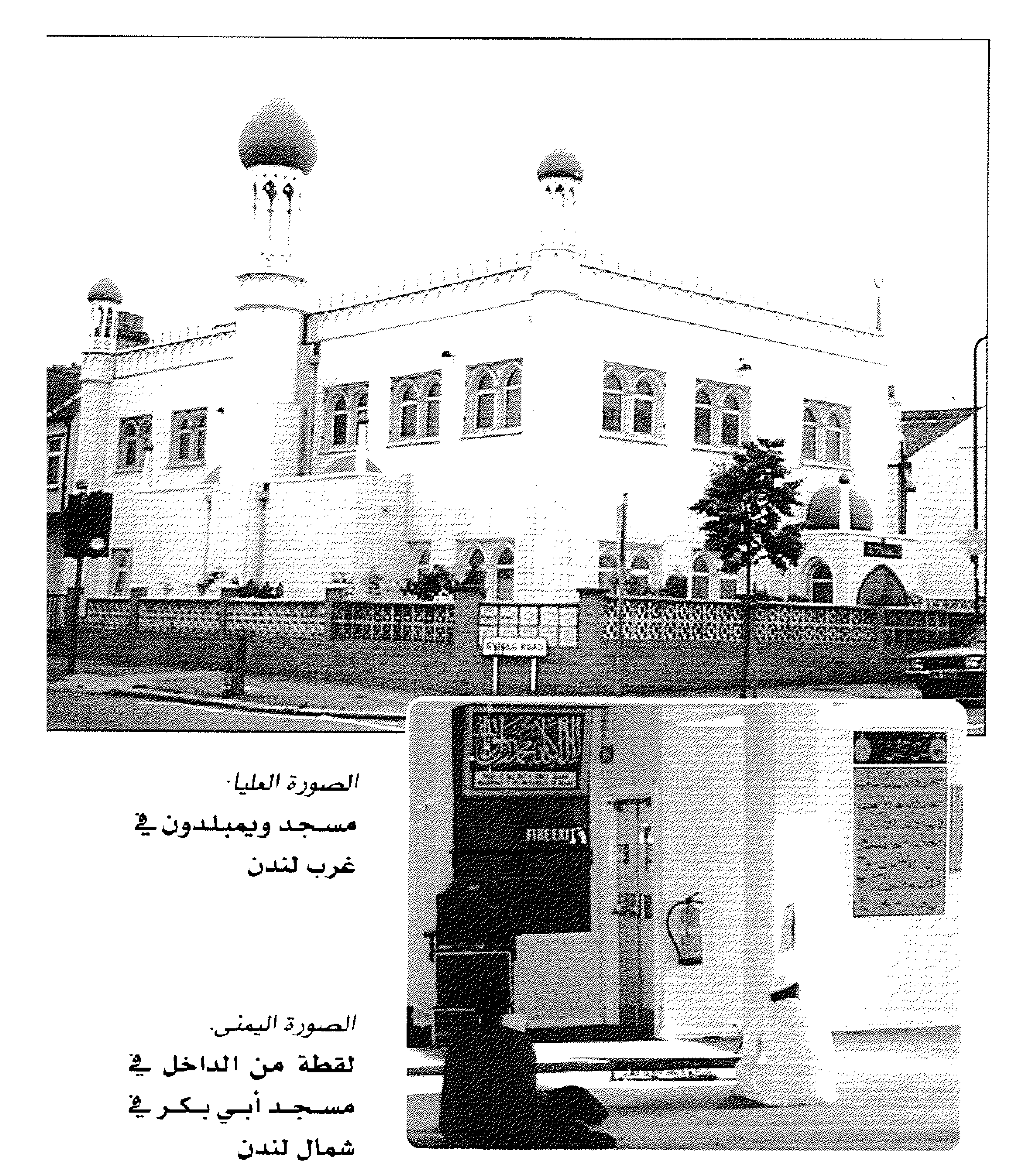
خدمة مزدوجة

ولأن المسجد بمفهومه العصري والتاريخي مركز يقدم خدمة مزدوجة لرواده: مكان لعبادة ومركز لمناقشة مشاكل وشؤون الجاليات المتنوعة، فإن فاطمة جيلاني ترى بضرورة أن يكون المسؤولون عن هذه المساجد على مستوى رفيع من المعرفة والتماشي مع عصرنة البلد الذي يعيشون فيه. وبعبارة أخرى، المطلوب أن يتوفر في هذه المساجد على حد قولها مسؤولون متعلمون ومثقفون وخبراء في الشؤون الاجتماعية وليس مجرد أئمة يقيمون الصلاة ويؤدون الشعائر الدينية فحسب، فالجاليات المسلمة في بريطانيا تحتاج لمن يساعدها في عملية الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها لتصبح رافداً من روافد المجتمع المعاصر وليس عالة عليه.

من ناحيتها تقول المؤلفة فاطمة جيلاني في فهمها للمسجد إنه مكان كان يستخدم للتجمع والعبادة وتحول مع الارتقاء بأهمية الإسلام إلى مركز سياسي وديني للمجتمع الحديث، فهو المكان الذي كان يلتقي فيه المؤمنون مع النبي محمد ليس للصلاة فحسب، بل لإلقاء الخطب التي كانت تحتوي قواعد وأسس الحياة الجديدة في ظل الإسلام، بالإضافة إلى الإرشاد والهداية إلى طريق الإيمان.

الأشعري

وتضيف: إن مسجد المدينة المنورة بقي مركزاً للإدارة والعبادة للمسلمين، كما أن بناء المساجد أصبح

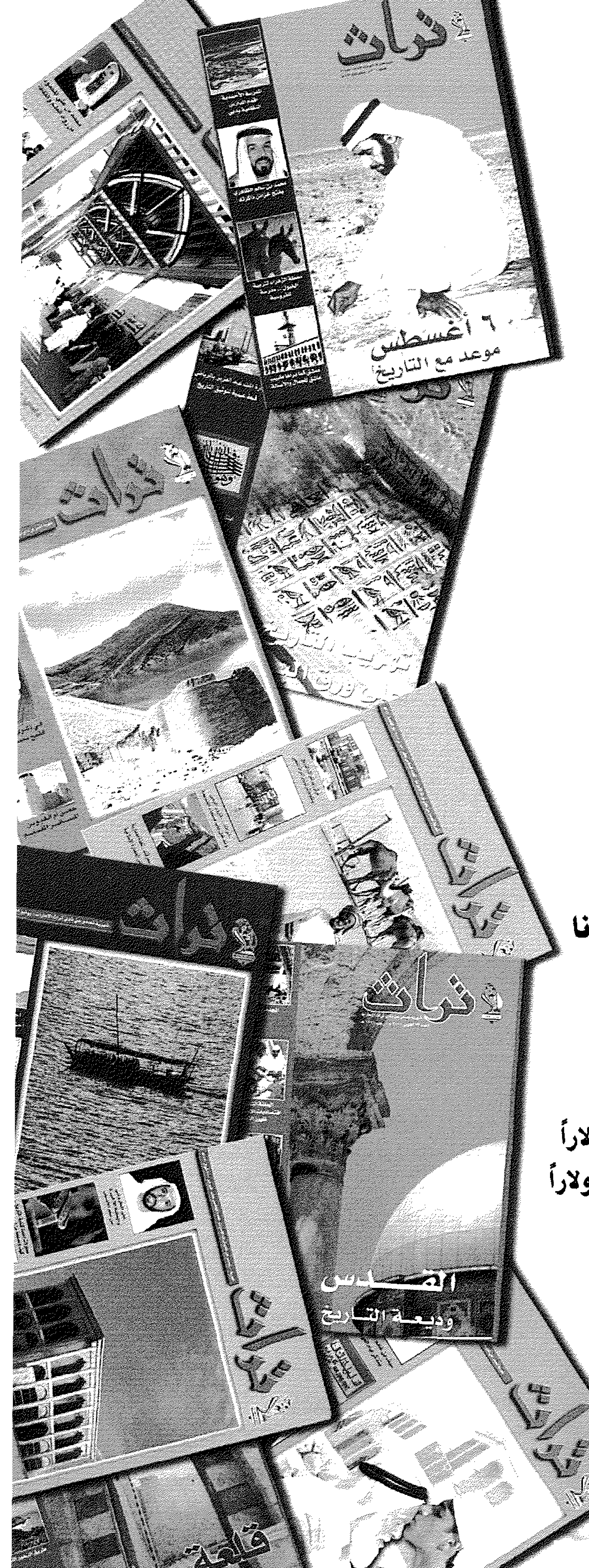


الصورة العليا:
مسجد ويمبلدون في غرب لندن

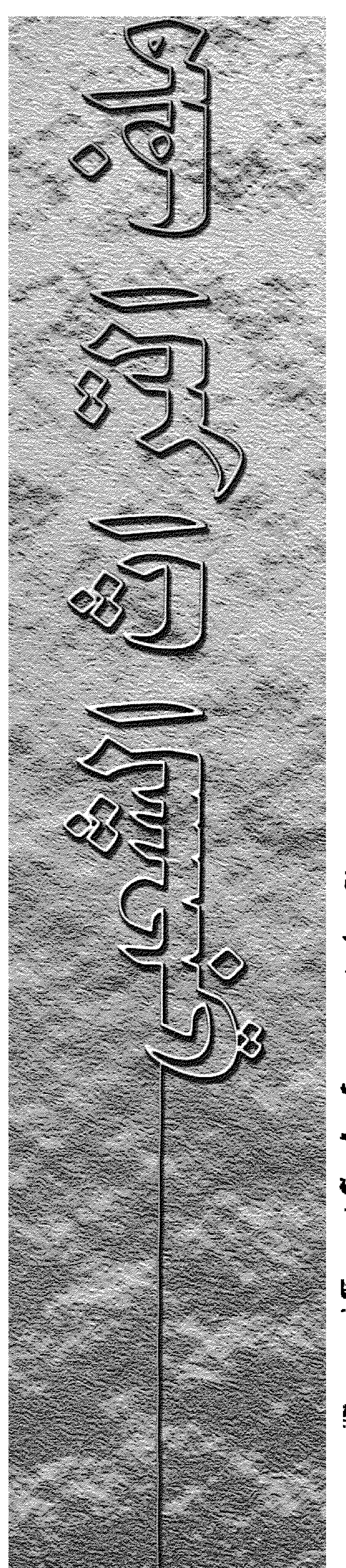
الصورة اليمنى:
لقطة من الداخل في مسجد أبي بكر في شمال لندن

تقليداً بالنسبة لجنرالات الجيوش الإسلامية في الأماكن التي يتم فتحها، وهذا ما حدث في البصرة والكوفة والفسطاط والاسكندرية في مصر، حيث أقام فيها جنرالات الإسلام الفاتحون المساجد في البصرة، وبنى مسجدها الأول عتبة بن غزوان عام ١٤ هجرية، وكان أبو موسى الأشعري أول من بنى مسجداً من حجر الآجر المطبوخ تحت الشمس ووضع عشباً أخضر على سطحه، وبنى سعد بن أبي وقاص مسجداً مماثلاً في الكوفة يستوعب في صحنه حوالي ٤٠ ألف مصلي، طبعاً مساجد لندن لا يمكن مقارنتها من ناحية التشييد والفن المعماري مع المساجد التاريخية التي شيدت في حقب مختلفة في بلاد العرب والمسلمين، ولكنها في النهاية كما تقول فاطمة جيلاني هي مراكز تحقق الغرض الذي بنيت من أجله ألا وهو الجمع بين الناس، وإيجاد الحلول لمشاكلهم بالإضافة إلى العبادة بالطبع. ■

* مصطفى كركوتي نقيب الصحافيين الأجانب في لندن



٦٠ أغسطس
موعد مع التاريخ
القدس
وديعة التاريخ
قلعة حلب



- اربعتيوب في البلاد العربية، موضوع كتبته نازلي الدالي عن عادة الاحتفال بيوم أربعاء أيوب في عدد من الدول العربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، والطريف أن القصص الشعبية في هذه الدول تؤكد: أن سيدنا أيوب عليه السلام تعافى من مرضه فيها.

- جحا العربي.. ونوادره وما كتب عنه، وحقيقته، وجحا في الأدب المقارن، ومجالات أخرى لمقارنة نوادر جحا يكتب لنا عنها كاظم سعد الدين من العراق، استنتج فيه أن نوادره في العربية أقدم منها في المصادر الأخرى، وأنها أصيلة في العربية وليست دخيلة.

- مفردات تراثية: عن الصبر في اللغة، والطب، والتراث، يكتب لنا الدكتور محمد رضوان الداية، ويعدد مصادره وفوائده.

- فيض المشاعر: نتائج مسابقتي الشعر الشعبي والفصيح لشهري يناير وفبراير الماضيين.

«أربعاء أيوب» في البلاد

■ نازلي الدالي

الاحتفال بأربعاء أيوب، ويسمى بالعامية «أربعتيوب» من الاحتفالات الشعبية المتوارثة لدى سكان البحر المتوسط حيث يشترك في ذلك سكان مدن من: مصر وسورية ولبنان وتونس وتركيا، ويكون عادة في يوم أول ليلة أربعاء من شهر أبريل من كل عام، ويتضمن بعض العادات والطقوس والتقاليد التي يمارسها الناس على شاطئ البحر المتوسط تحديداً، وتحاول بعض الأسر أن تجعل منه يوماً جميلاً مطرزاً بأنواع الفرح والمرح، وتتاح فيه الفرصة لمزيد من التعارف بين الناس فتزداد حلقات الوصل والود مما يزيد أواصر الألفة والمحبة بينهم.

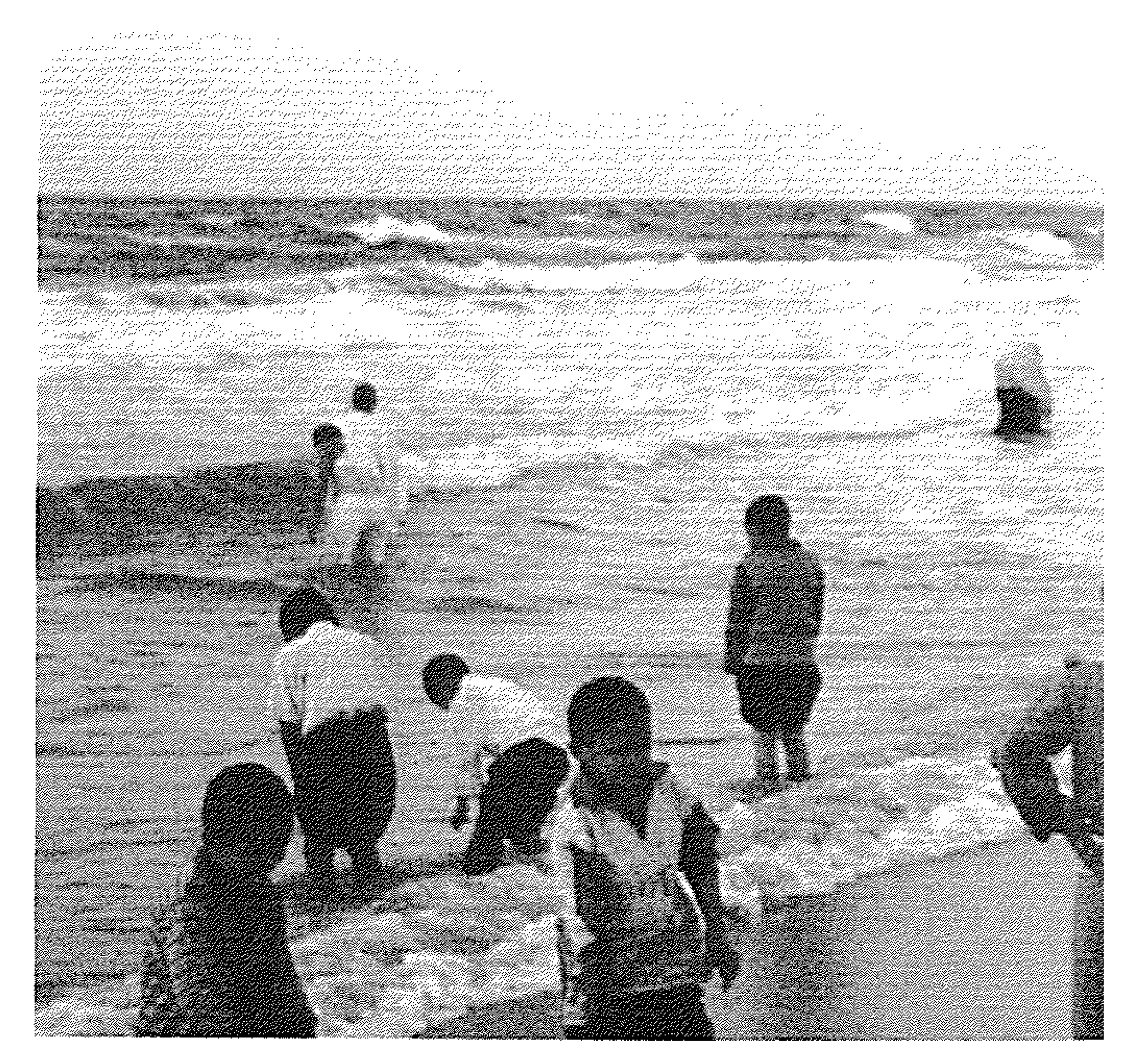


في بيروت بلبنان اقترنت احتفالات «أربعاء أيوب» بقصة سيدنا أيوب عليه السلام، وصبره على بلائه المتواصل في المال والولد والبدن، ثم شفاؤه على شاطئ البحر، فقد كان سيدنا أيوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام عبداً قانتاً لربه كثير العبادة، ذاكراً له فأنعم الله عليه بالمال والولد، فقد كان غنياً ذا مال ومواشي، ويملك أراضيَ واسعة في بلاد الشام، وكان مكرماً للضيوف والسائلين، وحدث أن هلكت مواشيه على كثرتها، فلما علم بذلك حمد الله وصبر، ثم زلزلت الأرض فتهاوت الجدران على أولاده فقتلتهم جميعاً، فحمد الله وصبر، ثم ابتلي كذلك في بدنه بداء الجدري حتى أصبح لا يقدر على حك جلده من كثرة البثور، إلى أن صار ذلك الجسد عظماً يغطيه جلد، ورغم ذلك البلاء وشدته إلا أنه كان دائماً حامداً شاكراً لربه، داعياً ألا يصيب ذلك البلاء لسانه حتى لا يتعطل عن ذكر ربه وشكره، فكان له ما أراد من رب العباد، فاستمر لسانه رطباً بذكر الله. واشتد به المرض حتى عافه الناس جميعاً من أهل وأقارب ومعارف إلا زوجته رضي الله عنها التي كانت وفية محبة مخلصة متفانية في خدمته والسهر على راحته وتمريضه، وتنتقل به من مكان إلى مكان، ومن مدينة إلى مدينة، حتى كان ذلك اليوم الذي ضرب فيه الأرض برجله فانبجست عين ماء اغتسل منها وشرب وبرئ مما أصابه من بلاء في بدنه.

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب. اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب. ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب. وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إنَّا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾. (ص من ٤١-٤٤).

في هذه الآيات يذكر الله تعالى عبده الصابر أيوب عليه السلام وما ابتلاه من ضر ثم شفاؤه، وليقتدي به الناس في صبره على البلاء والمحن: ﴿وبشر الصابرين﴾.

العربيــــة



ينتظرون لحظة الغروب في مدينة العريش المصرية للغطس في البحر

أما سبب تحديد يوم الأربعاء الخاص بهذه المناسبة فما ورد في المأثورات الشعبية اللبنانية أن أيوب عليه السلام عثر في أحد أيام الأربعاء من فصل الربيع في مدة مرضه التي أصيب بها الجذام، على عشبة سميت فيما بعد «بحشيشة أيوب»، فنقعها في الماء زمناً إلى أن تحللت ثم اغتسل بها وبرئ من مرضه. وهذه الأربعاء سميت فيما بعد (أربعتيوب) مما حدا أهل بيروت إلى تمييز هذا اليوم بالخروج إلى شاطئ الرملة البيضاء وميناء الدالية للاغتسال بماء البحر تيمناً بما فعل سيدنا أيوب طلباً للشفاء من الأمراض.

توقيت اربعة ايوب

من الدارج شعبياً في لبنان أن الاحتفال بأربعة أيوب يصادف آخر أربعاء في شهر أبريل «نيسان» وقد روي أنه كانت هناك امرأة من آل العيتاني تسمى «حدرج» كانت توقت لنساء بيروت يوم الأربعاء المذكور، فقد كانت تقرن معرفة ذلك اليوم بمشاهدة السيرج سائلاً من البيوت (زيت السمسم)، وذلك الزيت يدخل في طبخ المفتقة التي تعدها النساء وهي نوع من الحلوى تؤكل في ذلك اليوم خصيصاً «يوم أربعتيوب» وهي تتكون من الأرز والطحينة والسكر والعقدة الصفراء والماء، ويتطلب صنعها جهداً ووقتاً طويلاً لتحريكها كي تنضج، وعلامة نضجها ظهور زيت السمسم على سطحها أي تفتق السمسم، ومن هنا جاء اسم المفتقة.

وتيمناً بشفاء سيدنا أيوب بالغسل في الماء البارد والدعك بحشيشة أيوب، كان أهل بيروت يصنعون تلك الحلوى التي تحتوي على العقدة الصفراء «عشبة نبات الكركم الأصفر» والذي يحتوي بدوره على نسبة عالية من الزيت ومادة العصفورين الملونة، والنبات فاتح للشهية، ومدر للبول، مساعد للهضم حيث يأكل البيروتيون مالذ وطاب من الأطعمة الدسمة في ذلك اليوم الذي يعتبر عيداً بالنسبة لهم.

كما استعمل الفراعنة المغلي من نباته لعلاج الاستسقاء، ووصف أطباء العرب المغلي من أزهاره لعلاج الكبد والطحال.

عادات أربعة أيوب

يبدأ الاستعداد بالاحتفال بأربعة أيوب قبل أسبوع من ذلك اليوم حيث يقوم الشباب بتحديد الأماكن المناسبة على شاطئ البحر لضرب الخيام وإعداد طائرات الورق الملونة للتسلية وتمضية الوقت حتى يحين موعد الغطس في البحر عند الغروب.

وعند فجر الأربعاء تنطلق مواكب النساء والأولاد من الأحياء كافة إلى شاطئ البحر على ظهور الخيل والحناطير، وهم يصفقون ويغنون. كما تكون الشرطة أعدت عدتها لتوفير الأمن والنظام.

ويمضي اليوم باللعب والتعارف وتناول وتبادل الأطعمة وشيّ اللحوم، مما يشيع بين الناس جواً من الألفة والمحبة، وتكون المفتقة هي الأكلة الرئيسة والأهم في ذلك اليوم.

وعند الغروب من مساء يوم الأربعاء يبدأ (طقس) الاغتسال، وهو أهم طقوس ذلك اليوم، حيث تتجمع العائلة، ويضرب الشباب حلقة لمنع مرور الغرباء، وتنزل النساء مع غروب الشمس إلى البحر بملابس طويلة فتغطس كل منهن سبع غطسات كي تشفى من الأمراض مثلما فعل سيدنا أيوب، الذي يعتقد أنه غسل جسده بسبع موجات من البحر فشفي من الداء بإذن

الله، ثم ينتهي هذا الاحتفال عند منتصف الليل حيث يعود الناس إلى منازلهم.

أما اللجوء إلى غسل الوجوه بماء نقع الزهور والحشائش فيرجع إلى اعتقاد استعمال سيدنا أيوب لهذه الحشائش في اغتساله بالماء الذي كان حداً فاصلاً بين أمراضه وتحلل جسده، وبين شفائه وتجدد نشاطه، ومن هنا قول العامة «نيسان تحي الإنسان»، أما أكل المفتقة لما تحتويه من سكر فينشط البدن طول اليوم، كما أن مادة الكركم يتعالج به من عدة أمراض مع الاستحمام في مياه البحر في ذلك اليوم.

أربعة أيوب وربيع الشعوب

لم يقتصر الاحتفال بأربعة أيوب على بيروت بل شاركتها دمشق ومصر وتونس وتركيا ولهم في ذلك عادات وتقاليد متوارثة منذ القدم، حيث كان المصريون أيام الفراعنة يستحمون في ذلك اليوم بالماء البارد ويدلكون أجسامهم بنبات يسمى «رعرع أيوب» اقتداء بسيدنا أيوب الذي قيل إنه وجد ذلك النبات على شاطئ البحر، فدلك جسده به فشفاه الله مما أصابه من مرض الجذام والجدري، ومن المعلوم عند عامة المصريين أن كلمة رعرع هي تحريف لكلمة عرعر ذلك النبات القديم الذي عرَّفه المصريون الفراعنة باسم (قرقر) وهو نبات مقدس لديهم، ثم حرف الاسم إلى كلمة «ورور» باللهجة الصعيدية المصرية حيث كانوا ينعقون أوراق الورور في الماء ويغتسلون به يوم الأربعاء، إذ أنه من كان يشتكي أوجاعاً يوصف له بنقع ذلك النبات مع بعض أوراق البقلة أو أي أعشاب خضراء أخرى مساء الثلاثاء، والاغتسال بهذا الماء مع تدليك الجسد به، بعد غروب شمس الأربعاء، ثم ينتشر الماء والاعشاب في مفترق الطريق معتقدين بتفرق المرض وزواله، وسمي ذلك الماء (بالنُشْرَة)، وقد وصف داوود الانطاكي نبات العرعر البري أنه مُر يميل إلى الحلاوة، يتداوى به من السعال المزمن وأوجاع الصدر وضعف المعدة وبرد الكلى، ويقاوم السموم ويشد البدن.

ومن الدارج في مصر أن أربعة أيوب تقع الأربعاء الذي يسبق يوم شم النسيم حيث يخرج الناس إلى الحدائق وقد اشتهر شم النسيم بأكل الفسيخ والبصل، والبيض المسلوق الملون، وقد اندثرت عادة الاحتفال بيوم أربعة أيوب في مصر، إلا مدينة واحدة هي مدينة العريش حيث ورد في ملحمة أيوب والتي تذاع في الإذاعة المصرية، بين فينة وأخرى، أن سيدنا أيوب عندما مرض وانتقلت به زوجته من مكان إلى مكان طلباً للرزق، وصلت إلى شاطئ مدينة العريش حيث استحم بماء بحر العريش فشفاه الله من مرضه، وتوارث أبناء المدينة عادة الاحتفال بأربعة أيوب كل عام حيث يخرجون إلى البحر حاملين معهم كل أنواع الطعام الجاهز والمعد للشواء، يقضون يوماً كاملاً يستمتعون فيه باللعب وأكل المشويات وشرب الشاي المعد على نار الحطب والتي تكسبه مذاقاً جميلاً، ويمتاز شاطئ بحر العريش بكثرة أشجار النخيل على طول ساحله مما يوفر للزوار مظلات طبيعية جميلة.

وعندما يأتي موعد غروب الشمس يندفع رواد الشاطئ إلى مياه البحر داعين الله بالشفاء من كل داء حيث يحرصون على تتالي سبع موجات على أجسادهم تيمناً بسيدنا أيوب عليه السلام، الذي تقول الملحمة الإذاعية المصرية (ليس لها سند علمي): إن ناعسة.. زوجة سيدنا أيوب.. لما اشتد به المرض.. واشتدت بها الفاقة.. حملته في قفة وطافت به حتى استقر بها المقام في العريش.. وتركته ذات مرة قرب الشاطئ، وذهبت تبحث عن الرزق.. ولما عادت وجدت القفة وقد لعبت بهاالأمواج فظنت أن سيدنا أيوب قد ابتلعه البحر.. فجزعت وذهبت تبحث عنه على الشاطئ.. ولقيت رجلاً سألته عنه.. فقال لها إنه أيوب وقد شفاه الله وعافاه عندما اغتسل بماء البحر.. ومن هنا جاءت عادة النزول إلى البحر عند الغروب والاغتسال بسبع موجات في أربعاء أيوب بالعريش.

في دمشق وتونس وتركيا

أما في دمشق فكانت النساء يخرجن جماعات يوم أربعة المرتعشة، كما يسميها الدمشقيون، وهي آخر أربعاء تسبق عيد الفصح وآخر أربعاء من شهر آذار (مارس) عند البعض الآخر، حتى أصبح الاعتقاد أن التي تبقى في البيت منهن في ذلك اليوم تتعرض للأمراض والصداع طيلة السنة. إضافة إلى الإصابة بالرعشة وهو مرض.

أما في تونس فقد روي عن دينار أن كل التونسيين كانوا يحتفلون بيوم في شهر أيار «مايو» لم يسمه، يخرجون فيه إلى مكان يسمى الوردة حيث يمرحون ويلعبون طيلة اليوم.

أما في تركيا فقد كان النظام التربوي التركي يقرر يوم عطلة يسمى «يوم الربيع» وهو أحد أيام تزهير المشمش فيخرج التلاميذ فيه في نزهة جماعية حول المدينة.■

جحا العربي وانتشاره في العالم

تشيع الفكاهة في بيئة مفعمة بالرخاء والترف والاستقرار والقوة والتمتع بالحياة، ولابد من توافر الذكاء والفطنة في صياغتها وفهمها لدى اثنين: قائلها وسامعها.

قد تكون الفكاهة عميقة وقد تكون سطحية، وتقدير ذلك وتذوقه يدل على رقي أهلها. ومن الفكاهة: السخرية والمزاح والهزء والتهكم والهزل والنكتة والهجاء وحسن الجواب والدعابة والنادرة. ولكل نوع من هذه الأنواع أسبابه النفسية والاجتماعية والسياسية وبيئته التي يشيع فيها، تهمنا النادرة في موضوعنا هذا لتعلقها بجحا. والنادرة خبر قصير يشبه الحكاية المرحة أو المضحكة. ولعل جحا أقدم من نسبت إليه النوادر وشاعت على الألسن وانتشرت بين الناس، ثم دوّن كثير منها في كتب في أزمنة قديمة. وعلى الرغم من أن آداب العالم تزخر بالفكاهة بأنواعها المختلفة غير أننا إذا تحرينا أمرها وجدناها حديثة التكوين لديهم لا ترقى إلى عراقة ما دوّن منها في كتب العرب بهذه الكثرة والغزارة، فهي تسبق ما لدى تلك الأمم بقرون وتفوقها كماً. هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن ما دوّن في الكتب هو انتقاء متخير مما كان يدور على ألسنة الناس، مما يفصح عن رقيهم الحضاري العريق. بل إنك تجد جوانب ممتعة من السخرية والفكاهة والنوادر في أدب وادي الرافدين القديم المدوّن بالمسمارية.

النوادر العربية والتراث

يزخر التراث العربي بالنوادر، منها ما ينسب إلى أفراد معينين بأسمائهم، ومنها ما ينسب إلى فئات من الناس. وممن اشتهر به نعيمان وعبد الله بن عتيق الصحابيان، ثم أشعب وأبو دلامة وأبو صدقة والأقيشر وابن سيابة ومطيع بن إياس وحمزة بن بيض وأبو العيناء وأبو نواس والبهلول ومزيد المديني وجحا وغيرهم، وهم شخصيات واقعية اشتهرت بالكفاهة والظُرف وحفلت بأخبارهم كتب الأدب. وتنسب نوادر إلى فئات من الناس منهم القرويون والقضاة والمتنبئون والمغفلون والحمقى، وتنسب أيضاً إلى نوادر النساء والجواري والطفيليين والشحاذين وغيرهم.

كتب النوادر التراثية

لو استثنينا كتب التراث العربي التي تحفل بالنوادر وألقينا نظرة في كتاب الفهرست لابن النديم (ت٣٨٥هـ)، لوجدنا عشرات الكتب الخاصة بالنوادر المؤلفة في زمانه وقبله التي كانت تزخر بها المكتبات التي رآها ابن النديم وسجل كتبها. فيذكر أسماء قوم من المغفلين الذين ألفت في نوادرهم الكتب التي لا يعلم من ألفها، وأولها كتاب نوادر جحا، ثم كتاب نوادر أبي ضمضم، وابن أحمر، وسورة الأعرابي، وابن الموصلي، وأبي يعقوب، وأبي عبيدة الخزمي، وأبي علقمة. ولم يكن من المستغرب أن تجد في قائمة كتب العلماء والفقهاء كتاباً أو أكثر باسم (كتاب النوادر) و(كتاب الظرفاء) وغير ذلك من هذا القبيل، مما يدل على قدم هذا النوع من الفكاهة وانتشاره حتى بلغ الأمر حد تأليف الكتب الكثيرة فيها، وهذا يدل أيضاً على أنها أمر أصيل، غير دخيل، ولا منتحل من أمم أخرى، ما دامت تسجل نوادر أصحابها في كتب خاصة بهم أو ضمن مجموعات من النوادر.



أقدم من ذكر جحا، الجاحظ (ت٢٢٥هـ/ ٨٦٨م) في كتاب (القول في البغال)، وذكر ابن النديم (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) في الفهرست في قائمة بأسماء قوم من المغفلين ألف في نوادرهم. ثم ذكره إسماعيل بن حماد الجوهري في الصحاح (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)، وأبو سعيد منصور بن حسن الآبي (ت٤٢٣هـ/ ١٠٣٠م) في كتابه المخطوط (نشر الدرر في المحاضرات)،

والميداني (٥١٨هـ/ ١١٢٤م) في مجمع الأمثال، وعبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) في كتاب (أخبار الحمقى والمغفلين)، والذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٦م) في (ميزان الاعتدال في نقد رجال الحديث، وابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) في (عيون التواريخ)، وكمال الدين الدميري (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م) في (حياة الحيوان الكبرى). وابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م) في (ثمرات الأوراق)، وابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) في (لسان الميزان)، والزبيدي (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) في (تاج العروس).

من هو جحا ؟

لعل جحا واحد من أقدم من نسبت إليه النوادر، ودوّن كثير منها في كتب، وقد ذكرت كتب التاريخ العربي أن جحا محدث وصاحب نوادر وأن اسمه دجين أبو الغصن بن ثابت الفزاري البصري. نزل الكوفة وعاش مائة عام وأنه توفي سنة (١٦٠هـ/ ٧٧٦م) أي أنه ولد سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م) ولا ريب أن نوادره اختلطت بنوادر غيره من ذوي الفكاهة في الكتب أو على ألسنة الرواة.

نوادره

جرت دراسة نوادر جحا من نواح متعددة. فمن الدراسات الأجنبية ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية، وما كتبه رينيه باسيه، وهارتمن، وأفاسيليكي، وهونز كرايمسكي، وكرستنسن، ومن الدارسين العرب عبد الستار أحمد فراج، وأنيس فيرحة وعبد الحميد يونس، وعباس محمود العقاد، ومحمد رجب النجار.

وتمتاز دراسة عبد الستار أحمد فراج (أخبار جحا) ١٩٥٤ بأنها أول دراسة عربية. وله الفضل في تتبع شخصية جحا تاريخياً وتطورها من حقيقة واقعة إلى رمز فني عام لدى الشعب العربي، وتتبع نوادره في مضامينها العربية الكثيرة. واستقصى ما نسب إلى جحا العربي من كتب التراث (١٩٦) نادرة تسبق نوادر الخوجة نصر الدين الرومي الذي برأي عبد الستار فراج ظهر في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) أو الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي). ثم استقصى نوادر جحا التي لم يصادفها في مصادر عربية قديمة وعددها ٢١٥ نادرة بل وجدها شائعة في البلاد العربية. ووجد ١٧ نادرة نسبت للرمز التركي نصر الدين خوجة، وألفى ٧ نوادر اعتمدت المصطلحات التركية فيكون مجموع النوادر هذه ٢٤٠ نادرة بطلها جحا مذكور فيها صراحة باسمه. فعلى هذا يكون مجموع النوادر الكلي أكثر من ٤٠٠ نادرة.

وقد درس عبد الستار فراج شخصية نصر الدين الرومي ووقف على التناقضات التاريخية في كثير من النوادر التي تنسب إليه. واختلاط نوادر جحا وغيره من ذوي الفكاهة العرب بنوادر نصر الدين التي ترجمها حكمة شريف من التركية إلى العربية من كتاب (لطائف خوجة نصر الدين).

وقد كان عدد النوادر التركية ٧٦ في سنة ١٦٢٥ وأصبحت ١٢٥ في سنة ١٨٣٧ حتى بلغت في الطبعات الحديثة ٥٥٥، منها ٤٠٠ سجلها عبد الستار فراج باسم جحا.

أما دراسة عباس محمود العقاد (جحا الضاحك المضحك) فتستند كلياً إلى كتاب (أخبار جحا) لعبد الستار أحمد فراج دون الإشارة إلى ذلك.

أما دراسة د. محمد رجب النجار الموسومة بـ(جحا العربي) فتستند إلى كتاب (أخبار جحا) لعبد الستار أحمد فراج، وتعيد تنظيم نوادره تنظيماً على وفق

جحا كما تخيله رسّام إنجليزي

التطبيقات والمناهج الحديثة. وقد عالج النجار دراسته من ثلاث نواح:

١) الناحية التاريخية، كما فعل عبد الستار فراج.

٢) الناحية الموضوعية، أي دراسة موضوع فلسفة النموذج الجحوي في ضوء نوادره، ويدين النجار بذلك إلى د. عبد الحميد يونس.

٣) الناحية الفنية، ويعالج فيها الشكل الفني للنادرة الجحوية وقد درس النجار المصادر التي عنيت بنصر الدين خوجة أو الخوجا نصر الدين، ورجّح أن جحا الروم (نصر الدين) عاش بين الثلث الأخير من القرن الرابع عشر والثلث الأول من القرن الخامس عشر الميلادي، ثم درس مسألة تداخل نوادر الشخصيتين العربية والتركية.

جحا في الأدب المقارن

لم تدرس نوادر جحا دراسة مقارنة شاملة وانتقالها إلى مختلف بقاع العالم سوى ما مر بنا من اضطلاع الأستاذ عبد الستار أحمد فراج بمقارنة نوادر جحا العربي بنوادر جحا الرومي - نصر الدين - لقد انتشرت نوادر جحا في العالم الإسلامي، واختلطت نوادره بنوادر غيره، ومنهم صنوه ملا نصر الدين لدى الفرس، وخوجة نصر الدين أو نصر الدين خوجة ونصر الدين أفندي لدى الترك، ويدعوه المحدثون جحا الروم لأنه ينسب إلى السلطان علاء الدين السلجوقي آخر سلاطين الروم السلاجقة. ووصل جحا حيثما وصل العرب واختلطوا بشعوب أخرى فهو لدى البربر (سي جحا)، ويعرفه أهل نيجيريا باسم جحا، أما أهل مالطة فيطلقون عليه اسم (جهان)، وفي صقلية يلفظ (جيوفه وجيوشا) وفي الحبشة (ارها).

انتشرت نوادر جحا شفوياً بطرق متعددة، منها التجارة والحروب والحج والمجاورة بين شعبين، وتحريرياً بالاطلاع على الكتب العربية في النوادر أو ترجمتها. وكان للنسخة التركية من النوادر أثر كبير في انتشارها إلى بقاع كثيرة من العالم. فقد تيسرت نسخة تركية من نوادره لدى الأوروبيين عند نشر المخطوطة التي وجدت في لندن سنة ١٦٢٥م، فوصلت مترجمة إلى رومانيا وبلغاريا واليونان وألبانيا ويوغسلافيا والصرب وأرمينيا وروسيا وقفقاسيا وجورجيا وأوكرانيا وتركستان وكثر من القوميات في الصين كالمغول والتتر والسالانيين والقرغيز والويغور والقوقاز والتاجيك والأوزبك والهوي وغيرها من القوميات التي تدين بالإسلام، ولغاتها من أرومة تركية.

مجالات أخرى لمقارنة نوادر جحا

أصبحت النوادر العربية التي تنسب مرة إلى جحا وإلى أبي نواس وحتى المتنبي ونصر الدين وغيرهم مرات أخرى بهذا الشكل رمزاً فنياً لهذا النوع من الفكاهة المنتشرة في الأصقاع التي مرّ ذكرها، ولا بد للدارس أن تتوافر النوادر لديه بتلك اللغات أو بلغة يعرفها لكي يتسنى له إجراء المقارنة بينها وهذا أمر يستحيل على فرد واحد أن يقوم به.

وقد تيسر لي أن أجريت مقارنة نوادر جحا في المجالات الآتية بما توافر لديّ من مصادر عربية وإنكليزية: النوادر العربية، النوادر التركية، الصينية، الهندية، الحبشية، السواحلية، الأوروبية، الإسبانية، الفرنسية، الإيطالية، الألمانية، اليونانية.

فاستنتجت: أن نوادر جحا أقدم من نوادر نظائره تاريخياً، وأنها أصيلة غير دخيلة في العربية، ولا منتحلة من أمم أخرى، ولكن كثيراً من نوادره أضيفت إليه من نوادر غيره من ذوي الفكاهة العرب. وأن النوادر العربية قليلة الجزئيات وهي مما يصلح للإلقاء الشفوي. وأن كثيراً من النوادر غير العربية النظيرة لنوادر جحا تطورت الصغية الفنية فيها من النادرة الشفوية إلى النوع الأدبي المدون فأضحت أقرب إلى الحكاية المرحة منها إلى النادرة أو النكتة، وذلك دليل على أن النوادر العربية هي الأصل الذي أخذت عنه النوادر الأجنبية التي أضيفت إليها زيادات يمكن الاستغناء عنها. وتكاد تكون نوادر الأفندي نصر الدين الصينية ترجمة حرفية لـ(نوادر جحا الكبرى) في الكتاب المعروف. وكذلك النوادر الهندية الشبيهة بنوادر جحا ترجمة من مصادر فارسية معروفة بنوادر ملا نصر الدين. أما النوادر الحبشية والسواحلية فهي منقولة من النوادر العربية. وكثير منها ينسب إلى أبي نواس وبعضها إلى المتنبي، فتأمل! ■

كاظم سعد الدين - العراق

المصادر:

١) أخبار جحا. عبد الستار أحمد فراج.

٢) نوادر جحا الكبرى. حكمت شريف.

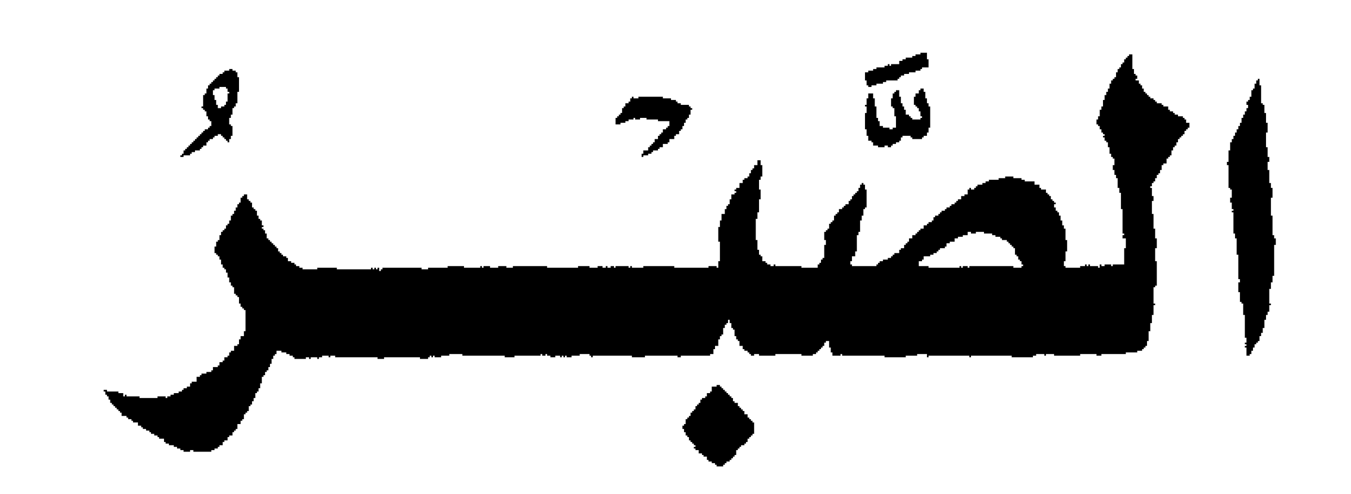
٣) جحا العربي. د. محمد رجب النجار.

4- The Frog Rider, Folk Tales From China.

5- The Golden Earth, Ethiopian Tales.

6- Myths and Legends of the Sawahili, Jan Knapnert.

7- Asepo's Fables, Tr. by G. R. Townsend.



الصَّبْرُ

■ محمد رضوان الداية

كلمة الصَّبر تقع اسماً لنوع من النبات، وتُطلق أيضاً على عصارته المُرّة. وهي لهذا المعنى بكسر الباء، ويجوز أن تسكّن أيضاً. وشاعت في اللهجات الدارجة، وفي العربية الفصيحة بسكون الباء.

وقد وردت في الشعر العربي بكسر الباء على الأصل كقول الشاعر:

لا تحسب المجدَ تمراً أنت آكلُه
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصَّبِرا

كما وردت بسكون الباء في قول الراجز:

أمَرُّ من صَبْرٍ
ومَقْرٍ وحُضَضْ

وهي جميعاً شديدة المرارة.

وهكذا قالوا في هذا النّبات وفي عُصارته، وما يُستخرج منها الصَّبِر بكسر الباء والصبْر بسكون الباء. واللهجات الدارجة في البلاد العربية جمعياً لا يوردونها إلا ساكنه الباء.

(١)

والصَّبْر من المفردات التراثية المشهورة قديماً وحديثاً وقد ارتبطت بمقاصد طبيّة علاجية في الطبّ الشعبي من جهة، وفي استعمالات الطبّ الحديث من جهة ثانية.

ودخلت كلمة الصّبر في التراث الشعبي الأدبي والاجتماعي انتقالاً من التراث الفصيح أولاً، وتطويراً في إطار المأثور الشعبي من جهة ثانية.

ونقرأ في كُتب اللغة، وكتب المُفردات النباتية، والمأثورات الطبيّة والعلاجيّة:

ـ في اللسان: الصَّبْرُ: عُصارة شجرٍ مُرّ، واحدته صَبِرَة، وجَمْعُه صُبور، ومنه قول الفرزق

يا ابن الخليّة إنّ حَرْبي مُرّةٌ
فيها مَذاقة حنظل وصُبورُ

ـ وقال أبو حنيفة الدينوري: اللّغوي والنباتي المشهور هو نبات الصّبر كنبات السّوسن الأخضر، غير أنّ ورق الصّبر أطول وأعْرَضُ وأثخَنُ كثيراً. وهو كثير الماء جداً.

ـ وقال اللّيث: الصبرُ عصارةُ شجرةٍ ورقُها كقُرُب السكاكين طوالٌ غِلاظٌ في خُضرتها غُبرة وكمُدة (ما يسمّى أخضر يابس)، مقشعرة المنظر، ينظر من وسطها ساق عليه نوَرٌ (زهر) أصفر، ثَمِهُ الرّيح (فيه شيءٌ من الزُّهومة الرائحة المنتنة).

ـ وفي صحاح الجَوْهري: الصّبر هذا الدواء المُرّ.

ـ وقال أبو عبيد في كتاب اللبن: المُمَقّر والمُصَبّر: الشديد الحموضة إلى المرارة. قال أبو حاتم: اشتقّا من الصبر والمقر وهما مُرّان.

(٢)

وفي معجم النبات: الصّبر نبات أو عُصَارة نبات أو شجر مُرّ، شبيه بنبات السوسن الأخضر إلا أنه أكثر ورقاً وأكثف كثيراً.

وورقه كقُرب السكاكين طوال غلاظ (قُرب: جمع قراب وهو الغلاف الذي توضع فيه السّكين حتى لا تؤذي، وشكل الغلاف كشكل السكّين تقريباً). قال في معجم النبات عن الصبر: وفي خُضرته غبْرة وكمدة مقشعر المنظر، وهو كثير الماء جداً. يخرج من وسطه ساقٌ عليه نَوْرُ أصفر ثَمِهُ الرّيح كريهُها. ويؤخَذُ ذلك الورق فيقدح في المعاصر، وتُسَيّل عُصَارته إلى حباب مُجَيَّرة وتُقَرّ (يُنتظر عليها) حتى تمتن (تُصبح متينة متماسكة) ثم تُجعل (توضع) في الجُرُب (جمع جراب. وعاء من نسيج أو جلد أو غيره). وأجودُ الصَّبر ما كان بالجزيرة التي تُسمى سُقُطرى، وهي قريبة من سواحل اليمن.

ويقال لنبات الصبر: المقر، وتسمّى شجرتُه العَلَسيَ أيضاً. والواحدة منه صَبِرة.

(٣)

وفي المعاجم النباتية الحديثة إضافةٌ إلى ما ورد في المعاجم التراثية فالصبر. واحد من أهمّ الأدوية الخام في التاريخ، وما يزال يُستعمل على نطاق واسع في الطب الحديث. وهو معروف لدى الإغريق على الأقلّ منذ أوائل القرن الرابع قبل الميلاد.. وفي القرن العاشر الميلادي دوّن الرحالة المسلمون أن سقطرى كانت ـ ما تزال ـ المكان الوحيد لزراعة الصّبر.

وهناك أماكن أخرى يجلب منها الصّبر، فإن تُجّار الأدوية من لندن طرحوا للتداول نباتات الصبر عام ١٦٩٣ من كوراسا وأوباربادس، وجلب من الكايب سنة ١٧٨٠.

وقيل في وصفه وزراعته إنه نبات برّي، ويُزرع لأغراض تجاريّة في جنُوب وشرق إفريقية، وقد تم توطين أنواع من الصبر في شمال إفريقية وإسبانية وإندونيسيا وجزر الكاريبي. ويربّى الصّبر أيضاً باعتباره نباتاً منزلياً من نباتات الزينة.

ولهذا النّبات تأثيرٌ على المِعى الغليظ، وهو يعود بشكل رئيس للتأثر المُسهل في عددٍ من مكوّناته.

وفي استعمالاته أن المادة الصُّلبة المتبلّرة البنيّة اللون والتي تنتج عن تجفيف العُصارة المستخرجة من الأوراق هي مادّة مُسهلة، وتستعمل بالتشارد مع طاردات الأرياح اتقاءً من المغص، كما تستعمل العصارة الطازجة منه لشفاء الحروق.

. و وردت في الموسوعة المصغّرة تحت اسم الألوة ALOE الأجنبي وهو الصّبر. قال وهو من الفصيلة الزّنبقية ينمو في المناطق الحارة وبخاصة في إفريقية، ذو زهر أحمر أو أصفر. وورق عريض مستدق الأطراف. أنواعه كثيرة تبلغ نحواً من مائتي نوع. أشهرها الألوة الحقيقيّة التي يُستخرج منها عصارة مُرّة تتخذ مسهلاً.

(٤)

وسُقطرى التي ذكرت أكثر من مرّة هي جزيرة في المحيط الهندي تقع إلى الجنوب الشرقي من اليمن. وهي جزء من الأراضي العربية اليمنية مساحتها نحو ٣١٠٠ كيلو متر مربع وعاصمتها تمريدة. وأهم منتجاتها التّمور والتبغ والمُرّ واللبان.

وذكرها ياقوت في مُعجمه فقال يُجلب منها الصّبر، ودم الأخوين (صمغ)، وقال إنهم يسمّون الصبر القاطر، وهو نوعان. وروي أن أرسطاطاليس كتب إلى الإسكندر حين سار إلى الشام في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها، وأرسل إليه جماعة من اليونانيّين لأجل الصّبر القاطر.

وقال الهمداني مؤرخ اليمن: سُقُطرى إليها يُنْسَبُ الصبر السُّقطري، وبها الصبر الكثير.

(٥)

والصَّبر من الأدوية الشائعة الاستعمال في المعالجات الشعبية ومن طرائف استعماله أن بعض النساء يضعن القليل منه على الثدي عند الرغبة في فطام الولد.

وكلمة الصّبر من المُفردات التي يُضْرَبُ بها المَثل في المرارة في كلا اللّغة الفصيحة والتّراث الشعبي. فقالوا أمرّ من الصَّبر، وقالوا: مرّ مثل الصَّبر.

وما يزالون في الشّام يصفون الشيء المُرّ، والشيء المالح الشّديد المُلوحة بأنه صبر صُطري (هكذا) وصوابها صبر سُقُطري، نسبة إلى سقطرى المذكورة آنفاً.

(٦)

وقد اجتمع في التراث الشعبي العربي، وفي الأدب الفصيح الجمع بين الصبر ذلك النبات ذي العصارة والمنتجات الشديدة المرارة، وبين الصبر الذي هو تحمّل المشاق ومقاساة الصّعاب والآلام دون شكوى. وقد استرسل هذا الاستعمال ونمّى صُوَراً أدبية وتغلغل في مقاصدَ نفسيّة، ومَعانٍ إنسانية.

والموّال المصري - على سبيل المثال البارز - يزخر بالكلام على الصّبر، ويدورُ حول معاني احتمال المشاقّ والصعاب بصبر وصمت عسى أن تكون العاقبةُ خيراً، ومعاني الجمعِ بين الصبر وبين المرارة أو المرارة الشديدة.

وظاهر أنهم يجمعون بين مَرارة حقيقية هي مرارة نبات الصّبر الذي وصفته المراجع المختصة قديماً وحديثاً بالمرارة الشديدة القاسية أيضاً. ومرارة معنوية قد تكون أشدّ قسوة، وهي احتمال ما تجري به المقادير دون شكوى ودون تذمّر، ودون خروج عن آداب الدّيانة، وتقاليد خيار النّاس وأصفيائهم.

وكَثُر ذلك في أمثالهم وأقوالهم وحكاياتهم. وفي أغانيهم وأهازيجهم، وفي أحاديثهم وخطبهم، وفي أزجالهم وأشعارهم.

واستَظْهَرُوا بما في آيات الكتاب الكريم، والحديث النبوي من الدعوة إلى الصَّبر، والاحتساب.

وتحدّثُوا عن عواقب الصّبر، مُستفيدين من القيم الإسلامية فقد كان الجاهليّون أشدّ عُنجهية وكانوا لا يعدّون الصّبر خُلقاً رضيّاً.

. ومن هنا كثر الكلام: «الصّبر طيب» و«إن الله مع الصابرين» و«من صبر ظفر»..

وفي الأمثال العامية، والأمثال الفصيحة أعداد كثيرة تتحدّث عن الصبر أو تصف عواقبه، أو تشجّع عليه، أو تربطه بالمرارة المأخوذة من كلمة الصّبر المشابهة لها في اللفظ والحروف.

وأصل معنى الصّبر في اللغة العربية الحبس، والإكراه.

. ومما قالت العرب «صَبْراً وإن كان قَتْراً» أي اصْبِرْ ولو كان الصبرُ مع شدّة المعيشة وعُسر أمور الحياة.

وروي في المثل «صبراً وإن كان قبْراً» وهو يقال عند الشدائد والمشاق والمصاعب.

. ومن الطريف أنهم يقولون في العامية: «ما بعد الصبر إلا القبر» وذلك عند اليأس، ونفاد الصبر

. وقالت العرب: «صبر ساعة أطول للرّاحة».

ويُشبهه في الدّارج «وجع ساعة ولا كلّ ساعة» أي احتمال وجع مؤقّت (كالعملية الجراحية مثلاً) خير من تحمل الألم الطويل المديد. فهو صبرٌ يؤدّي إلى راحة.

(٨)

وفي الفصيح والشعبي معاً ألفاظ أخرى تشابه الصَّبر في المرارة واحتمالها مثل: العَلْقَم والحَنْظل والكينا.

ودارت الأغاني أحياناً على الاستفادة من هذه المفردات فقالوا في بعضها «حُبّك مرّ مثل الكينا» وما تزال إحدى الأغنيات حيّة في السّماع والتَّرْدَاد، وقد مضى من عمرها أكثر من نصف قرن تقول: «يا عطارين دلوني الصّبر فين أراضيه» وفي الكلام تورية بين صبر النبات المُرّ، والصّبر على المشقات وفيه مرارة معنوية أيضاً. ■

نتائج مسابقتي الشعر الشعبي والفصيح لشهري يناير وفبراير

أعلنت اللجنة المشكلة لتقويم القصائد المشاركة في مسابقات الشعر.. نتائج مسابقتي الشعر الشعبي والفصيح لشهري يناير وفبراير الماضيين.

وقد رأت اللجنة حجب جوائز مسابقة الشعر الشعبي لشهر يناير.. أما مسابقة الشعر الفصيح لشهر فبراير فكانت نتائجها كالتالي:

- الجائزة الأولى - مكرر (أ): قصيدة: **مكتبة لم تكن للبيع**، للشاعر **محمود محمد سليمان**، العراق - نينوى.. وقدرها ثلاثة آلاف وخمسمائة درهم.

- الجائزة الأولى - مكرر (ب): قصيدة: **الراحلة**، للشاعرة **أصايل**، الإمارات - العين.. وقدرها ثلاثة آلاف وخمسمائة درهم.

- الجائزة الثانية - مكرر (أ): قصيدة: **من وحي الهجرة**، للشاعر **منجي فراج سرحان**، مصر - القاهرة.. وقدرها ألفان وخمسمائة درهم.

- الجائزة الثانية - مكرر (ب): قصيدة: **حروف الضياء**، للشاعر **أحمد محمود مبارك**، مصر - الإسكندرية.. وقدرها ألفان وخمسمائة درهم.

- الجائزة الثالثة - مكرر (أ): قصيدة: **بحر المكارم**، للشاعر **طاهر سلمان طاهر**، الإمارات - عجمان.. وقدرها ألف وخمسمائة درهم.

- الجائزة الثالثة - مكرر (ب): قصيدة: **لا بد للحق أن ينتصر**، للشاعر **عادل فرج عبد العال**، مصر - القليوبية.. وقدرها ألف وخمسمائة درهم.

وفيما يلي استعراض للقصائد الفائزة:

فبراير - الأولى مكرر (أ) مكتبة لم تكن للبيع، شعر: محمود محمد سليمان - العراق - نينوى

أي مدى وصلت لوعة الشاعر وأسفه؟ وكيف غدا الكون ضيقاً في عينيه بحجم انقباض ضلوعه؟! فحدا به أن يقول:

«أنا ميتٌ في عين نفسي إنما
أنا في حساب الله حيٌّ أرزق»!

إنه تعب الترحال وضياع الدروب حين يبحث الشاعر عن الوطن فلا يجده!

مكتبةٌ لم تكن للبيع

قَلَقٌ بأوراقي.. وصمتيَ أقْلَقُ ... أنا زورقٌ في اللانهايةِ يَغْرَقُ
وحدي وما في الأفقِ أي بشارةٍ ... أو في السماءِ ولَوْ غُرابٌ يَنْعَقُ
قلبي حنيفيٌّ وجوعي كافرٌ ... وسحائبي حُمْرٌ وجُرْحيَ أزْرَقُ
وأضالعي اشتبكتْ فضقت بها وَلَمْ ... أعلَمْ بأنَّ الكونَ منها أضْيَقُ
لَمْ أتخذْ كفني بيومٍ رايةً ... بيضاءَ ترجو الريحَ وهيَ تُصَفِّقُ
من موسويٍّ كفُّهُ مسلولةٌ ... السامريُّ بغير أرض مُشْفِقُ
أنا ميتٌ في عين نفسي إنما ... انا في حساب الله حيٌّ أُرْزَقُ
ما في المقابر مثل قبري واسعٌ ... أو في المنازلِ مثل داريَ ضيِّقُ
أُعْفِيتُ من شطر الفرائض مثلما ... قد أُعفيَ السّودانُ حتى يُعْتَقُوا

* * * * * *

أَكَفَرْتُ إذ أحببتُ سُمرةَ نخلةٍ ... رُوحي ببعضِ عروقها تتدفَّقُ
وفراشتي حمقاءُ أتلفها السَّنا ... كَيَّاً وما زالتْ عليهِ تُحَلِّقُ
أنا عامريُّ القلبِ عُذْريُّ الهوى ... إنْ لم أمُتْ عشقاً فمنْ ذا يَعْشَقُ
ولقد تعوَّدْتُ الجراح لو انني ... فَارَقْتُها فَارَقْتُها أتَحَرَّقُ
ضيَّعتُ مكتبتي لأحفظ مرغماً ... رَمَقاً يكادُ بقَعْرِ حلقيَ يُزْهَقُ
فَدَبتُ أطفالي بها ولربما ... فَدَى الحَصيفُ بميّتيهِ ومَنْ بَقُوا
وأكلتُ آبائي رغيفاً يابساً ... وشربْتُ سُمّاري دواءً يُمْذَقُ
وتُقَبِّلُ العَرَباتُ كل وجوههم ... وأُداسُ مُلْقىً تَحْتَهُنَّ وأُسْحَقُ
ما حَفَّفَ الغادون وطْأهُمُ على ... قلبي الذيْ بِفراقِهمْ يَتمَزَّقُ
هذا أبو تمام يبكي فُرقتي ... وأبو المُحَسَّد مُسْتَفَزٌّ مُحْنِقُ
وأبو العلاء جَرَرْتُهُ من حَبْسِهِ ... فَمُصَاً على عَاري الصِّغارِ تُفَرِّقُ
لو كنتُ في زمنِ أهل وقاحة ... ما لَطَّمَتْني الطُّرْقُ وهْو يُحَدِّقُ

* * * * * *

تَعِبَتْ براحلتي الدروبُ ولم أجدْ ... وَطَناً يحنُّ كما أحِنُّ وأصْدُقُ
ظمآنُ أرمقُ في الوجوهِ سحابةً ... لَوْ شامَها العبّاس لا تَترَقْرَقُ
عيناايَ جفَّ الوَدْقُ في غُدرانها ... فَتشَقَّقَتْ أو قاربتْ تَتشَقَّقُ
والشعرُ في عصرِ الوحوش بضاعةٌ ... كالحُبُّ مُزْجَاةٌ وليستْ تُنْفَقُ
فَاشْرَبْ دموعي يَابْنَ عمي إنَنيْ ... قدْ صِرْتُ من جوعي بها أَتَرَزَّقُ
إني لأعجبُ كيف يسعدُ عاقلٌ ... وَالخَلْقُ والملكوتُ حُزْنٌ مُطْلَقُ

حين يوضع الإنسان في موضع اختيار - فإنه يجد نفسه في موقف صعب.. والأصعب أن يكون الاختيار بين عزته أو البقاء بذل مع من هو عزيزٌ عليه..
ترى ماذا اختارت أصايل؟

الراحلة

حسناً سأرحلُ عن رياضِكَ امتطي ... فرسَ الكرامةِ قاصداً صحرائي
حسناً سأجمعُ كل أوراقِ الهوى ... وألُمُّ ما بعثرتَ من أشلائي
فأصايلُ النجمُ الذي عاشَ الأسى ... لا ينتمي لسلالةِ الجبناءِ
أنتَ الذي خيّرتَني بين الهوى ... أو أن أُراعي عِزتي وإبائي
فاخترتُ أن أحيا أصايلَ عزةٍ ... سُحقاً لحبٍ يستبيحُ حيائي

* * * * * *

دعني أجففُ بالرحيل مدامعي ... ما عاد يُجدي فيه طرفُ ردائي
إني سمعتُ هوايَ يصرخُ طالباً ... أن انتهي من قصتي الحمقاءِ
ذوبتُ فيها كلَّ أحلامِ الهوى ... فَحَسِبْتُها دفئاً لبردِ شتائي
لكنها كانت خريفاً بارداً ... متقلبَ الأحوالِ والأنواءِ

* * * * * *

ما زلتُ أذكرُ حين جئتُكَ أبتغي ... سُقيا الهوى في الصخرةِ الصماءِ
فرأيتُ فيكَ جفافَ حُبٍّ قاحلٍ ... واحتلَّ بردٌ عارمٌ أرجائي
إني حسبتُ الصخر يزهرُ عندما ... أرويهِ حُباً من مَعينِ وفائي
لكنها كانت ظنوني خيبةً ... فرحلتُ أنشدُ في الرحيلِ عزائي

* * * * * *

إني عقدتُ مطيتي لرحيلها ... نفسي الأبيةُ لا تطيقُ بقائي
وإذا شكا قلبي يريدُ تمهلاً ... أو ساندَتْهُ بشوقها أجزائي
فلسوفَ أمضي رافضاً ذلَّ الهوى ... لا للتمهلِ في سبيلِ إبائي
من قالَ إني قد أريقُ كرامتي!! ... من قالَ إني قد أعودُ ورائي
لو كانَ حبُّكَ في عروقي جارياً ... واللّهِ إني ما قبلتُ دمائي
قسماً سأهدرُها وأمضي شامخاً ... لا لن أنوحَ كعادةِ الشعراء

تمر نفحات عبقة مع تجدد ذكرى الهجرة النبوية المباركة.. فيستقي الشاعر من وحيها الأنوار والأشعار..

من وحي الهجرة

يا قلبُ ما عَصَفَتْ بكَ الأنواءُ ... هَجَرَتْكَ عَبْلَةُ أو قَلَتْ أسْمَاءُ
صَغَّرْتَ حَدّاً للحسانِ ولم يعدْ ... يُغريك لحظٌ قاتِلٌ سَبَّاءُ
أقلاكَ شوقٌ فالْتفَتَّ مُوَدِّعاً ... وَجَفَتْ قديمَ رفاقِها الأحْشَاءُ
فأجابني والصمتُ هيَّابُ المدى ... والنبضِ شوقٌ والدموعُ رجاءُ
أُهْدِيتُ درباً للسلامِ وللهُدَى ... وَبِحُبِّ أحمدَ يشرفُ الشُّرفاءُ
شَرُفَتْ بهِ الأيامُ حينَ أعاشها ... سُبُلَ الهُدى فَاسْتَحْزَتِ الظَّلْمَاءُ
وَبِهِ اسْتَعَزَّ الكونُ بعد هَوَانِهِ ... وَأَضَاءَهُ مِنْ نُورِهِ لأْلاَءُ

* * * * * *

بكِ يا محمدُ أشْرَقَتْ أُمُّ القُرى ... وَاضَّوَّأتْ مِنْ خطْوِكَ البَطْحَاءُ
جَاهَدْتَ تُعلي للحقوقِ صروحَها ... مَا رَدَّ عَزْمَكَ في المدى إيذاءُ
وَغرسْتَ في قلبِ الوجودِ سماحةً ... هيَ للقلوبِ الظامئاتِ رِوَاءُ
حتَّى أتاكَ الأمرُ مِنْ عليائِهِ ... وَحَنَتْ عليك - على الودادِ - سماءُ
يَمَّمْتَ يثربَ والسيوفُ جميعُها ... عينٌ أباحَ جُفُونَهَا الإغْفَاءُ

* * * * * *

صَلَّى عليكَ اللَّهُ يا علمَ الهدى ... وملائِكُ الرحمنِ والأمناءُ
آخَيْتَ بينَ القومِ بعد تَطَاحُنٍ ... فَحَوَاهُمُو بَعْدَ الشَّتَاتِ لِواءُ
لا فرقَ بينَ فقيرِهِمْ وغنيِّهِمْ ... بتفاضلٍ فالمؤمنونَ سَواءُ
يا أيها المبعوثُ نوراً هادياً ... بك نَسْتجيرُ تُظِلُّنا البَأْسَاءُ
جَهِلَتْ مطايانا النِّزالَ ولم تَعُدْ ... لِنُفُوسِنا وَسُيُوفِنا العلياءُ
المسلمونَ تَنَاحَروا وتقاتلوا ... وتقطَّعَتْ أرحامُهُمْ وتَنَاءَوا
فإذا التقاربُ والأخوةُ جَفْوَةٌ ... وإذا التخاطبُ سُبَّةٌ وهِجَاءُ
مَنْ ذا يعيدُ صليلَ بدرٍ للمدى ... فتعودُ راياتُ الهدى العَصْمَاءُ
ضاعتْ على الدَّربِ المعالمُ والخُطا ... وَتَنَاثَرَتْ مِثْلَ المنى الأشلاءُ
لا النورُ نُورٌ في العيونِ ولا القَذَى ... لا اليأسُ يَأْسٌ لا الرجاء رجاء
المسجدُ الأقصى ينوحُ توجُّعاً ... طالتْ على أزمانِهِ الظَّلْمَاءف
كَمْ شَعَّ في صَوْتِ المُؤَذِّنِ دَمْعُهُ ... صُمٌّ نُلاقِيهِ.. وَضِيعَ نداءُ
كُنَّا نُعِزُّ الأرضَ بعد هوانِهَا ... ويدُ الجماعةِ عِزَّةٌ وبِنَاءُ
كَمْ ذُلَّ جبارٌ بوجهِ سُيُوفِنا ... وَحَنَى الجبينَ لأَمْرِنَا الأُمَرَاءُ
صَارَتْ مَصَائِرُنَا بِكَفِّ عَدُوِّنَا ... وَتَقَاسَمَتْ أسلابَنَا الغَوْغَاءُ
الليلُ يَحْكِمُ قَيْدَهُ وسُيُوفُنَا ... لِصُدُورِنَا مَحْمُومَةٌ هَوْجَاءُ
كُنَّا نسوسُ الناسَ واعجباً لنا ... عُدْنَا نُسَاسُ وَمَالَنَا شُفَعَاءُ

فبراير - الثانية ـ مكرر (ب) حروف الضياء، شعر: أحمد محمود مبارك ـ مصر ـ الإسكندرية

في زمن التغريب ومزاعم الظلال.. تظهر دُمى تتحرك بأيدٍ خفية تستهل الأدب وتذبح الشعر المزيف.. لتنشر غثاءها.. لكن الذائقة الشعرية العربية تبقى دائماً سداً ضد ذلك التشويه لترده وتفضح زيفه.

حـــروف الضياء

أَطْلِقِ الشِّعْرَ أحرفاً من ضياء — مستنيرَ الرؤى بوحي السماءِ

أطلقِ الشعر تختفي حين تُلقى — بعصاه قصائدُ الأدعياءِ

وأزحْ بالبيان لغواً تفشّى — مثلما الغيم في عيونِ الصفاءِ

حاصرتْنا قصائدٌ معتماتٌ — دبّجَتْها قريحةُ الظلماءِ

ودمى في مسارح الفكر تهذي — حركتها أصابعٌ في الخفاءِ

في بحار التغريب ضاعت عقولٌ — ضلّلَتْها مزاعمٌ الخبثاءِ

أطلِقِ الشعر في العبابِ شراعاً — لا يُبالي بالموج والأنواءِ

عُدْ بها حيث مرفأٌ عربيٌّ — وانتشلْها إلى شطوط النَّجَاءِ

ها هيَ الضّادُ حولها شرُّ كَيْدٍ — بيديه أسنّةُ البغضاءِ

والتراثُ المجيدُ قد حاصرتْهُ — بدهاءٍ جحافلُ الضرّاءِ

افْتدِ الضّادَ إنها لغة القرْ — آنِ من كلّ هجمةٍ واعتداءِ

وادْفَعِ الضرَّ عن تراثك واكشفْ — ما يحيكونه له في الخفاءِ

قد تعالى في ساحة الحرف قولٌ — يتباهى باللُّكْنةِ الشوهاءِ

يدَّعي أنه يريد جديداً — وإساراً من ربقةِ القدماءِ

وجديدُ الدَّعِيِّ غثٌّ قميٌّ — وخليقٌ بجفوةٍ وازدراءِ

فَصَلوه عن رفْدِ أصلٍ كريمٍ — وجذورٍ تمدّه بالنماءِ

فبدا شائه الملامح هشاً — في أكفِّ العواصفِ الهوجاءِ

أَطْلِقِ الشعر يا يراعاً أصيلاً — بالجديد الجدير بالاحتذاءِ

من جذور التراث يسمو كريماً — لا يُعاني مذلةَ اللقطاءِ

ويبث الرواءَ إن أمْحَلَ الروضُ — ويثري آدابنا بالنماءِ

إنما الشعر للعروبة فخرٌ — هو ديوانها ثريُّ العطاءِ

كم تغنّى بمجد أسلافنا الغرّ — وكان النشيدُ حُلْوَ الرّواءِ

ضمّ في صدره التراثَ مصوناً — لم يدعْهُ مهدّداً بالفناءِ

نشر الفنّ والعلومَ قروناً — وأضاء الحياة بالحكماءِ

بث روحَ الأخلاق والطهرِ في الناسِ — وأعلى مكانةَ الشعراءِ

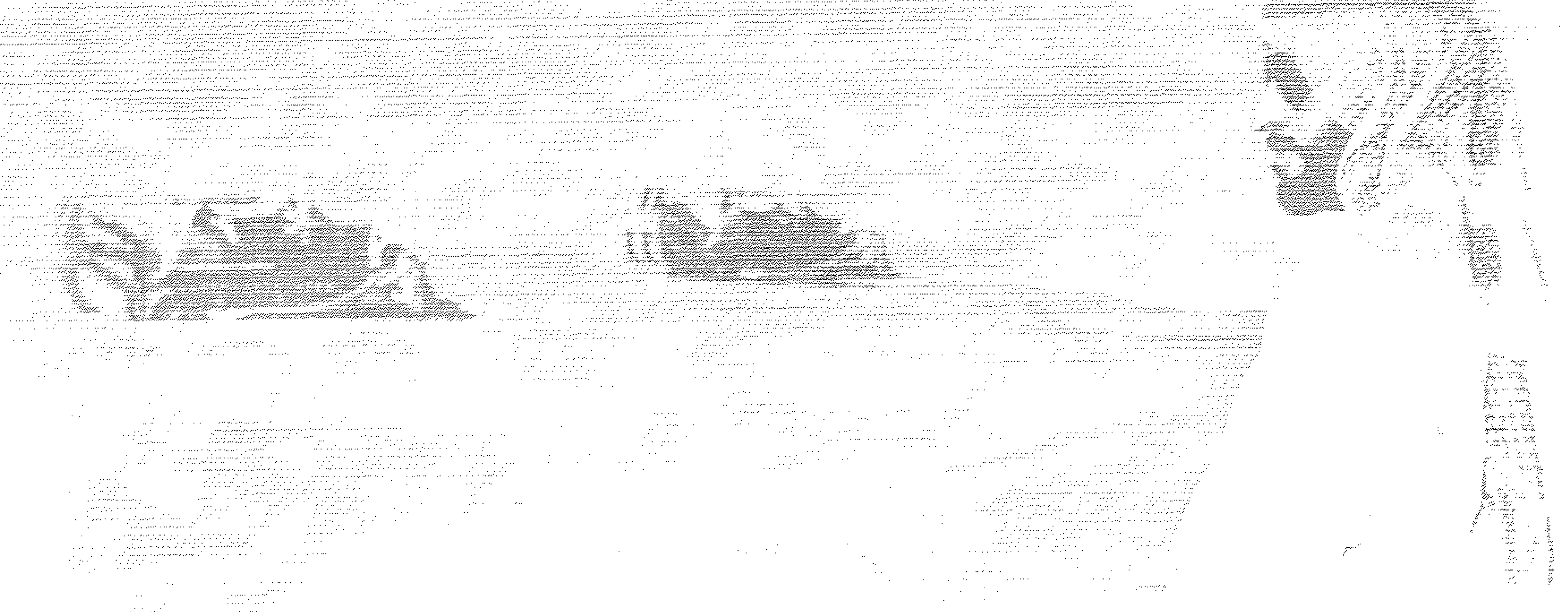
بُرْدَةٌ من يد الرسول لكعبٍ — دَثَّرَتْهُ بهالة من ضياءِ

إيه حسانُ كَمْ زهوتَ بقولٍ — من نبيِّ الإسلام حلو الثناءِ

كان أقسى من النبال قصيدٌ — منك يُردي جحافل الأعداءِ

إننا نحتذي سبيلك دوماً — بقصيدٍ مؤجَّجٍ بالفداءِ

شعرنا من سنا العقيدة يُسْقَى — ثم تسمو فروعه للعلاءِ



بحر من الكرم والجود يغمر أرض الوطن ويمتد إلى أرجاء الأرض.. وتتألق الإمارات مزدانة وضّاءة يوماً إثر يوم وتنبض القلوب دائماً بحب زايد..

بحـــرُ المكـــارِم

يـا واحـداً بينَ الـرجـالِ فـريـدٌ ... يـحـلـو بِكَ الإكبارُ والتمجيدُ

تمشي الثُريا والشموسُ مهابةً ... في رَكبِ مجدِكَ والـزمـانُ سـعـيدُ

يـا زايـداً زان الـوجـودَ بـهـاؤُهُ ... فـإذا الصـحـاري بـهـجـةٌ وورودُ

سِـر واثـقـاً أنتَ الحكيم زمـانـهُ ... بِـكَ فَـخـرُنـا والمكرُماتُ شهودُ

يـا من به نجلو عذاباتِ الأسى ... في كِـلّ يـومٍ مـن زمـانِـكَ عِـيـدُ

بـحـرُ المكـارمِ من يديكَ مَسيرُهُ ... وحـنـانُ قـلـبكَ لـلـخُلودِ خُلودُ

هـذي الإمـاراتُ ازدهتْ مُزدانةً ... ألـقـاً ونـبـضـاتُ القلوبِ نشيدُ

يا شاعرَ الإحساسِ كم أسمعتنا ... شِعراً يصوغُ من الجديد جَديدُ

غنّتْ لك الصحراءُ في صَبواتِها ... والـطيرُ في دوحِ الـهـوى غِـرِّيـدُ

مـهـمـا أقولُ فإنّ وصفيَ عـاجِـزٌ ... عـن كُـلّ مـا يـرقـى إلـيكَ بَـعـيدُ

يـا زايـدَ الخيراتِ خَيْرُكَ غـامـرٌ ... كـالـبَحـرِ مالَكَ في الـعطاءِ حُدودُ

الـفِـكـرُ أنتَ ومـا تـقـولُ دَليلُنا ... والـرأيُ رأيُكَ في الحياةِ سَديدُ

يـرعـاكَ ربـي سـؤدداً لـبـلادِنـا ... ويُـطِـيـلُ عُـمْـرَكَ سـيدي ويزيدُ

فراير - الثالثة - مكرر (ب) لا بد للحق أن ينتصر، شعر: عادل فرج عبد العال - مصر - القليوبية

.. برغم الجراح والرياح والقذائف والقاذفات وكل وسائل الإبادة.. سيبقى الشعب خالداً صامداً ليعطي الدروس والعبر في ملاحم البطولة والصمود.

لا بد للحق أن ينتصر

برغم الجراح، وعصف الرياح ... برغم الحقوق.. برغم العبرْ
برغم القذائف، والقاذفات ... وسيل الدماء الذي ينهمرْ
برغم الدمار.. برغم الحصار ... برغم المجازر في كل برْ
أنا الشعب.. باقٍ بقاء الوجود ... بقاء الخلود.. بقاء البشرْ
أنا الريح.. تعصف بالغاصبين ... وتجتث أدران ماضٍ غبرْ
أنا النور.. يخشع وجه الظلام ... ويبعث في الكون فجراً أغرْ
فمن كل وادٍ تهب الجموع ... من السهل والتل والمنحدرْ
من الليل من عتمات القبور ... من النارِ والغضبِ المستعرْ
تفيض الجموع لتعطي الدروس ... وتُحيي النفوس وتُزكي العبرْ
وتغرس في كل شبرٍ شهيداً ... وتصنع في كل يوم قدرْ
فجيل الحجارة.. جيل الإرادة ... جيل الملاحم.. جيل الظفر
ليعلم من يدّعون السلام ... وروح السلام بهم تحتضر
بأن دماء الشعوب منار ... تضيء السبيل لمن في الأثر
فتحت الرماد يضج الجحيم ... وخلف الغيوم يطير الشرر
فما زالت الشمس فوق الغيوم ... ولا زالت الأرض تعطي الثمر
ومهما تبدل وجه الزمان ... فلا بد للحق أن ينتصر

هذا الميدان يا حميدان

تواصل تراث طرح مسابقة الشعر الشعبي والفصيح بالتبادل شهريا .. وشهر إبريل هو شهر الشعر الفصيح.

المسابقة هدفها دائما تنشيط القريحة... والتنافس في ميدان برع فيه العرب... وتألق فيه أجدادنا ولأننا على خطى أجدادنا نسير.. فإن **تراث** تتمنى لو أحيت سوق عكاظ من جديد على صفحاتها.. للتنافس في الإبداع من خلال النظم والصورة والفكرة والمضمون.

تراث في مسابقاتها لا تفرض عنواناً .. وإنما تترك الساحة للشعراء كي يختاروا الميدان الذي يرغبون فيه.. ليبدعوا ويتنافسوا.

مسابقة الشعر الفصيح لشهر إبريل جوائزها:

- المركز الأول: ٧٠٠٠ درهم
- المركز الثاني: ٥٠٠٠ درهم
- المركز الثالث: ٣٠٠٠ درهم

وكالعادة .. المسابقة مفتوحة للجميع .. اكتب قصيدتك واقدح قريحتك وسطر أبياتك .. وأرسلها لنا على عنوان أو فاكس المجلة فقد تكون من المبدعين.

الشرط الوحيد الذي وضعناه: أن تكون القصيدة جديدة.. وآخر موعد لتلقي المشاركات هو آخر شهر إبريل ٢٠٠٢م.

اكتب اسمك وعنوانك ورقم هاتفك واسم القصيدة في ورقة منفصلة .. واكتب على المغلف: (مسابقة شهر إبريل للشعر الفصيح). ترسل القصائد مطبوعة على الآلة الكاتبة أو الكمبيوتر. ونعتذر عن عدم قبول أية قصيدة لا تلتزم بذلك.

عنوان المجلة



ص.ب: ٢٧٧٦٥ - أبوظبي، أو على فاكس المجلة: ٤٤٣٠٨٨١ / ٠٢

وهذا الميدان يا حميدان ... وسلمتوا

ملاحظة: لا يحق للفائزين المشاركة في المسابقات مرة أخرى، وسيتم الاتصال بالمرشحين للفوز لمناقشتهم حول قصائدهم المشاركة.



تعقيباً على «مرامس»

«المرأة البدينة في التراث العربي»

طالعت «تراث» العدد ٣٧ ديسمبر ٢٠٠١م ولفت انتباهي مقال الأستاذ/ عبد العزيز المسلم – مرامس – تحت عنوان – زين – حيث جاء به المثل الشعري.

زيـــن المتن في الــــغـــــايــــــة
وإلا الـــبــــــاجــــــي وريم
يـــــا لـــــيت مـــن شــــروا هــــي
يـــــتـــــفـــــقــــــد في الحريم

ومعناه أن الامتلاء من السمنة في بعض أنحاء الجسم يكون من ملامح الحسن مما أثار لدي فكرة هذا التعقيب:

كانت نظرة القرن العشرين للمرأة الجميلة أن تكون نحيلة ومهزولة ومسطحة الصدر، وكانت عارضات الأزياء يمثلن النموذج الأعلى للجمال، وكان اختيارهن يتم من النساء الطويلات النحيلات بصورة ملحوظة، وكانت نظرة الأوروبي إلى الجمال أن المرأة الجميلة هي النحيلة حتى اجتمع في لندن رؤساء تحرير مجلات الأزياء العالمية واتفقوا على التوقف عن الترويج للعارضات النحيلات، وقد عقد الاجتماع تحت رعاية الحكومة البريطانية لوقف الاتجاه المدمر إلى النحافة بين العارضات، والذي تسير على دربه معظم النساء، لذا يمكن القول إن المرأة الممتلئة ستعود إلى عرش الجمال والذي أجلتها عنه المرأة النحيلة، وقديما كان الشاعر العربي يرى الجمال في المرأة الممتلئة التي تسير كالهودج يقول الشاعر:

غــراء فــرعــاء مصــقــول عــوارضــهــا
تمشي الهوينا كما يمشي الوحي الوجل

ولن ينسى للتراث العربي أنه أتاح للهوى العذري الظهور، وجعل المرأة ركناً من أهم أركان هذا الحب حيث أوجدها وأتاح لها الظهور في مكان المحبوبة، في حين لا مكان لها في بعض تراث الأمم الأخرى، كاليونان والرومان، إلا دورها في الإنجاب والمحافظة على النوع البشري.

وبداية القول: إن الجمال من خلال الصورة الخارجية أمر نسبي وإدراكه يختلف باختلاف الشعور، وتقول اللغة في تعريف الإنسان الجميل: إنه هو «الذي يحرك قلبك حسنه» ولكن قلب من؟ لذا فإن الجمال يتوقف على نظرة الناظر إليه.

ومع ذلك فحسب ما يبدو لي وفي الأعم الأغلب أن البدانة والاكتناز في المرأة ما هي إلا مؤشرات صحية وعواملها هامة يميل الرجل إليها.

تقول العرب: « الجميلة هي السمينة » من الجميل وهو الشحم، والجميلة هي التي تأخذ بصرك جملة، والمرأة الجميلة في نظر العرب – هي المرأة الطويلة البيضاء البدينة– سوداء الشعر والعينين، رقيقة الرائحة، طيبة الملمس، ثقيلة الخطو والحركة، حيث إن البدينة سمة من سمات الخصوبة في المرأة وشرط من الشروط الأساسية التي وضعها العرب، والتي يجب أن تتوفر في المرأة حتى تقوم بوظيفتها على أكمل وجه.

والبدانة في المرأة من أهم مقاييس الجمال العربي، فقد كانت المرأة العبلاء هي المرأة الجميلة – والعبلاء هي من كان أعلاها خفيفاً وأسفلها كثيباً – وكانوا يتعوذون بالله من المرأة النحيفة الزلاء (خفيفة الشحم): «أعوذ بالله من زلاء ضاوية كأن ثوبيها علقا على عود».

جاء في الروض العاطر في نزهة الخاطر - للقاضي النفراوي - «النساء منهن محمود ومنهن مذموم، أما المحمود فهي المرأة خصيبة اللحم غليظة الأفخاذ والأوراك ذات أرداف ثقال».

والمرأة البدينة خلدها الشعر وجعل لها صوراً محببة إلى النفس، فأطلق عليها خرساء الأساور. حيث كان العرب يرون في البدانة الجمال، ويصفون المرأة البدينة الجميلة بخرساء الأساور، حيث تمتد هذه البدانة إلى الرسغ فتمنع ارتطام الأساور فتصبح خرساء، يقول عمر بن أبي ربيعة:

إذا نهضن تعثرن من ثقل أردافهن
خلا خيلهن صوامت لسمن سوقهن

سوقهن جمع (ساق) فهو يراها صامتة الخلخال لأنها شبعى الساق. والبدينة الجميلة هي التي كما تقول العرب. « رمجلة» إذا كانت المرأة ضخمة في تعود وعلى اعتدال، أما إذا زادت ضخامتها ولم تقبح، فهي كذلك مقبولة تسمى عنئذ مسجله، فإذا كانت السمنة ممتلئة الذراعين والساقين فهي - خد لجة-، وكل هذا مقبول عند العرب، أما ما زاد عن ذلك فيخرجونها من هذا السياق كقولهم - مرماده - إذا كانت المرأة سمينة ترتج من سمنها.

وكانت أرداف المرأة هي المقياس الوحيد لجمالها، وكانت المرأة ينتابها الرعب إذا اكتشفت أن أردافها ليست بالحجم المطلوب فكانت تلجأ للقثاء مع الرطب حتى يزداد وزنها، فبقدر ما ينقص من المرأة وهو في طريقه إلى النحافه بقدر ما يأخذ معه في نفس الطريق قسطا - متوردا - من الجمال والعافية والجاذبية.

يقول الشاعر العربي يصف حبيبته البدينة:

وما كمه يضيق الباب عنها
وكشحا قد جننت به جنونا

أما الأعشى فقد فاق الجميع وأفرط في هذا أيما إفراط حيث يقول:

غراء فرعاء مصقول عوارضها
تمشي الهوينا كما يمشي الوحي الوجل
كأن مشيتها من بيت جارتها
مر السحابة لا ريث ولا عجل

فقد وصفها بالضخامة، ولكنه ذكر إفراطاً، وقد قيل في التعليق على البيت الثاني للأعشى والتثني في مشية المرأة أحسن ما فيها.

وهذا هو الأحوص يقول

من المدمجات اللحم جدلا كأنها
عنان صاع أنعمت أن تجودا

والمرأة البدينة تمتاز بالرعونة والليونة وطيب الملمس، لذا قال هشام بن عبد الملك عن ميمونة جاريته وكانت بدينه: «لو أن رجلاً ابتلع ميمونة ما اعترض في حلقه منها شيء للينها».

وقد قيل في بدينة.

إذا مشت نحو بيت جارتها
خلت من الرمل خلفها حقف
يرتج من مرطها مؤزرها
وفوقه غصن بانة قصف

ويستحب في المرأة البدينة أن تكون بدينة - رعبوبة - أي بدينة بيضاء البشرة حتى يتم حسنها حيث إن البياض آية الملاحة والجمال، وحتى الذين تغنوا بالقوام المشوق (والخصر النحيل) لم يستطيعوا الفرار من بدانة ما يرغبون أن يروه بدينا في المرأة. فالعيون إذا كانت ترنو إلى البدانة فمن أمثلتها ما قاله الشاعر:

أعجبت منك.. بكل جارحة
وخصصت منك جفونك الوطفا
ملء العيون هما، وخيرها..
ما يملأ العينين والكف

بقي أن نذكر أن المرأة البدينة هي الأكثر مرحا وصبرا وخفة ظل كما أكدت الدراسات التحليلية، كما أن الدهن هو الغلاف لمعظم أعضاء جسم المرأة وخلاياها، والدهن أيضا عازل جيد للوقاية من البرودة كما أكدت ذلك الدراسات الطبية. ولا خوف على المرأة في البدانة من أمراض السمنة التي تصيب الرجال، فقد ثبت تشريحياً أن معدة المرأة أكبر حجماً، وأنها تحرق الأكسجين أسرع من الرجال، وتزيد نسبة الماء في دمها، وتقل نسبة كرات الدم الحمراء مما يجعلها أقل عرضة لأمراض السمنة إن كانت سمينة، ومن المعروف أن المرأة تبتسم ٨٩٪ من وقتها بينما هو يبتسم ٦٧٪ مما يجعلها أكثر سعادة وراحة بال.■

صلاح عبد الستارمحمد الشهاوي

الرفق بالحيوان فكراً وتراثاً

الرفق بالحيوان مبدأ عريق من مبادئ ديننا الحنيف، وقد أرست قواعد شريعتنا السمحة هذا المبدأ فكراً وتطبيقاً. قال رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[1].

وقال ﷺ: «في كل ذات كبد رطبة أجر». وذكر أن رجلاً أدخله الله الجنة بسبب إحسانه إلى كلب رآه يلهث في الصحراء عطشاً، فنزل البئر وروى الكلب بخفه (حذائه) فشكر الله له.

ونهى رسول الله ﷺ أن نحمل على الدابة فوق طاقتها، كما نهى عن لعنها وضربها، أو كيها على وجهها (الوسم). أقول حتى عند ذبح الدابة أمرنا رسول الله ﷺ أن نفعل ذلك بسرعة، فلا نعذبها، فنشحذ السكين أمامها أو نذبحها أمام ذبيحة أخرى، فقال: «وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[2].

وهذا راوية الإسلام، الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي، يدخل التاريخ من أوسع أبوابه تحت اسم (أبي هريرة) من أجل قطة صغيرة، وجدها مشردة فأطعمها وأحسن إليها، وسوف نذكر - من خلال السطور التالية - صدى هذه القيم في الموروث الشعبي، ذلك أن التراث مرآة الفكر والتصور لدى الأمم.

مجير الجراد

هو لقب أبي حنبل واسمه (جارية بن مرة الطائي)، وقع الجراد حول بيته، فجاء الناس ينتهبونه لسد مجاعتهم، فقال لهم: ماذا تفعلون؟

قالوا عن طريق المداعبة: نأخذ جارك.

فقال: والله لن تصلوا إليه مادمتم سميتموه جاري، وأخذ رمحه ومنعهم من أخذه، فسُمِّي مجير الجراد.

وافتخر بعض أقاربه بهذه المنقبة قائلاً:

ومنّا ابنُ مُرٍّ أبو حنبل
أجار عن الناس رَجْلَ الجراد

ويروى أن (مدلج بن سويد الطائي) قد حمل هذا اللقب أيضاً، للسبب نفسه، وأنعم به من لقب[3].

الرفق بالحيوانات المفترسة

وهذا الفرزدق يرفق بأشرس الحيوانات وأشدها عداوة للإنسان، فهو يجير ذئباً دخل في جواره فقاسمه الطعام، وقال[4]:

وأطلس عسال وما كان صاحباً
دعوت بنار موهناً فأتاني
فبت أقد الزاد بيني وبينه
على ضوء نار مرة ودخان

إلى أن يقول

وإنّا لترعى الوحش آمنة بنا
ويرهبنا إن نغضب الثقلان

وقد سبقه إلى هذا جد رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام، إذ كان يلقب بالفياض، ومطعم طير السماء، والسبب أنه كان يرفع من مائدته بعض الطعام، يضعه في رؤوس الجبال، لتأكل الطير والوحوش البرية منه.

يطلقها زوجها بسبب الرفق بالحيوان

إنها أم جندب زوجة امرئ القيس، احتكم إليها زوجها وعلقمة بن عبدة، فقالت: قولا شعراً تصفان فيه الخيل على روي واحد، فقال زوجها:

خليلي مرا بي على أم جندب
لنقضي حاجات الفؤاد المعذب

وقال علقمة:

ذهبت من الهجران في كل مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب

فقالت لزوجها: علقمة أشعر منك لأنك قلت:

فللسوط ألهوب وللساق درة
وللزجر منه وقع أخرج مهذب

فجهدت فرسك بسوطك، أما هو فيقول:

فأدركهن ثاني من عنانه
يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك طريدته وهو ثان من حنان فرسه لم يضربه بسوط ولا مراه بساق ولا زجره.

لقد كانت المرأة في غاية الشفافية في فهم الرفق بالحيوان، فطلقها متهماً إياها بأنها وامق لعلقمة، وتزوجها علقمة فعلاً، ودفعت الثمن[5].

الرفق بالنمل والهوام

لئن ذكر بعض الرواة والقصاصين صوراً من رفق الزهاد والعباد بهوام الأرض، ليدلل على وسوستهم فإنها صور تنبئ عن مشاعر إنسانية رقيقة.

فبعض العباد كان يضع في قدميه أجراساً صغيرة يعلقها بحلقة تشبه الخلخال، كي تتنبه هوام الأرض

فتفر قبل أن يدوسها بقدميه، استحياءً من قوله تعالى عن سليمان لما مرَّ بقرية النمل: ﴿حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فتبسم ضاحكاً من قولها..﴾ النمل (١٨-١٩).

وشوهد رجل من العرب، في يده قطع من الخبز يكسرها ويلقيها بجانب جدار بيته للنمل، فقيل له: مالك والنمل، والخبز قليل؟ فأجاب: «هن جارات لي ولهن حرمة»[٦].

الرفق بالحصان

رفق العربي بالحصان ومعاملته له هي دائماً معاملة من نوع خاص، فهو فوق كل رفق، إذ يعتبر العربي حصانه فرداً من أفراد عائلته، فلا يسمح لنفسه بضربه أو لعنه أو جوعه، وإذا سافر عليه فإنه يريحه على الطريق، وإذا نزل ضيفاً، اطمأن على طعام حصانه قبل نفسه.

وخير من صوَّر حدبه على حصانه وحاوره هو عنترة بن شداد العبسي في معلقته، إذ يقول عن حصانه[٧]:

مازلت أرميهم بثغرة نحره
ولبانه حتى تسربل بالدم
آسيتُهُ في كل أمرٍ نائباً
هل بعد أسوة صاحب من مذمم
فازورَّ من وقع القنا بلبانه
وشكى إليَّ بعبرة وتحمحم

فقد شارك حصانه في مشاعره وأشفق عليه، رغم أنه في معركة.

وهذا شاعر شعبي يرى جرواً صغيراً، في أحد عَرصات القرية فيتألم لوحدته ويرثي لحاله، فيخاطبه[٨]:

لا تبكي يا جريو
ترى القلب غشيان
واللي جرى لك
من قبل صار بيه
وإن كنت يا جرو
اليوم جوعان
هذه العليقة
وَحدّها جود ميه
نفسي معك يا جريو
ونفسي آخذك للخان
لكن خوفي عليك
من أهل النفوس الرديه
وإن كنت يا جرو من الدهر تعبان
نفسي ألاقي لك أمان وفيه[٩]

الرفق من أجل محبوبته

وهذا شاعر يصطاد ظبياً في حبائله، فلما عاينه وجد شَبهاً بين محبوبته «ليلى» وبين الظبي، فأطلق طريدته رفقاً بها من أجل ذلك، وقال[١٠]:

فعيناك عيناها وجيدك جيدُها
ولكنَّ عظمَ الساق منك دقيقُ
أقول وقد أطلقتها من وثاقها
فأنت لليلى ما حييتُ طليقُ

وختاماً نأمل أن نكون قد وُفِّقنا في إبراز صورة هامة لهذه الأمة، في موضوع ليس بالهين، ألا وهو الرفق بالحيوان، وهو الذي لامس وجدان أمتنا منذ أن أكرمها الله بنور الإسلام، وقد سجّل تاريخنا صفحات من هذا التراث العريق على شكل أنواع من الوقف لصالح الحيوانات، فهناك وقف للحيوانات السائبة، ووقف للقطط والكلاب المعاقة وغيرها. ولئن افتخرت بعض الأمم برعاية حق البقر، أو الكلاب، على حساب حق الإنسان، فيحقُّ لنا أن نفتخر بأمجادٍ مؤثلة متوازنة لا يطغى فيها كائن على آخر ولاحقٌّ على واجب..■

د. محمد فتحي الحريري

الهوامش

١- متفق عليه: ينظر رياض الصالحين للنووي برقم ١٦٠٠
٢- رواه مسلم. وينظر رياض الصالحين برقم ١٦٠٨-١٦١٠
٣- الأغاني لأبي فرج الأصبهاني ٨/٨ ومجمع الأمثال للميداني ١/٢٠٢
٤- ديوان الفرزدق / ٣٠٣
٥- الشعر والشعراء لابن قتيبة / ١٣٠ دار إحياء العلوم - بيروت ١٤٠٤هـ.
٦- خواطر حمار الكونتس دي سيجور / المطبعة العصرية بمصر (ترجمة حسين الجمل)، المقدمة.
٧- شرح المعلقات السبع / مفيد قميحة / ٢٦٥ - دار ومكتبة الهلال.
٨- الشاعر هو «محمد مفرع الحوامدة» من شعراء النبط في حوران / سوريا توفي ١٩٨٩م.
٩- من مفردات هذا الشعر النبطي:
جريو: مصغر «جرو» للتحبب.
صار بيه: أي صار لي وجرى مثله معي
العليقة: حافظة الطعام أو حاملته (الخرج)
جود ميه: قربة ماء
نفسي أخذك للخان: بودي أن أذهب بك للخان
نفسي ألاقي لك أمان وفيه: بودي أن أجد لك مكاناً آمنا ظليلاً
١٠- ينسب الشعر لمجنون ليلى، ينظر: تزيين الأسواق في أحوال العشاق للأنطاكي (طبعة قديمة) ٧٨.



الكتاب والتراث

خلفان علي مصبّح المهيري*

منذ البدء كانت الكلمة، وهي التي ميَّزت الإنسان عن سائر المخلوقات، وجاءت الرسالات السماوية لتؤكّد الشرائع الدينية. وتنظّم حياة الإنسان الاجتماعية، فانتقلت مشافهة، ثم ما لبثت أن اتخذت شكلاً من أساليب الكتابة البدائية المختلفة، كالنحت على الحجارة، أو الحفر على المعادن، والرسم على الأواني الفخارية، وهذا ما نشاهده في الآثار القديمة عبر مختلف العصور والحضارات، (فرعونية، هندية، فينيقية، ما وراء النهرين..) والتي تحفل بها المتاحف في سائر دول العالم.

وحيث أن الأمة العربية قد حظيت باهتمامها البالغ للشعر الذي أرّخ سجلها الحضاري، وعرَّف بأيامها ومعاركها وقبائلها وشخصياتها، فقد بدأ بالرواية وانتقل بعضه إلى الكتابة، مثل المعلّقات التي كانت تعلق على جدار الكعبة المشرفة، إلى أن تمَّ في عهد عثمان بن عفان جمع القرآن الكريم، ثم اشتهر البعض في التابعين برواية الحديث الشريف، وما إن أطل العصر الأموي حتى هلّت بواكير التدوين إبّان خلافة عبد الملك بن مروان، وفي عهد الدولة العباسية آنذاك، حيث بلغ ازدهار الأدب ذروة سنامه، وبدأت حركة ترجمة العلوم، وخاصة في بيت الحكمة إبّان عهد الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون، وبذلك انتشرت صناعة الورّاقين والنسّاخين، لأن مكافأة الكتاب كانت تساوي وزنه ذهباً.

وإذا كانت سمات معالم الموروثات الاجتماعية تتغير وتتبدل، فإنه من المؤكد أن قيمة العلم وبالتالي الكتاب، تزداد أهمية، فلا زلنا نقف بدهشة غامرة أمام المخطوطات العربية التي تذهلنا كثيراً بما يصلنا فيها من معلومات وثروات، في مختلف ميادين العلوم والفكر والمعرفة، بالرغم مما فقدناه من كنوز علمية من ويلات الهجمات البربرية على العواصم العربية (هجوم المغول والتتار، والحملات الصليبية)، فيما عدا السرقات، التي نهبت مكتباتنا وآثارنا.

هذا الحديث عن الكتابة والتأليف، قد قادني للعودة إلى الوراء أيام كنت طالباً في المرحلة الثانوية، وكان لي صديق قد برع في كتابة القصة القصيرة، ونشرت له الصحف المحلّية أيامها بعض أعماله التي حازت على الإعجاب والتقدير ودارت الأيام وتثاقلت مسؤوليات صديقنا الكاتب، فتوقف عن الكتابة ولم ينشر مجموعته القصصية، وأثناء زيارتي لإحدى العواصم الأوروبية عثرت على مجموعة قصصية قديمة لأحد الكتاب الأجانب صادرة عام ١٨٤٠م، وهي لا تزال مطلوبة ومتداولة، فاشتريتها وأهديتها إياه، وكل ما أردت توصيله له، هي العبرة في أن العمل الإبداعي يبقى حياً في وجدان الإنسان وله السلطان في السيطرة على الاستمرارية والتواصل.

واليوم ورغم تطوُّر تقنيات العصر، من برامج متقدمة في مجال عالم الاتصالات وشبكة المعلومات، يبقى الكتاب هو الحنين الذي نهفو إليه في مكاتبنا ومخدعنا وفي سفرنا وإقامتنا وترحالنا.

فإذا بدأ الكتاب أو الفكر الإنساني أو اللغة التي هي وكما عرّفها علماء فقه اللغة أنها وعاء الفكر الإنساني وسجل حضارته وثقافته. فبالتالي مرَّ هذا السجل عبر الرواية والأثر، والخط والمخطوطة إلى أن حلَّ الورّاقون وأخذوا المكانة المرموقة في المجتمع واحتلوا صدارة الدواوين وجالسوا الأمراء والملوك والسلاطين، إلى أن برع الصينيون بصناعة الورق ومن بعدهم جاء اسم لوران كوستر من مدينة هارام في طليعة المبدعين وإليه يعود الفضل في اكتشاف الحروف النقّالة ثم بعد ذلك إلى يوحنا غوتنبرغ مع معاونه (بيير شيفر) واللذين ينسب إليهما تسجيل طباعة أول كتاب كامل في عام ١٤٥٥م.

ومهما يكن من أمر ومن فضل في تطوُّر الآلية التنفيذية لوسيلة القراءة والاطلاع، فهي في النهاية ماكينة تشغيل، ليس الغاية منها الاقتناء وإنما الإفادة والإنتاج في تطوّر ونماء الفكر البشري، ومدى تفهم هذا المجتمع وتفاعله معها.

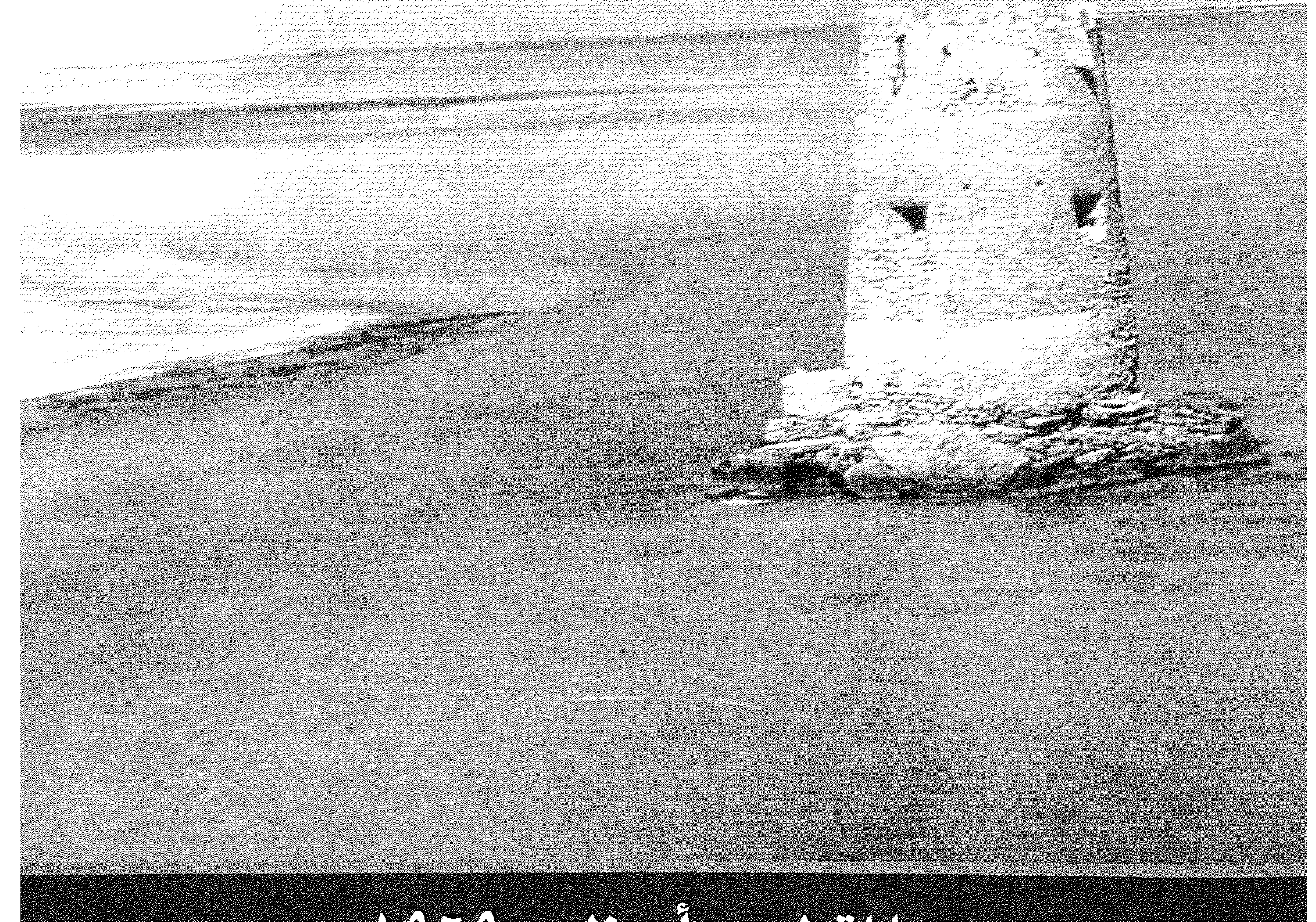
وبنظرة خاطفة وسريعة إلى مجمل ما تنتجه المطبعة العربية على مستوى عام كامل فإن عدد عناوين الكتب لا تربو على ألفي (٢٠٠٠) عنوان لحوالي (٦٠٠) مليون إنسان عربي على وجه البسيطة.

ولا يتعدّى إصدار أي كتاب في حال من الأحوال على معدّل (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف نسخة. فأي نسبة هذه ونحن لا نزال نعاني في بعض بلداننا العربية من الأمية؟!، فهل لنا أن نرجع إلى تراثنا ننهل منه ما سطّره علماؤنا من ذخائر الثروة، وكنوز المعرفة، واكتشاف العلوم، وبراعة الأدب، وإبداع الفنون؟؟ ■

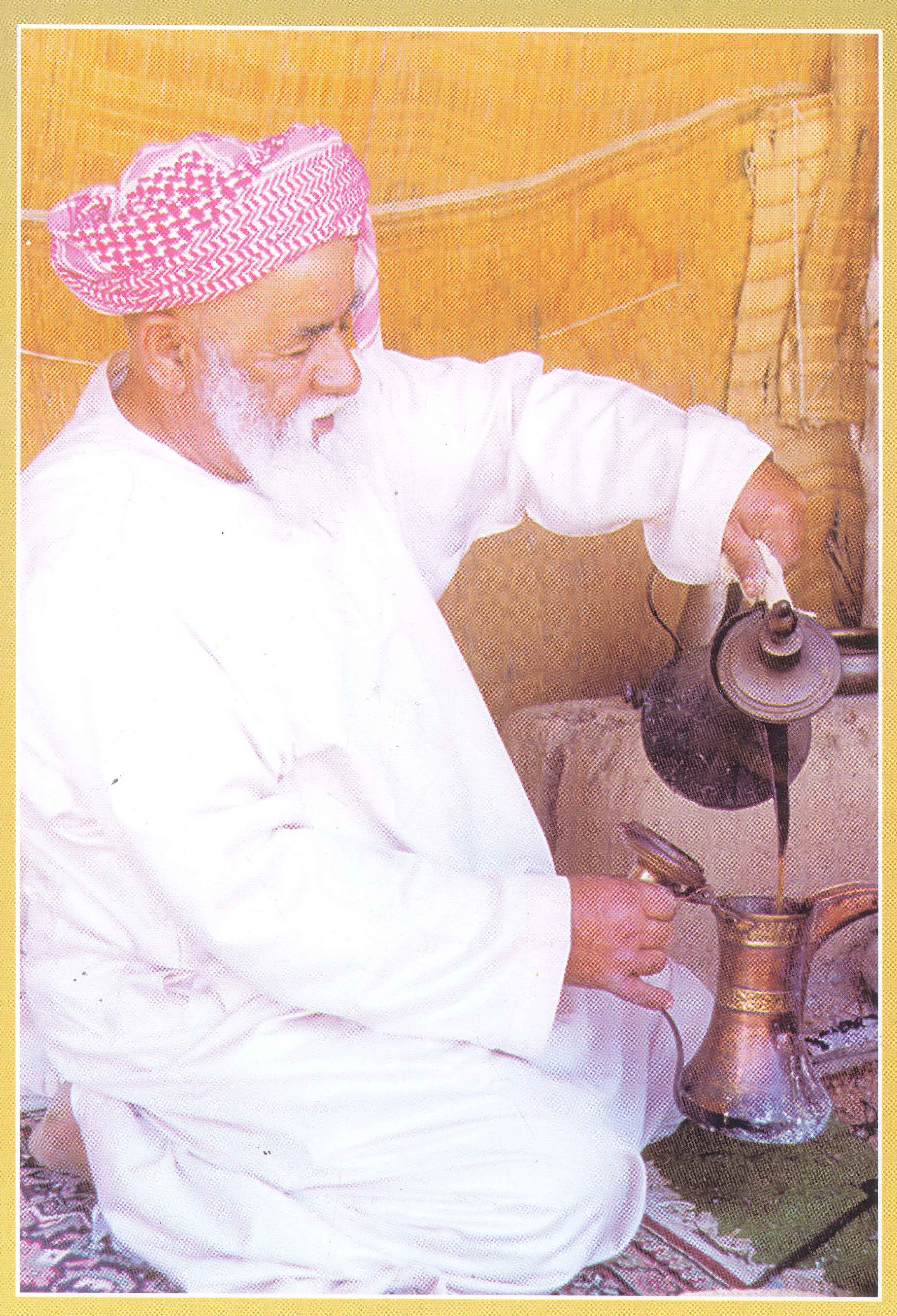
* الوكيل المساعد لشؤون الثقافة والفنون
المجمع الثقافي

إطلالة على العدد القادم:

- لقاء مع الشاعر محمد بن عبيد بن نعمان الكعبي
- طوابع الإمارات.. تحكي تاريخها
- اللغة العربية في مهب الريح (٢٦)
- آثار العرب الحضارية في إندونيسيا
- المسرح العربي القديم كما يراه المستشرقون
- التراث العلمي عند العرب: علم الساعات
- النجوم والكواكب في الشعر العربي
- سر خلود السير الشعبية
- الفلاكة والمفلوكون



برج المقطع - أبوظبي ١٩٦٩م



عنوان الكرم (يوسف العدان)